

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



إِنَّمَا أُخْرِجَتْ لَطَبُ الْأَصْلَاحِ فِي مُشْرَحِهِ

# الإصلاح الحسيني

مَجَلَّةٌ فِصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالنَهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ وَأَفَاقِهَا الْفِكْرِيَّةِ

تَصَدَّرَ عَنْ

مَوْجِسْتِنِ وَأَرْشَادِ الْإِنْبَاءِ الَّذِينَ تَبَيَّنَتْ لَهُمُ الْحُصَيْنِيَّةُ النَّهْضَةُ الْحُسَيْنِيَّةُ

فِي الشُّرُوفِ الْفِكْرِيَّةِ وَالنَّقَائِدِ / الْعِنَبَةُ الْحُسَيْنِيَّةُ الْقَائِمِيَّةُ

العدد الثامن عشر

السنة الخامسة (١٤٢٨ هـ - ٢٠١٧ م)



# الإصلاح الحسني

مَجْلَدٌ فُضِّلَتْهُ مَعْصُومَةٌ فِي النُّهْضَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ وَتُعْنَى بِالذَّرَائِعِ الدِّينِيَّةِ



الهيئة لإستشاراتنا

آية الله السيّد عادل العلوي  
آية الله السيّد منير الخباز  
العلامة الدكتور الشيخ محمد باقر المقلسي

آية الله الشيخ محمد السند  
آية الله الشيخ محمد جواد فاضل النكراني  
آية الله السيّد رياض الحكيم

العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي



# الإصلاح الحسيني

## \* الإشراف العام: .....

سماحة الشيخ علي الفتلاوي

## \* التنسيق العام: .....

السيد صالح التنكابني

السيد مالك البطاط

د. علي البديري

زيد فرج الله الأسدي

مريم هادي الياسري

## \* إدارة المؤسسة: .....

الشيخ باقر الساعدي (النجف الأشرف)

الشيخ رافد التميمي (قر المقدسة)

## \* معاونة المؤسسة: .....

الشيخ عباس الحمداوي (النجف الأشرف)

الشيخ حيدر الأسدي (قر المقدسة)

## \* رئيس التحرير: .....

الشيخ قبصر التميمي

## \* مدير التحرير: .....

الشيخ صباح عباس الساعدي

## \* هيئة التحرير: .....

الشيخ ثناء الدين الدهلكي

د. الشيخ محمد الكروي القيسي

الشيخ أسعد التميمي

د. الشيخ ميثم الربيعي

د. الشيخ رغدان المنصوري

## \* المقابلة وتقويم النص: .....

الشيخ عدنان الطائي

الشيخ عصام السعيد

الشيخ مصطفى الدالي

## \* التصميم والإخراج الفني: .....

السيد صادق الحيدري

الشيخ حسين المالكي

عبد الزهرة الطائي

## \* معتمد الترجمة الإنجليزية: ...

بدر شاهين

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٩٢٤) لسنة ٢٠١٣م

الترقيم الدولي: 7-240-984-964-978 ISSN:

## هوية المجلة

مجلة فصلية علمية تخصصية تُعنى بالبحوث المتخصصة في مجال النهضة الحسينية، تصدر عن مؤسسة وارث الأنبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية في النجف الأشرف وقم المقدسة.

## اهتمام المجلة

تهتم المجلة بنشر معالم وآفاق الفكر الحسيني وتسليط الضوء على تاريخ النهضة الحسينية وتراثها، وكذا إبراز الجوانب الإنسانية والاجتماعية والفقهية والأدبية في تلك النهضة المباركة.

فالمجلة تتطلع لاستيعاب جميع المجالات المهمة والحساسة في أبواب النهضة الحسينية، شريطة أن تكون البحوث والدراسات متضمنة لجوانب من الإبداع والحدثة والتجديد، مع حفظ روح الأصالة والتأسيس.

## أهداف المجلة

- ١- إعطاء رؤية واضحة حول معالم النهضة الحسينية من خلال البحوث والدراسات.
- ٢- نشر أهداف وثقافة النهضة الحسينية.
- ٣- إحياء التراث الديني والحسيني.
- ٤- فتح نافذة علمية لتفعيل جانب الإبداع والتجديد والتأصيل الفكري في كافة حقول المعرفة الدينية.
- ٥- الانفتاح على الواقع العلمي والفكري لدى العلماء والأساتذة والمفكرين.
- ٦- استثمار الأقلام الرائدة، وتطوير الطاقات العلمية الواعدة، واستقطاب البحوث والدراسات والمقالات العلمية القيّمة لنشرها تعميماً للفائدة.
- ٧- فسح المجال أمام الباحثين والمفكرين لنشر بحوثهم ودراساتهم؛ لتكون المجلة رافداً من روافد تزكية العلم والمعرفة.
- ٨- التصدي للإجابة عن الشبهات والإشكاليات والقراءات غير الموزونة حول النهضة الحسينية.

## ضوابط النشر

- تدعو المجلة العلماء والأساتذة والباحثين وكل من لديه اهتمام في مجال الكتابة والتحقيق إلى رفدها بنتائجهم القيّمة، على أمل ملاحظة الأمور التالية:
- أن تكون البحوث مرتبطة باختصاص المجلة وأركانها.
  - ألا تكون منشورة أو بصدد النشر في كتاب أو مجلة.
  - أن تكون ضمن المناهج العلميّة المتّبعة.
  - أن تكون بحوثاً مبتكرة وبلغة معاصرة.
  - أن يكون البحث على قرص ليزري فيما لو كان منضداً.
  - حقوق النشر محفوظة.
  - الأفكار المطروحة لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.
  - لا تعاد البحوث لأصحابها نُشِرَت أم لم تُنَشَر.
  - يخضع ترتيب البحوث لاعتبارات فنيّة.
  - إجراء التعديلات والتلخيصات اللازمة من صلاحيات المجلة.
  - للمجلة حق إعادة نشر البحث أو المقال في كتاب أو ضمن كتاب منفصل، مع الحفاظ على نصه الأصلي.
  - كل ٢٥٠ كلمة تحسب صفحة واحدة.
  - تتبّع المجلة نظام المكافآت لأصحاب البحوث.
  - المجلة غير ملزمة بنشر ما يقل عن ١٥ صفحة أو يزيد عن ٣٠ صفحة.

## مراكز النشر

- \* النجف الأشرف: سوق الحويش - المكتبة العلمية.
- \* النجف الأشرف: شارع الرسول ﷺ - مكتبة دار الهلال.
- \* النجف الأشرف: سوق الحويش - دار الغدير.
- \* كربلاء المقدّسة: المعرض الدائم في العتبة الحسينية المقدّسة.
- \* بغداد: شارع المتنبي - مكتبة العين.
- \* البصرة: العشار - مكتبة الإمام الهادي عليه السلام.
- \* إيران / قم المقدّسة: شارع معلم - سوق ناشران - معرض العتبة الحسينية المقدّسة.
- \* إيران / قم المقدّسة: صفائية - سوق الإمام المهدي عليه السلام - مكتبة فدك.
- \* إيران / قم المقدّسة: سوق كذر خان - مكتبة الهاشمي.

# المحتويات

## مقال التكرير

الشعائر المستحدثة وأدلتها.. قراءة في كتاب (أسرار الشهادات) للفاضل الدريندي

الشيخ قيصر التميمي ..... ١٣

## ملف العدد

شعائر بركة المراسم الحسينية.. المصاحبة والمفاهيم

المراسم الحسينية بين عمومات الشعائر والتأصيل الفقهي المستقل

آية الله الشيخ مسلم الداوري ..... ٤٣

مفهوم الجزع في الشعائر الحسينية

د. الشيخ فلاح الدوخي ..... ٥٧

بلاغة الراية والشعار في المواكب الحسينية.. دراسة في ضوء بلاغة الجمهور

أ.م.د. علي مجيد البديري ..... ٨٥

شعيرة لبس السواد في المنظار الفقهي

الشيخ عدنان الشامي ..... ٩٩

الشعائر الدينية والمراسم الحسينية.. دراسة لغوية قرآنية في الانطباق المفهومي

السيّد شهيد طالب الموسوي ..... ١٢٧

## أهمية الزيارة في الشعائر الحسينية

الباحث: حسن جميل الربيعي ..... ١٦١

## مصرعات حسينية

### الركائز الأساسية لوعي نهضة الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ جميل الربيعي ..... ١٨٧

### سيرة ثائر (سليمان بن صرد الخزاعي)

السيد محمد الشوكي ..... ٢١٣

### المعنى اللغوي لـ (سكينة) : الجارية الخفيفة الروح

السيد محمود المقدس الغريفي ..... ٢٣٣

### مصرع عبد الله الرضيع .. رؤية تحليلية

الشيخ عبد الرزاق النداوي ..... ٢٤١

### أثر الشعائر الحسينية في نشر فكر أهل البيت عليهم السلام في القارة الإفريقية (نماذج مختارة)

د. حيدر عبد الجليل الحربية ..... ٢٦٣

### خلاصة المقالات باللغة العربية والإنجليزية

..... ٢٩٣

# مَقَالُ التَّحْرِيرِ

الشعائر المستحدثة وأدلتها

قراءة في كتاب (أسرار الشهادات) للفاضل الدريندي



## الشعائر المستحدثة وأدلتها قراءة في كتاب (أسرار الشهادات) للفاضل الدربندي

الشيخ قيصر التميمي\*

بعد الاستقصاء والمتابعة الميدانية للكتب الاستدلالية في مجال النهضة الحسينية عموماً والشعائر الحسينية على وجه الخصوص، وجدنا أن كتاب أسرار الشهادات للفاضل الدربندي<sup>(١)</sup> من الكتب الرائدة والمؤسّسة في هذا المجال، بل نستطيع القول: إنه أول كتاب ألفه صاحبه طبقاً لآخر الصيحات المعرفية المرتبطة بمنهج الاجتهاد، ولعله هو أول من أسس للاستدلال الفقهي والأصولي في زمانه، فيما يرتبط بشؤون الملحمة الحسينية<sup>(٢)</sup>.

\* رئيس تحرير مجلة الإصلاح الحسيني.

(١) ترجم له القمي في الكنى والألقاب بالقول: «الدربندي: ملا آقا بن عابد بن رمضان علي بن زاهد الشرواني الحائري، شيخ فقيه متكلم محقق مدقق، جامع المعقول والمنقول، عارف بالفقه والأصول، كان من تلامذة شريف العلماء، وكان له في حبّ أهل البيت عليه السلام، سيما سيّد الشهداء عليه السلام، مقام رفيع، وتغيّر أحواله من اللطم والبكاء وغير ذلك من شدّة مصيبتيه على الحسين المظلوم عليه السلام في أيام عاشوراء مشهور. يُحكى أنّه كان يُعظم كتب العلم، سيما كتب الحديث... له الخرائن، وأسرار الشهادة، والسعادة الناصرية، وغير ذلك... توفّي سنة (١٢٨٦ هـ) في طهران، ونُقل إلى كربلاء المشرفة، ودُفن في الصحن الصغير... والدربندي هنا: نسبة إلى دربند، البلد المسمّى بباب الأبواب بقرب الشروان، لا دربند التي كانت من أعمال الري»: ج ٢، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٢) ليس هدف المقال هو استقصاء كلّ ما ذكره الدربندي في هذا المجال، ولا تأييده أو انتقاده تفصيلاً، وإبنا هدفنا هو التعرّف على الأصول والأسس والبيئات التي نشأت وترعرعت فيها ظاهرة البحوث التحليلية والاجتهادية المرتبطة بمستحدثات المراسم الحسينية، ليتعرّف الباحث بعد ذلك على حجم التراكمات الاستنباطية والاستدلالية التي رافقت مسيرة تلك المراسم إلى يومنا الحاضر، وهي تراكمات كبيرة وكثيرة وخطيرة، كانت وما زالت محلّ جدل وخلاف، يُلقى بظلاله على مجتمعاتنا الحسينية. ومع ذلك لم تخلّ هوامش المقال أيضاً من تسجيل بعض الملاحظات، والإشارة إجمالاً إلى بعض الانتقادات على منهجية المصنّف وأدلته واستنتاجاته.

وهذا ما أكده الدربندي نفسه، حينما أشار في بعض تذييلات بحوثه إلى أسباب تأليفه هذا الكتاب، حيث يقول: «هذا الكتاب ليس كسائر المقاتل والكتب المؤلفة في هذا الشأن، فإنّ ما فيها ليس إلّا من باب التأليف والجمع، بخلاف ما في هذا الكتاب، فإنه قد تضمّن - في كلّ مقدّمة من مقدّماته، وفي كلّ مجلس من مجالسه - ما يحتاج إلى استعمال الفكر الدقيق، والتأمل الرقيق في ضمن تذييلات عديدة، فليس ما كنت أستعمله من الفكر وارتكبت فيه من المشقّة أقلّ مما استعملته من الفكر وارتكبت فيه من المشقّة في سائر كتبي وتصانيفي، من العقليّة والنقليّة، فالانتفاع منه على النهج التام والنمط الكامل ليس إلّا في طوع العالم الجامع المحقّق، ذي الملكة القويّة والسليقة المستقيمة، وإن لم يكن بالغأرتبة الاجتهاد والفقاهة، فلا ينتفع منه على هذا النمط من دون هذه الدرجة، وإن كان ممن له حذاقة في العلوم الأدبية وكتب التواريخ والسير، فضلاً عن انتفاع من كان فاقداً لكلّ ذلك، ونعم ما قال بعض العلماء الصالحاء والفضلاء العظماء في شأن هذا الكتاب، وهو أنه يليق أن يكتب بهاء الذهب، ثمّ يُكتنز ويُحزّن»<sup>(١)</sup>.

ثمّ إنّ الدربندي قد تعرّض للشعائر المستحدثة في ثنانيا بحوثه، وتبعاً لاستدلاله على الشعائر الحسينية المنصوصة بالخصوص، علماً أنّ ما سنعرضه من مُستحدثات الشعائر الحسينية لا يراها الدربندي في كتابه من الشعائر المستحدثة، وإنما يراها من الشعائر المنصوصة والمتأصّلة والمتّصلة بزمان المعصومين عليهم السلام، ونحن قد اخترنا لها هذا التعبير؛ للتمييز بينها - كونها مما وقع الخلاف في شعائريتها وأدلتها - وبين الممارسات التي اتفقت الكلمة على كونها من الشعائر الحسينية المنصوصة، كالزيارة والبكاء.

### منهجه العام في الاستدلال

يؤكّد الدربندي في مواضع كثيرة من كتابه على أنّه يعتمد في بيان المطالب والموضوعات الحسينية على ما ينقله من الروايات والأخبار والآثار والمنامات،

(١) الدربندي، آقابن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ٥٠٤.

المعتمدة في نظره، كما يستدلّ على ذلك أيضاً «بالعمومات والأصول والقواعد العقلية والنقلية والالتزامات الأخبارية ونحو ذلك»<sup>(١)</sup>، كما ستوضح أمثلة وتطبيقات ذلك لاحقاً.

أما بالنسبة إلى ما ينقله من الروايات والأخبار والآثار والمنامات، فإنه يُقسّمها على أساس مصادرها إلى قسمين:

١- المأخوذ من الكتب المعتمدة في نظره.

٢- المأخوذ من غيرها، مما لا يستلزم الوضع والكذب والافتراء.

وهذا ما ذكره ونصّ عليه في المقدمات الأخيرة لكتابه، حيث يقول: «إنّ كلّ ما ذكرته ونقلته في هذا الكتاب، من الأخبار والروايات والآثار والمنامات، فهو لا يخلو من وجهين: إمّا أنه مما أخذته من الكتب المعتمدة، وذلك مثل كتب المحمّدين الثلاثة، أي: الكليني والصدوق والطوسي، ومثل كتب من في درجتهم ممن قبلهم أو بعدهم، ومثل كتب أكثر متأخري المحدثين، الذين أخذوا من الكتب المعتمدة والأصول المعتمدة، وذلك مثل: كتب العلامة المجلسي، والشيخ الأعظم الحرّ العاملي، وصاحب العوالم، وهكذا من يكون في درجتهم من حيث الخدافة في فنون الأخبار، وإمّا أنه مما أخذته لا من مثل الكتب المشار إليها»<sup>(٢)</sup>.

ثم يؤكّد على منهجه العام في كنيّة التعامل مع مصادر هذين القسمين بالقول: «أما القسم الأول: فكما قد أذكر أسامي الكتب المأخوذ منها أو أسامي أصحابها، فكذا قد أترك الانتساب ولا أشير إلى شيء من ذلك؛ فذلك منّي للتكال على وضوح الحال. وأما القسم الثاني: فنحن نشير فيه إلى الكتاب الذي أخذت منه بالواسطة أو بلا واسطة، أو إلى الشخص الذي رويت عنه»<sup>(٣)</sup>. وهو يرى أن هذا القدر كافٍ في مقام صحّة

(١) المصدر السابق: ص ٥٠٠.

(٢) المصدر السابق: ص ٤٩٦.

(٣) المصدر السابق.

النقل وجوازه، وكافٍ في دفع شبهة الكذب والوضع والتزوير، ولا يُشترط في المقام الاقتصار في النقل على خصوص الروايات الصحيحة والمعتبرة من حيث السند، أي: التي تكون صحّتها واعتبارها على طبق الموازين المذكورة في علم الدراية والرجال، والتي تصلح أن تقع في طريق استنباط الحكم الشرعي الفقهي<sup>(١)</sup>.

ثم إنه بعد ذلك يؤكّد ويُشدّد على قُبْح وحرمة تعمّد الكذب، خصوصاً ما إذا كان في أمور الدين والشريعة، كوضع الأحاديث واختراعها، ثم نسبتها إلى النبي الأكرم ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وهكذا نقل ورواية أمثال هذه الأحاديث الموضوعية، وأن ذلك من الجرائم والذنوب الموبقة، بضرورة المذهب والأدلة الأربعة.

ويقول في هذا المقام أيضاً: «لا يجوز نقل الأمور التي لا أصل لها في الآثار والأخبار وكتب العلماء وأهل التواريخ والآداب والسير - من الخاصة أو العامة - في مجالس عزاء سيّد الشهداء، ومآدب مصائب آل محمّد، طمعاً في كثرة بكاء الناس وشدة نوحهم وضجّتهم وصيحتهم، فكيف لا؟! فإن ذلك في الحقيقة من قبيل إحباط الحسنات بالسيّئات، فإنّ إيكاء أحد الناس على سيّد الشهداء وعترته وأصحابه المظلومين من أفضل العبادات وأقرب الطاعات وأعظم القربات، فكيف يُجوّز العاقل أو يرضى بأن يُحرّب بنیان ذلك بتعمّد الكذب والافتراء، ووضع الأحاديث من عند نفسه، أو بتعمّد نقل ما هو يعلم كذبه ووضعه؟!»<sup>(٢)</sup>.

ويؤكّد أيضاً في السياق ذاته على أنّ «المحتاط في دينه لا يترك الاحتياط ولا يفتح باب الجرأة والجسارة»<sup>(٣)</sup>.

ثمّ تصدّى بعد ذلك لإخراج ما لا يراه كذباً في النقل، وعدّ من ذلك الاستناد إلى

(١) للاطلاع على حقيقة هذا المنهج وتفصيله بصورة أشمل وأعمق، ومعرفة المناهج المختلفة في هذا المجال، أنظر: ما كتبه شيخنا الأستاذ محمّد السند، الشعائر الحسينية: ج ١، ص ٢١٣-٢٤٣.

(٢) الدرّبندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ٥٠٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٥٠١.

العمومات، والقواعد العقلية والنقلية، وبعض اللوازم المستفادة من الأخبار، وأمثال ذلك، كما أنه يعتقد بأنه ليس من الكذب أيضاً «نقل الأحاديث الضعيفة، من الروايات المرسلة والأخبار الموقوفة المقطوعة بحسب الأسانيد، أو المستندة إلى غير المعصوم». وأن هذا النقل «مما لا ضير ولا عيب فيه، من باب ذكر المصائب والرثاء»، بشرط «أن لا تكون مقطوعة الكذب والوضع، بل أن تكون مما يُحتمل صدقها وصدورها، وإن كان على نمط الاحتمال المرجوح». ويضيف قائلاً: «ثم إذا كانت مما تعارض القطعيات العقلية أو النقلية وأصلاً من أصول مذهب الإمامية، فلا يجوز نقله للعوام، إلا إذا كان الناقل قد سمع تأويله من العلماء الحُذّاق، فهذا كما ترى يجري في شأن الأخبار الصحيحة والموثقات والحسان أيضاً». ثم رتب على ذلك «جواز نقل ما يوجد في الأوراق العتيقة والتصانيف القديمة التي لا يُعلم أسماء مصنفّيها، والأولى بل اللازم في كلّ ذلك بيان الحال، بذكر حال تلك الكتب وتلك الأوراق، فمثل ذلك يُسمّى عند العلماء - في باب تحمّل الروايات - الوجادة، فهي أعمّ مما أشرنا إليه»<sup>(١)</sup>. ثم أورد جملة من الروايات المؤيدة لجملة ما أفاده في المقام.

ولعلّه يفترض أنّ في هذا القدر من الوجادة أيضاً درجة ومرتبة من مراتب الاعتبار في المقام، حيث يقول في مواضع لاحقة من كتابه: «ولم أشر في كلّ عنوان إلا إلى جملة كثيرة من رواياته، من الأخبار والروايات التي ظفرت بها في الكتب المعتمدة عندي، أما ترى أنّي لم أذكر في هذا العنوان [عنوان الحزن والبكاء] الخبر المشهور في الألسنة، من أنّ جمعاً من الملائكة في أيديهم آنية من الزجاجات، فيدورون في مجالس ذكر مصائب آل محمد ﷺ، ويلتقطون دموع الباكين... لأنّي لم أظفر بذلك في كتاب من الكتب المعتمدة»<sup>(٢)</sup>.

وأما ما يرتبط بالمنامات، فإنه يرى أن قول المعصوم وفعله وتقريره حجة مطلقاً،

(١) المصدر السابق: ص ٥٠٠-٥٠١.

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٤-١٠٥.

حتى لو كان عن طريق رؤيته في المنام، وفي هذا المجال يقول: «فإن قلت: هل يمكن إثبات الحكم الشرعي بالقضايا الواقعة في المنامات؟! قلت: نعم، فإن قول المعصوم وفعله وتقريره حجّة، سواء كان ذلك في اليقظة أم في المنام، فمن أراد التحقيق والكلام المشبع في ذلك، فليرجع إلى مصنّفاتنا في العلوم العقلية والنقلية<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

بعد ذلك عطف على كلامه هذا ما يرتبط بالأشعار ولسان الحال، قائلاً: «ثم نقول: إنّ الحال في الكلام النظمي كالحال في الكلام النثري، أي: من جهة الصدق والكذب، فيتمشّى فيه ما كان يتمشّى فيه، نعم إنّ دائرة الأشعار والكلام النظمي أوسع الدوائر من جهة أخرى، وهي أن أكثر ما يُذكر فيها، من باب المراثي وذكر المصائب، إنّما هو من قبيل الإنشاءات والخطابات. وأما قضية لسان الحال، وتصدّر الكلام بلفظة (كأنّ) أو ما يؤدّي مؤداه من الفارسية والتركية والهندية ونحوها، فالظاهر أنّها حيلة حسنة في باب إخراج الكلام عن الكذب»<sup>(٣)</sup>.

وأما نقل محتوى الأشعار بصورة خبر ورواية، فقد قال فيه: «إذا كان صاحب القصيدة والأشعار من العلماء والمحدّثين الكاملين، أو من الأثبات الثقات، جاز ذلك الانتساب على هذا النمط، بمعنى أنّ هذا يكون حينئذٍ من قبيل الروايات المرسلة والأخبار المرفوعة الضعيفة، فيجوز أن يروي ذلك كلّهُ، وذلك بأن يقول: وقد رُوي كذا وكذا، أو أنه ورد في بعض الروايات كذا وكذا، أو أنه بلغ إلينا كذا وكذا، أو نحو ذلك.. فقد بان من تضاعيف ما قرّرنا أن تتبّع الأشعار والقصائد، ولا سيما إذا كانت من أشعار العلماء وأهل الحديث، أو من أهل السير والتواريخ والأدب، مما يُوسّع الدائرة»<sup>(٤)</sup>. أي: يُوسّع دائرة النقل وجوازه ومشرعيّته<sup>(٥)</sup>.

(١) لم نعر في عجالة من البحث على تحقيق للمصنّف في هذا المجال، وهو من غرائب الآراء!

(٢) الدرر بندي، آقابن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ١٨٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٥٠٣.

(٤) المصدر السابق.

(٥) ما زالت كلّ هذه الدعاوى في المنهج محلّ نقاش وجدل بين العلماء.

## أدلته على الشعائر المستحدثة

بعد مرورنا الموجز على المنهج العام لدى الدربندي في استدلاله على الموضوعات الحسينية، نتقل إلى بيان وإيضاح أدلته التي أقامها على جملة من الشعائر الحسينية المستحدثة، التي لم يُنصّ في الروايات عليها بالخصوص، أو لا أقل من وقوع الاختلاف بين العلماء في كونها من الشعائر المنصوصة بالخصوص، وقبل ذلك نُحصى فيما يلي أهم ما جاء في كلماته من تلك الشعائر والممارسات، وهي:

- ١- شجّ الرؤوس (التطير).
- ٢- خمش الوجوه، ولطم الصدور، والضرب على الرؤوس بالأكف<sup>(١)</sup>.
- ٣- حشو التراب والرماد على الرؤوس، وتطين الوجه والجسد بالوحل، وشقّ الثياب، ولبس السواد<sup>(٢)</sup>.
- ٤- مراسم الشبيه (التمثيل).
- ٥- ضرب الطبول والعزف بالآلات الموسيقية.

## تأسيس الأصل في المسألة

اعتاد الفقهاء في استدلالاتهم الفقهية على تأسيس وذكر الأصل الأوّلي والعملي في المسألة، قبل أو بعد الولوج في أدلتها اللفظية، والهدف من ذلك هو الرجوع إلى الأصل الأوّلي والاستناد إليه في مقام العمل في حال فقدان الأدلة والأصول اللفظية، أو التشكيك في دلالتها وانطباقها على محلّ النزاع، وقد نهج المصنّف هذه الطريقة الفقهية في مواضع متعدّدة من كتابه، لكونه من الفقهاء المرموقين في زمانه، ومن جملة تلك المواضع محلّ بحثنا، وهي الشعائر المستحدثة وغير المنصوصة بالخصوص<sup>(٣)</sup>.

(١) تشارك هذه الممارسات في كونها من الأفعال التي قد تؤدّي إلى إلحاق الضرر بالبدن وإيذائه.

(٢) تشارك هذه الممارسات في كونها مؤثّرة في مظهر الإنسان العام.

(٣) أي: عدم النصّ الصريح بالخصوص من قبل المعصومين عليهم السلام على كونها بعنوانها من المراسم الحسينية.

وقد اختار المصنّف في المقام أنّ الأصل في مثل هذه الأمور بشكل عامّ في حالة الشك هو الجواز، وإن كان قد رفع يده عن هذا الأصل في بعض الموارد الخاصّة، كما سيّتين لاحقاً، واستند في بنائه على أصالة الجواز إلى كون المقام في نظره مُندرج في موارد الشبهات الحكمية التحريميّة البدوية، غير المسبوقة أو المقرونة بالعلم الإجمالي بالتحريم، ومن المقرّر في علم الأصول جريان أصالة البراءة والجواز في مثل هذه الموارد، على خلاف المذهب الأخباري<sup>(١)</sup>، هكذا قرّر المصنّف الأصل العملي في المسألة، قائلاً: «مع كونه على طبق الأصل الأوّلي؛ لكون المقام من صُقع الشبهة التحريميّة الحكمية، مع عدم سبق العلم الإجمالي في البين»<sup>(٢)</sup>، وستأتي إشارة أُخرى إلى ذلك من المصنّف لاحقاً.

هذا ما يراه المصنّف في المقام، بعيداً عمّا قد يرد عليه فيما يدّعيه، من إدراج المورد تحت أصالة البراءة والجواز في الشبهات الحكمية، في حالة الشك وفقدان الأصول اللفظية.

### الأدلة العامة

هناك جملة من الوجوه والشواهد العامّة التي استند إليها الدرّبندي في استدلاله على الشعائر المستحدثة بصورة عامّة، نُشير فيما يلي إلى أهمّ وأبرز تلك الأدلّة:

#### الدليل الأوّل: ضرورة المذهب والسيرة القطعية للمعصومين والمتشرّعة

يرى المصنّف أنّ العالم الحاذق والمتابع الفطن لروايات وتراث أهل البيت عليهم السلام، وما وصلنا عن أصحابهم وأتباعهم من العلماء وغيرهم، يجزم بأنّ ضرورة المذهب والسيرة القطعية الممضاة قائمة على مشروعية بل استحباب تلك الممارسات والمراسم الحسينية.

(١) أنظر على سبيل المثال: الخراساني، محمّد كاظم، كفاية الأصول: ص ٣٣٧، وما بعدها.

(٢) الدرّبندي، آقابن عابد، أسرار الشهادات: ج ٣، ص ٢٤٩.

وهذا ما نصّ عليه في مواضع كثيرة من كتابه، ومن تلك المواضع ما أورده في ذيل قضية ضرب السيّدة زينب عليها السلام رأسها بمقدّم المحمل، فإنه بعد تعداد جملة من تلك المراسم الحسينية، من شقّ الثياب والجيوب، ولطم الصدور، وخمش الوجوه، وحشو التراب والرماد على الرؤوس، وضربها بالأكف، وتلطّيح الوجه والجسد بالوحد والألوان المسوّدة، وما أشبه ذلك، قال: «بل يمكن أن يُقال: إنّ جواز ذلك بل استحبابه مما عليه السيرة والضرورة من المذهب»<sup>(١)</sup> «(٢)».

كذلك قال في موضع آخر، وفي السياق ذاته، وبعد استعراض تلك المراسم الحسينية: «فوق هذه الأمور من الباكين والجازعين في مصيبتهم، قبل وقوع شهادته وبعد وقوعها، من أهل العصمة من الملائكة والأنبياء والأوصياء والأئمة عليهم السلام، ومن يتلو أهل العصمة، ومن سائر المحبين والموالين في حضور أهل العصمة، مما لا شك فيه»<sup>(٣)</sup> «(٤)».

وفي هذا السياق أيضاً يقول - بعد تأكيده جواز ومشروعية تلك الأمور -: «ولا سيّما إذا لوحظ ما في الأمصار في جميع الأعصار ما يفعله جمع من شبّان الشيعة بل وكهولهم وشيوخهم أيضاً، من لطمهم صدورهم وجباههم ورؤوسهم بالحجر والحديد ونحو ذلك، حتى تُدمى هذه الأعضاء وتُجرح، في محضر من أكابر الدين وأعظم المذهب من العلماء والصلحاء، وهم لا يمنعونهم عن ذلك، بل يشتدّ حينئذ بكاءؤهم ويعلو نحيبهم، فكان طبايع جمع قد جُبلت على فعل أمثال ذلك في أيام العشر الأوّل من المحرم، أما سمعت حديث مسلم الجصاص، حيث قال: فلطمت وجهي حتى خشيت على عيني أن تذهب»<sup>(٥)</sup>؟

(١) لقد تفرّد المصنّف بهذا المدعى، ولم يسبقه إلى ذلك أحد من الفقهاء على حدّ علمنا، ودعوى أنّ السيرة وضرورة المذهب قائمتان على جواز أو استحباب تلك الطقوس، دون إثباتها خرط القتاد.

(٢) الدرر بندي، آقابن عابد، أسرار الشهادات: ج ٣، ص ٢٤٧.

(٣) هناك مجال واسع للتشكيك في وقوع أغلب الممارسات الواردة في كلامه، سوى البكاء والطم وشقّ الجيوب، فقد يُدعى الجزم بوقوعها، كما سوف يتبيّن لاحقاً.

(٤) الدرر بندي، آقابن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ١٤١.

(٥) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١١٤.

وبالجملّة، فإن ذلك ليس إلّا لأمر أصلي صادر من رضاء المعصومين بذلك<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

### الدليل الثاني: مطلوبية الجزع على الإمام الحسين عليه السلام

يُعدّ الجزع<sup>(٣)</sup> ومطلوبيّته الشرعية في عزاء الإمام الحسين عليه السلام من أهم الأدلّة العامّة، التي استند إليها الدربندي في التدليل على مشروعية واستحباب تلك الشعائر المستحدثة، وفي مواضع كثيرة من كتابه.

وفي مقام حديثه عن مطلوبية الجزع بالخصوص والتأكيد عليه، أورد في بداية الأمر مجموعة كبيرة من النصوص حول فضل البكاء على سيّد الشهداء عليه السلام، وما تضمّنته من مواقف وتصرفات من بيت العصمة والطهارة، وكذلك جملة من النصوص الدالّة على خصوص مطلوبية الجزع على الإمام الحسين عليه السلام، من قبيل:

قول الإمام الصادق عليه السلام: «كلّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين»<sup>(٤)</sup>.

وفي نصّ آخر عنه عليه السلام: «إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كلّ ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي، فإنّه فيه مأجور»<sup>(٥)</sup>.

وأيضاً في حديثه المفصّل مع مسمع بن عبد الملك البصري: «قال لي: أفما تذكر ما صنّع به؟ قلت: نعم، قال: فتجزع؟ قلت: إي والله... قال: رحم الله دمعتك، أما إنك من الذين يُعدّون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا»<sup>(٦)</sup>.

(١) الكلام كلّ الكلام في فرض كاشفية هذه السيرة المزعومة عن رأي المعصومين عليه السلام.

(٢) الدربندي، آقابن عابد، أسرار الشهادات: ج ٣، ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٣) الجزع: نقيض الصبر، وهو: حالة من الانقطاع والضعف عن تحمّل ما نزل من نازلة، تُصيب الشخص الجازع. أنظر: الزبيدي، مرتضى، تاج العروس: ج ١١، ص ٦٤.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ١٦٢. الدربندي، آقابن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ٨٩.

(٥) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٠٢. الدربندي، آقابن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ٨٩.

(٦) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٠٤. الدربندي، آقابن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ٩٠.

وأيضاً عن الإمام الباقر عليه السلام: «ثم ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه، ويأمر من في داره بالبكاء عليه، ويُقيم في داره مصيبتَه بإظهار الجزع عليه، ويتلاقون بالبكاء بعضهم بعضاً بمصاب الحسين»<sup>(١)</sup>.

كذلك عن الصادق عليه السلام: «إن الحسين يقول لزواره: لو يعلم زائري ما أعدَّ الله له، لكان فرحه أكثر من جزعه»<sup>(٢)</sup>.

وجاء في دعاء الصادق عليه السلام لزوار الحسين عليه السلام: «وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا»<sup>(٣)</sup>. وفي التعليق على هذا الخبر بالخصوص قال المصنّف: «وكيف كان، فإن ما ورد في باب زيارة سيّد الشهداء وباب البكاء والحزن والاغتمام والصرخة والصيحة، لو كان منحصراً في خبر معاوية بن وهب لكفانا؛ لما فيه ما يُغني عن غيره»<sup>(٤)</sup>.

وعن الإمام الرضا عليه السلام في قصّة ذبح إبراهيم لابنه، ومحادثة الله تعالى له، قال: «يا إبراهيم، فإنّ طائفة تزعم أنّها من أُمَّة محمد ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلماً وعدواناً كما يُذبح الكبش، ويستوجبون بذلك سخطي. فجزع إبراهيم عليه السلام لذلك، وتوجّع قلبه، وأقبل يبكي، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقلته»<sup>(٥)</sup>.

وقول الإمام زين العابدين عليه السلام لعمّته زينب عليها السلام، حينما رآته يجود بنفسه، وسألته عن ذلك: «وكيف لا أجزع وأهلع؟! وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومي وولد عمّي

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٢٦. الدرر بندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ٩١.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٥٥. الدرر بندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ٩٨.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٢٩. الدرر بندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ١٠٢.

(٤) الدرر بندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ١٠٤.

(٥) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ص ٥٩. الدرر بندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ١٢٦-١٢٧.

وأهلي مضرّ جين بدمائهم مرّملين...»<sup>(١)</sup>.

وبعد أن استعرض المؤلف هذه النصوص الروائية التي يراها متواترة، انتقل لتقريب الاستدلال بها على مجموعة من الشعائر المستحدثة المشار إليها، بعبارات واضحة تُغنينا عن البيان والإيضاح، حيث قال: «فلا يخفى أن الجزع لغة وعرفاً هو نقيض الصبر، فإذا كان الجزع على سيّد الشهداء عليه السلام عند ذكر مصائبه ومصائب عترته وعياله وأصحابه المستشهدين بين يديه عليه السلام من المندوبات المؤكّدة والكاشفة عن تحقّق الملكة النورانية الملكوّية، كان دقّ الصدر وضرب الرؤوس وشقّ الجيوب وتمزيق الثياب وحثو التراب والرماد على الرؤوس والتلبّس بلباس أهل المصائب، عند موت الأعزّة الأجلّة من عظماء الدين والدنيا، والتشبه بهم في كونهم شعناً غبراً، من المطلوبات المؤكّدة والمندوبات المفضّلة؛ لأنه كما يدخل تحت الجزع رفع الصوت في النوح والبكاء على سيّد الشهداء، وإعلان الصيحة والضجّة والنحيب وتنفس الصعداء، فكذا تدخل تحته هذه الأمور المشار إليها آنفاً، فهذا كافٍ في إثبات شرعية هذه الأمور وكشفها عن ملكة الإيمان والإيقان... وبالجملة فإنّ كلّ ذلك داخل تحت الجزع المقطوع المطلوبيّة، والمعلوم المندوبيّة، فلا يُعارض ذلك في بعض الموارد ما يدلّ على حرمة الإسراف في تمزيق الثياب، وما يدلّ على حرمة الإضرار بالبدن، كما في دقّ الصدر على النمط الذي يُتوجّع ويُتألّم منه، وهكذا الكلام في مثل ذلك؛ لأن أدلّة مطلوبية الجزع ترد على أدلّة الأمور المشار إليها ورود الخاص على العام»<sup>(٢)</sup>.

ويبقى هذا الدليل بنظره مفتوحاً لاستقطاب واستحداث مجموعة كبيرة من الطقوس والمراسم الحسينية، التي يشملها مفهوم الجزع، بالتفسير الذي أورده للجزع في هذا النصّ.

ولذا؛ قال في موضع لاحق: «وقد مرّت الإشارة إلى أن أقسام الجزع وأفراده كثيرة،

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٧٩. الدرّبندي، آقابن عابد، أسرار الشهادات: ج ٣، ص ٢٠٣.

(٢) الدرّبندي، آقابن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ١٣٦-١٣٧.

فكلّ ما مرّت إليه الإشارة من رفع الصوت والضجّة، وإعلان الصيحة، وشقّ الجيوب وتمزيق الثياب، ونشر الشعور، ولطم الوجوه، وخدش الخدود والصدور، وضرب الأفخاذ والرؤوس والجباه بالأكفّ، وحثو التراب والرمال والرماد على الرؤوس، والتلبّس بالملابس والثياب السود... إلى غير ذلك من جملة من الأمور الأخر، داخل تحت الجزع»<sup>(١) (٢)</sup>.

### الدليل الثالث: رواية ضرب السيّدة زينب عليها السلام رأسها بمقدّم المحمل

وهي التي رواها المجلسي في البحار، عن بعض الكتب المعتبرة، مرسلّة، عن مسلم الجصاص، وهي رواية طويلة، ومن جملة ما جاء فيها: «فالتفت زينب، فرأت رأس أخيها، فنطحت جبينها بمقدّم المحمل، حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها»<sup>(٣)</sup>. وعلى الرغم من كون هذه الرواية من أهمّ النصوص الخاصّة، التي يستند إليها المصنّف في الاستدلال على مشروعية التطبير واستجابته، إلّا أنّه يعتبرها أيضاً - بدلالة الفحوى والألوية - من أهمّ الأدلّة العامّة على جملة واسعة من المراسم الحسينية المستحدثة، حيث يقول: «فاعلم أن قضية نطح زينب بنت أمير المؤمنين رأسها بمقدّم المحمل، بحيث إنه جرح وجرى الدّم منه، يكشف عن فحوى أن ما لا يجوز فعله في مصيبة غير آل محمّد من الجزع الشديد، وشقّ الثياب والجيوب، ولطم الصدور وخمش الوجوه، وحثو التراب والرماد على الرؤوس وضربها بالأكفّ، وتلطّخ الوجه والجسد بالوحد والألوان المسوّدة وما يشبه ذلك، يجوز فعله في مصائب آل محمد صلّى الله عليه وآله، ولا سيّما في مصائب سيّد الشهداء وروحي له الفداء»، إلى أن يقول في صدد تأكّيده على العموم: «نعم، إن الإفتاء بما يزيد على ما ذكر - أي: بمثل ما صنعتته زينب بنت أمير المؤمنين - في غاية الصعوبة والإشكال، ويمكن أن يقال: إن هذا الإشكال إنّما هو بالنسبة إلى النظر

(١) المصدر السابق: ص ١٤١.

(٢) ولكن ما زال باب النقاش والجدل مفتوحاً في تحديد حقيقة الجزع وماهيّته وتطبيقاته لغة وشرعاً.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١١٥. الدر بندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ٣،

الجلي<sup>(١)</sup>، وأما النظر الدقيق، فلا إشكال في البين أصلاً، فإن ما في هذا الخبر يرد على جملة من العمومات والإطلاقات وبعض القواعد، ورود الخاص على العام<sup>(٢)</sup>. أي: يكون مُخصّصاً ومُقيّداً للعمومات والإطلاقات.

ثم إنَّ المصنّف - وتتميّحاً للاستدلال - يوكّد أن ذلك الفعل الصادر عن السيّدة زينب عليها السلام كان في محضر حجّة الله الإمام زين العابدين عليه السلام، ولم يعترض على عمّته بشيء، وهو ما يكشف عن قبوله ورضاه بما فعلت، بالإضافة إلى ما يراه هو من كون فعل السيّدة زينب عليها السلام حجّة في ذاته، بلا حاجة إلى إثبات واستكشاف رضا الإمام عليه السلام وتقريره، قال بهذا الصدد: «جواز الاستدلال بما فعلته زينب بنت أمير المؤمنين؛ لأن ما فعلته كان في محضر من حجّة الله على جميع خلقه سيّد الساجدين، فكما أنّ فعل المعصوم وقوله حجّتان، فكذا تقريره، على أنه قد تقدّم ما يدلّ على كون زينب محدّثة وتالية لمرتبة العصمة»<sup>(٣)</sup>.

ثم ينتقل بعدها إلى بيان رأيه في البحث السندي في الرواية، قائلاً: «فإن قلت: إن قضية نطح زينب رأسها بمقدّم المحمل لم يرد إلّا في خبر مرسل عن مسلم الجصاص، وهو أيضاً مجهول الحال... قلت: إنّ وصف المحقّق المجلسي الكتاب الذي أخذ هذا الخبر عنه بكونه من الكتب المعترية، يُصير هذا الخبر بمنزلة ما هو مُحْرز لشرائط العمل به، فعلى البناء على اتساع الدائرة في باب الأخبار يجوز تخصيص العمومات به»<sup>(٤)</sup>، وقد تقدّمت الإشارة إلى هذا البناء فيما يرتبط بباب الأخبار والروايات، تحت عنوان: منهجه العام في الاستدلال، فلاحظ.

ونظراً إلى أنّ هذا الفعل الصادر من السيّدة زينب عليها السلام في هذا الخبر قد يُتوهم أنه من الأفعال المحرّمة، التي دلّت على حرمتها جملة من العمومات اللفظية والقواعد الفقهية، التي تُحرّم على المكلف إيذائه لنفسه وبدنه، فيكون صدوره عنها عليها السلام منافياً

(١) أي: البدوي والسطحي.

(٢) الدربندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ٣، ص ٢٤٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٤٨.

(٤) المصدر السابق.

لأصول المذهب وثوابته، كما يتنافى أيضاً مع اعتقادنا الخاص بمقامها السامي عليه السلام؛ حاول المصنّف في المقام أن يستعرض هذه الدعوى مع الإجابة عنها، حيث قال: «فكيف يجوز أن يُخصّص به العمومات وبعض القواعد البالغة حدّ أصول المذهب بالمعنى الأخص؟ على أن الظاهر أنّ الحكم بحرمة مثل ذلك - ولو كان ذلك في تعزية سيّد الشهداء وعند ذكر مصائبه - من المسائل الاتفاقية الإجماعية».

ثم أجاب عن هذه الدعوى بأنها: «من الدعاوى الجزافية؛ إذ كون القاعدة من أصول المذهب بالمعنى الأخصّ أول الكلام، والمسألة بخصوصها لم تُعنون في كتاب من كتب الأصحاب، فكيف تكون من الاتفاقيات، أو مما ادّعي في شأنها الاتفاق والإجماع؟! فقد بان من ذلك كلّ أنّ الحكم بالجواز مما لا يخلو من قوّة»<sup>(١)</sup>. وكلامه هذا صريح في حداثة أمثال هذه البحوث الحسينية، وأنها لم تُعنون في كتب الأصحاب إلى زمانه عليه السلام.

### الأدلة الخاصّة

تناول المصنّف في ثنايا بحوثه أهمّ الشعائر الحسينية المستحدثة، ونصّ عليها بصورة منفردة، وتعرّض لأدلتها وحكمها الشرعي، ونذكر فيما يلي أهمّ وأبرز ما جاء في كلماته:

### ١- التطبير

جزم المصنّف بمشروعية التطبير، وكلّ جرح للرأس والجسد بألة من حديد أو غيرها في عزاء سيّد الشهداء عليه السلام، بل جزم أيضاً باستحبابه، وكونه من أفضل العبادات وأشرفها.

ولعلّ هذه الشعيرة تُعدّ من أشدّ الشعائر الحسينية ممارسة وجدلاً وخلافاً بين العلماء، من زمن المصنّف إلى زماننا هذا، فإذا جازت وحُكم بمشروعيتها واستحبابها، جاز في نظر المصنّف ما دونها من الأفعال والممارسات، كخمس الوجوه

(١) المصدر السابق.

ولطمها، ولطم الصدور والرؤوس، وأمثال ذلك مما سيأتي التعرّض له تباعاً، وذلك بالفحوى والأولوية التي أشرنا إليها، ونصّ عليها المصنّف سابقاً؛ ولذا قدّمنا هذه الشعيرة الخاصّة على سائر الشعائر الأخرى المستحدثة.

ثمّ إنه بالإضافة إلى ما تقدّم من التدليل على ذلك، والتنصيب عليه من قبل المصنّف في الأدلّة العامّة، استدلل أيضاً بفعل السيّدة زينب عليها السلام، حينما صدمت رأسها الشريف بمقدّم المحمل، وقد كرّر ذلك في مواضع كثيرة من كتابه، ومن جملة تلك المواضع ما جاء في قوله عند بيان بعض ما يُستحبّ فعله عند ذكر مصائب سيّد الشهداء عليه السلام: «وأما الكلام في مثل جرح الرؤوس أو الصدور بألّة من الحديد أو نحو ذلك، فمما يُعلم تحقيق الحال فيه في بعض المجالس، وهو المجلس المتضمّن لقضية نطح الصديقة الطاهرة زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام رأسها - في حضور الإمام - على خشب الهودج»<sup>(١)</sup>، وهو يُشير بذلك إلى التذييل الثالث من المجلس الثاني والعشرين من كتابه، وقد سبقت تفاصيله في الدليل الثالث من الأدلّة العامّة، فلاحظ.

ويقول في موضع آخر أيضاً، في معرض حديثه عن استجاب شقّ الجيوب ونمخش الوجوه كما سيأتي: «وكيف لا؟ فإنّ جملة كثيرة من الأخبار... قد دلّت على جواز ذلك في مصيبة سيّد الشهداء وروحي فداه، بل على كون ذلك وما فوقه، مثل لطم الصدور بالأحجار، وشقّ الرأس، ونحو ذلك، مما فُعل في حضور المعصوم، فيكون من جملة العبادات، بل من جملة أشرفها وأفضلها، فافهم»<sup>(٢)</sup>، وهو يُشير في مسألة شقّ الرأس إلى فعل السيّدة زينب عليها السلام المتقدّم في حضور الإمام المعصوم عليه السلام.

ثمّ إن المصنّف يستثني من هذا النحو من الممارسات، الأفعال التي قد تؤدّي إلى الموت أو تلف عضو من الأعضاء، وجزم بحرمتها في هذا الحال، حيث يقول: «ولكن لا يخفى عليك أن ذلك كلّهُ إنّما فيما لم يُخشّ التلف على النفس والأعضاء، وإلّا فيحرم قطعاً، والله أعلم بأحكامه»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ١٤١.

(٢) المصدر السابق: ج ٢، ص ٢٠٩.

(٣) المصدر السابق: ج ٣، ص ٢٤٩.

## ٢- الصياح وخمش الوجوه ولطم الصدور والضرب على الرؤوس بالأكف

### ٣- حثو التراب والرماد على الرؤوس وتطيين الوجه والجسد وشق الثياب ولبس السواد

جمعنا بين هذه الشعائر والممارسات المتنوعة تحت هذين العنوانين؛ لتقاربها في الممارسة والأداء، وتقاربها أيضاً في الأدلة والنصوص والروايات التي ساقها المصنّف لإثبات شعائريتها، ومضافاً إلى الأدلة العامة الماضية، أورد المصنّف روايات كثيرة في هذا الباب، يعتقد بتواترها وبلوغ مضمونها حدّ الضرورة الدينية والمذهبية.

ومن أهمّ ما ورد في كتابه من تلك النصوص والروايات ما يلي:

مارواه عن السيّد زينب عليها السلام في كربلاء قبل وقوع المعركة: «فقال زينب: وا ثكلاه! ينعي الحسين إليّ نفسه! قال: وبكى النسوة ولظمن الخدود وشققن الجيوب»<sup>(١)</sup>.

وهذا النصّ الذي يرويه أيضاً في السياق ذاته: «نظر إليها الحسين عليه السلام، فقال لها: يا أختي، لا يذهبنّ حلمك الشيطان، وترقرقت عيناه بالدموع، وقال: لو ترك القطا لنام. فقالت: يا ويلته! أفتغصب نفسك اغتصاباً؟! فذاك أقرح لقلبي، وأشدّ على نفسي، ثمّ لطمت وجهها، وهوت إلى جيبها فشقتّه، وخرّت مغشياً عليها»<sup>(٢)</sup>. وفي نصّ آخر مماثل: «فشقت ثوبها، ونشرت شعرها، ولطمت وجهها»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا نصّ آخر يتحدث عن حال النساء بعد مصرع الإمام الحسين عليه السلام: «فلما سمعن باقي الحريم خرجن، فنظرن إلى الفرس عارياً، والسرج خالياً، فجعلن يلظمن الخدود، ويشققن الجيوب، وينادين وا محمداه! وا عليّاه! وا فاطمته!...»<sup>(٤)</sup>.

ونصّ آخر يتحدث عن مرورهنّ على القتلى: «ثم أخرج النساء من الخيمة، وأشعلوا فيها النار، فخرجن حواسر مسلّبات حافيات باكيات، يمشين سبايا في أسر الذلّة، وقلن: بحقّ رسول الله إلا ما مررتم بنا على مصرع الحسين عليه السلام. فلما نظر النسوة

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف على قتلى الطفوف: ص ٤٩. الدرر بندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ٢، ص ١٤٥.

(٢) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٤. الدرر بندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ٢، ص ١٤٦.

(٣) الدرر بندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ٣، ص ٥٦.

(٤) المصدر السابق: ص ١٠٢.

إلى القتلى صحن، وضربن وجوههن»<sup>(١)</sup>.

وأيضاً من نصوص ما بعد المصراع: «وروي عن بعضهم: أنه كان للحسين بنت صغيرة، وكانت من بين تلك النساء جالسة حول أبيها، قابضة كتفه، وكفّه في حضنها، فتارة تشمّ كتفه، وتارة تضع أصابعه على فؤادها، وتارة على عينها، وتأخذ من دمه الشريف، وتُخَضّب شعرها ووجهها»<sup>(٢)</sup>.

وفي الكوفة بعد خطابات بنات الرسالة، ضجّ «الناس بالبكاء والنوح، ونشر النساء شعورهنّ، ووضعن التراب على رؤوسهن، وخمشن وجوههن، وضربن خدودهن، ودعون بالويل والثبور، وبكى الرجال، واتفوا الحاهم، فلم يرَ باكية أكثر من ذلك اليوم»<sup>(٣)</sup>. وفي مجلس يزيد، لما رأت السيّدة زينب عليها السلام الرأس الشريف «أهوت إلى جيبها فشقتّه»<sup>(٤)</sup>.

وفي خربة الشام حينما استيقظت صغيرة الحسين عليها السلام تريد والدها: «فعضم ذلك على أهل البيت، فضجّوا بالبكاء، وجدّوا الأحران، ولطموا الخدود، وحثوا على رؤوسهم التراب، ونشروا الشعور، وقام الصياح»<sup>(٥)</sup>.

وحينما عاد الركب الحسيني إلى المدينة ونادى الناعي: «يا أهل المدينة، هذا علي بن الحسين عليه السلام وإخوته وعمّاته قد نزلوا بساحتكم، وأنا رسوله إليكم. قال: فلم يبق في المدينة مخدرة إلا وبرزت من خدرها، ولبسوا السواد، وصاروا يدعون بالويل والثبور، فلم أرَ إلا باكيةً وباكية، ونادبةً وناعية»<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف: ص ٤٩. الدرر بندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ٣، ص ٢٠١.

(٢) الدرر بندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ٣، ص ٢٠٥.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٩١-٩٢. الدرر بندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ٣، ص ٢٢٩.

(٤) الحلي، ابن نفا، مثير الأحران: ص ٧٩. الدرر بندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ٣، ص ٣٦٠.

(٥) الدرر بندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ٣، ص ٤١١.

(٦) المصدر السابق: ص ٤٦٣.

وفي نصٍّ مماثل وفي السياق ذاته: «فما بقيت في المدينة مخدّرة ولا محجوبة إلا وبرزن من خدورهن، مكشوفة شعورهن، مخمّشة وجوههن، ضاربات خدودهن، يدعون بالويل والثبور وعظائم الأمور، فلم أرَ باكياً ولا باكياً أكثر من ذلك اليوم»<sup>(١)</sup>.

وقد تضمّنت هذه النصوص وغيرها الممارسات التالية:

- ١- لطم الخدود.
- ٢- خمس الوجوه.
- ٣- نتف اللحي.
- ٤- تلطّيح الوجه والشعر بالدماء.
- ٥- حثو التراب على الرؤوس.
- ٦- النوح والصياح.
- ٧- نشر الشعور.
- ٨- شقّ الجيوب.
- ٩- لبس السواد.
- ١٠- الدعوة بالويل والثبور.
- ١١- خروج المخدرات من خدورهن.

والذي يُفهم من مجموع إفادات المصنّف في هذا المجال أنه يرى:

أولاً: أنّ هذه النصوص الدالة على هذا النحو من الممارسات وأمثاله متواترة، ومما لا شكّ فيها، بل بالغة حدّ الضرورة، ولا معنى للولوج في حكاية الاعتبار السندي وعدمه<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ٤٦١. وأنظر أيضاً بالمضامين ذاتها لهذا النصّ وسابقه: ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١١٥.

(٢) إن دعوى بلوغ كلّ تلك الممارسات بتفاصيلها وعناوينها حدّ التواتر أو الضرورة، استناداً إلى تلك النصوص والروايات، عهدتها على مدّعيتها. نعم، للمصنّف أن يدّعي ثبوت التواتر الإجمالي، الذي لا يُثبت سوى بعض تلك الممارسات، كاللطم وشقّ الجيوب، وتفصيل الكلام موكول إلى محلّه.

ثانياً: أن هذه الأفعال والممارسات قد وقعت في محضر الإمام المعصوم عليه السلام من دون اعتراض منه على ذلك؛ مما يكشف عن إفضائه ورضاه<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: أن هذه النصوص وغيرها تكشف عن أن ما يقع في أفق هذه الممارسات، مما يكشف عن عظم المصيبة ويُذَكِّرُ بها، كَلِّهَ جَائِزٌ وَمَطْلُوبٌ<sup>(٢)</sup>.

ومن إفادات المصنّف في هذا المجال، التي يُشير فيها إلى أمثال ما أوردناه عنه من النصوص والروايات، ما تقدّم في قوله: «فوقوع كل هذه الأمور من الباكين والجازعين في مصيبيته... مما لا شكّ فيه، ومما تطلع على الأخبار المتضمّنة له في مواضع عديدة في جملة كثيرة من مجالس هذا الكتاب»<sup>(٣)</sup>، ومن جملة تلك المواضع ما أوردناه عنه من النصوص والروايات.

وفي موضع آخر، وبعد استعراضه لجملة من تلك الممارسات، في إشارة منه إلى ما أوردناه من النصوص والروايات، قال أيضاً: «بل إن استنباط كل ما أشرنا إليه من الأخبار الكثيرة وفقرات الزيارات الوفيرة - استنباطاً تطابقاً والتزاماً - مما لا يشكّ فيه العالم، العريض التبعّ، والشديد التيقّظ، بل يمكن أن يُقال: إن جواز كل ذلك - بل استحبابه - مما عليه السيرة والضرورة من المذهب»<sup>(٤)</sup>.

ثم إنّ للمصنّف دليلاً إضافياً مختصّاً بمشروعية لبس السواد واستحبابه في مصيبة سيّد الشهداء عليه السلام، وهو عبارة عن تلك القصة التي ينقلها المصنّف عن بعض مؤلّفات أصحابنا، من أنّه حُكي عن السيّد علي الحسيني، أنه كان مجاوراً لمشهد الإمام الرضا عليه السلام، وفي يوم العاشر من المحرم، وعند قراءة المقتل، ورد ذكر هذه الرواية عن

(١) ولكن لنا أن نتساءل: هل كان يتسنى للمعصوم عليه السلام - وهو في تلك الحال وبين شرّ أعدائه - الاعتراض على تلك الممارسات، لو كانت فيها مخالفة لحكم جزئي من الأحكام الشرعيّة؟!

(٢) لا يخلو هذا الاستنتاج من روائح القياس الباطل في مذهب أهل البيت عليهم السلام.

(٣) الدرر بندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ١٤١.

(٤) المصدر السابق: ج ٣، ص ٢٤٧.

الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال: «مَنْ ذرقت عيناه على مصاب الحسين عليه السلام، ولو كان مثل جناح البعوضة، غفر الله تعالى ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر»<sup>(١)</sup>، وقد استثقل أحدهم مضمون هذا الحديث وكذّبه، فنام الرجل، فرأى في منامه كأن القيامة قد قامت، والناس قد حُشروا للحساب، وفي هذا الحال، ومع شدة الحرّ، رأى حوض الكوثر، «وإذا عند الحوض رجلان وامرأة، أنوارهم تُشرق على الخلائق، وهم مع ذلك لبسهم السواد، باكون محزونون. فقلت: مَنْ هؤلاء؟ فقيل لي: هذا محمد المصطفى صلى الله عليه وآله، وهذا الإمام علي المرتضى، وهذه الطاهرة فاطمة الزهراء. فقلت: ما لي أراهم لا يلبس السواد وباكين ومحزونين؟ فقيل لي: أليس هذا يوم عاشوراء، يوم مقتل الحسين عليه السلام؟!»<sup>(٢)</sup>.

وفي مقام الاستدلال بهذه الرؤيا على مشروعية لبس السواد واستحبابه، يقول المصنّف - اعتماداً منه على ما أسّسه، من حجّية قول المعصوم وفعله وتقريره، ولو برؤيته في المنام<sup>(٣)</sup> -: «ثم لا يخفى عليك أنّ من جملة ما يدلّ على استحباب التلبّس بالملابس السود في عشرة عاشوراء، هو الرواية المتقدّمة، المتضمّنة لرؤية ذلك الرجل في منامه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام قد تلبّسوا بالملابس السود»<sup>(٤)</sup>.

#### ٤ - مراسم الشبيه (التمثيل)

خصّص المصنّف لهذه الممارسة والشعيرة الحسينية مقدّمة خاصّة من مقدّمات

(١) الرواية مروية في المصادر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، بهذا النصّ: «من ذكرنا عنده، ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب، غفر الله ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر». أنظر: البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج ١، ص ٦٣.

(٢) الدرر بندي، آقابن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ١٨٢-١٨٣.

(٣) لا يخفى ما في هذا الاستدلال من مؤاخذات، فالقصة لا نعلم مصدرها ولا حاكمها ولا صاحب الرؤيا فيها، مضافاً إلى غرابة الاستدلال بفعل المعصوم في منام شخص مجهول، وصفه حاكي القصة بالجاهل المركّب!!

(٤) الدرر بندي، آقابن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ١٨٨.

كتابه، وقد حرّر عنوان هذه الشعيرة ومضمونها بقوله: «المقدمة الخامسة: في الإشارة إلى تحقيق الحال فيما يُصنع في بلاد العجم، من بلاد فارس والتُّرك وغيرها، من التشبيهاً والمثل في شهر المحرّم، أي: من المثل والتشبيه لسيد الشهداء (روحي له الفداء)، وأشباه عترته وأصحابه ونسائه الطاهرات والبنات الفاطميّات، وهكذا تشبيهاً تلك الجسوم الطيبة الطاهرة المنبوذة في جملة من الأيام والليالي في أرض كربلاء، وهكذا التشبيهاً للرؤوس المقدّسة المرفوعة على رماح الزنادقة والكفّار، وهكذا المثل والأشباه لرؤساء أهل الضلال وأهل الزنادقة والإلحاد، مثل يزيد وابن زياد وابن سعد وجنودهم، لعنهم الله تعالى أجمعين»<sup>(١)</sup>. هكذا حرّر المصنّف مسألة الشبيه والمسارح الحسينية آنذاك.

ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان الحكم الشرعي في المسألة، واختار في حكمها الجواز، بل الاستحباب، وبدأ بالتأكيد على كونها من المسائل الابتلائية المستحدثة، وأنها لم تُبحث بحثاً فقهياً إلى زمانه، حيث يقول: «فاعلم أنّ هذه المسألة - مع كونها مما تشتدّ الحاجة إليها - لم يُبيّن الحال فيها في كلام أحد إلى الآن، وقد يُنقل عن بعض ما قاربنا عصره أنه كان يمنع عن ذلك، إلّا أن الوجه المنقول عنه في هذا المقام مما في غاية المدخولية»<sup>(٢)</sup>. بعد ذلك يحكي المصنّف استدلالاً على الجواز في المقام، يدور في الأروقة العلمية، ثم يناقشه، وقد نصّ على ذلك بالقول: «ثم إنّ الدائر في ألسنة الطلاب ونحوهم أن المدرك للجواز هو عموم (من أبكى). وفيه: أنّ هذا إنّما يصحّ لو كانت كلمة (من أبكى) في الأخبار المشتملة عليها واردة على نهج الإرسال والإطلاق، وليس الأمر كذلك، بل إنّها إنّما وردت في مقام إنشاد الأشعار وقراءة المراثي، فكيف يمكن الاستدلال بها في المقام؟! اللهم إلّا أن يُتمسك حينئذٍ بتفكيح المناط القطعي، والدلالة الالتزامية العرفية، وفيه ما لا يخفى على الفطن»<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ١٥٤.

(٢) المصدر السابق: ص ١٥٥.

(٣) المصدر السابق.

ثم انتقل بعدها إلى بيان أدلته على المشروعية والاستحباب، وشرع بتأسيس الأصل في هذه المسألة، وعطفاً على الأصل العام الذي أسسه في المقام كما تقدّم، اختار أن مقتضى الأصل العقلي والنقلي هو الجواز، لكون المقام من الشبهات الحكمية التحريمية، وعبارته المفصلة والواضحة تغنينا عن الإيضاح والبيان، حيث يقول: «والتحقيق في المقام هو أن يقال: إنه لا بدّ من تأسيس الأصل، ثم الإشارة ثانياً إلى أن المقام هل هو مما يوجد فيه على الإثبات أو النفي دليل أم لا؟»

فنقول: مقتضى الأصل الأوّل العقلي والنقلي هو الجواز؛ لأن شبهة هذا المقام من أفراد الشبهات التحريمية الحكمية، مع عدم سبق العلم الإجمالي في البين، فالأصل عند الأصوليين بأجمعهم هو البراءة والإباحة، كما أن الأصل عند الأخباريين - ما عدا الصدوق عليه السلام - هو الحظر والحرمة، وقد قرّر في محله أن الحقّ مع معشر الأصوليين»<sup>(١)</sup>.

بعد ذلك يؤكّد المصنّف على عموم هذا الأصل وشموله للممثّلين والناظرين والكوادر التي تعمل خلف الكواليس، حيث يقول: «فإن هذا الأصل يُلاحظ على نمط التعميم في المقام، بمعنى أنه كما يجري في شأن المشبّهين أنفسهم، في مقام الإتيان بالمثل والأشباه بالأبرار المقربين من الإمام وحزبه، فكذا يجري في شأن معشر الناظرين إليهم والحاضرين في المجالس المشتملة على الأمثال والأشباه، وكذا يجري في شأن من يسعى في هذا الأمر ويهيئ أسبابه»<sup>(٢)</sup>.

ثم انتقل إلى عرض الشواهد والأدلة الخاصّة على الجواز، المطابقة لأصالة البراءة عند الأصوليين، والرافعة لأصالة الحظر عند الأخباريين، قائلاً: «كلّ من كان من أهل التحقيق والنظر والتتبّع لا بدّ من أن يقول بالجواز، وإن كان من معشر الأخباريين، ومن حزب القائلين بالحظر والحرمة من حيث الأصل، وبيان ذلك: أن المقام مما فيه دليل

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق: ص ١٥٥-١٥٦.

مطابق لأصل الأصوليين، وارد على أصل الأخباريين ورود الأدلة المنجزة على الأصول المتعلقة<sup>(١)</sup>، أي: المتعلقة في حجيتها على عدم الأدلة الخاصة اللفظية المنافية لها. والدليل الخاص اللفظي في نظره، الوارد على أصالة الحظر، والرافع لموضوعه، هو ما يرويه المصنّف «عن ثقة الإسلام الكليني في كتاب الروضة من الكافي، ومضمونه ومعناه - على ما في خلدي الآن -: أنّ الكميت الشاعر دخل على الصادق عليه السلام، فقال: يا كميت، أنشد في جدّي الحسين عليه السلام. فلما أنشد الكميت أبياتاً في مصيبة الحسين عليه السلام بكى الإمام بكاءً شديداً، وبكت نسوة الإمام عليه السلام وأهله وحريمه وصحن في حجراتهنّ، فبينما الإمام في البكاء والنحيب، إذ خرجت جارية من خلف الستر من الباب الذي كان في سمت حجرات الحرم، وفي يدها طفل صغير رضيع، فوضعت في حجر الإمام عليه السلام، فاشتدّ حينئذٍ في غاية الاشتداد بكاء الإمام عليه السلام ونحيبه، وعلا صوته الشريف، وأعلنت النسوة الطاهرات والحرم أصواتهن بالبكاء والنحيب من خلف الأستار من الحجرات»<sup>(٢)</sup> (٣).

بعد ذلك انتقل إلى تقريب الاستدلال بالرواية، قائلاً: «وأنت خير بأن مقصود

(١) المصدر السابق: ص ١٥٦.

(٢) المصدر السابق: ص ١٥٦-١٧٥.

(٣) الظاهر أن هذه الرواية بهذا النصّ والمضمون، وبما فيها من محلّ الشاهد وموضع الاستدلال، لا وجود لها إلّا في خلد المصنّف عليه السلام وذاكرته، وهو المصدر الأوّل والأساس لها، ولا وجود لها، لا في روضة الكافي ولا في غيرها من المصادر السابقة عليه، فما جاء في روضة الكافي عن الكميت هذا الخبر: «عن الكميت ابن زيد الأسدي، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام، فقال: والله، يا كميت لو كان عندنا مال لأعطيناك منه، ولكن لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحسان بن ثابت: لن يزال معك روح القدس ما ذبيت عنّا». الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٨، ص ١٠٢. وهناك خبر آخر في الروضة أيضاً قريب المضمون مما ذكره المصنّف، ولكن عن المنشد سفيان بن مصعب العبدي، ومن دون أيّ ذكر لموضع الشاهد، وهو ما رواه الكليني بسنده: «عن سفيان بن مصعب العبدي، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام، فقال: قولوا لأُمّ فروة تحيي، فتسمع ما صنّع بجدها. قال: فجاءت، فقعدت خلف الستر، ثمّ قال: أنشدنا. قال: فقلت: (فروّ جودي بدمعك المسكوب)، قال: فصاحت، وصحن النساء». الكافي: ج ٨، ص ٢١٦. ولعلّ الذاكرة قد خانت المصنّف، فخلط بين هذه النصوص وبين نصّ آخر رآه أو سمعه من مصادره الأخرى التي لم تصلنا.

النسوة الطاهرات والحرم من إنفاذ ذلك الطفل من ذرية رسول الله ﷺ إلى حضرة الإمام عليه السلام، ما كان إلا تشبيهاً بعلي الأصغر الرضيع الشهيد (روحي له الفداء)، وذلك لتشتدّ بذلك الرقة في الباكين والباقيات، ويكثر البكاء والنحيب، فتقرير الإمام كقوله وفعله في الحجية، فإذا ثبت ورود ذلك في أصل الشرع في الجملة، ثبت الجواز، بل الاستحباب في كل ما أشرنا إليه؛ لعدم القول بالفصل»<sup>(١)</sup>.

ثم يُضيف المصنّف شاهداً آخر لإثبات المشروعية، قائلاً: «إنه يمكن أن يسترشد الفطن إلى حقّية ما قلنا من أمورٍ آخر أيضاً، وذلك مثل ما ورد في جملة من الأخبار: أنّ الله قد أرى جمعاً من الأنبياء والمرسلين ما يجري في كربلاء على عترة سيّد الأنبياء وآل خير الأوصياء، إراءة في عالم الظل والمثال، ومثل ما ورد أيضاً من أنّ الله تعالى خلق في السماء ملكاً بصورة أمير المؤمنين عليه السلام، كان الملائكة يزورونه إذا كانوا مشتاقين إلى صورة أمير المؤمنين عليه السلام، فلما ضربه ابن ملجم (لعنه الله) على رأسه، صارت تلك الضربة في صورته التي في السماء، والملائكة ينظرون إليه غداً وعشية، ويلعنون قاتله ابن ملجم. ولا يخفى عليك أن الاسترشاد من ذلك إلى ما قلنا يحتاج إلى نظر دقيق وفهم صائب، فتأمل»<sup>(٢)</sup>. وقد استدللّ المصنّف بأمثال هذه الشواهد والنصوص لإثبات مطلوبية التمثيل في مواضع كثيرة من كتابه<sup>(٣)</sup>.

بعد ذلك يؤكّد المصنّف على أنّ هذا الجواز هو حكم التشبيه من حيث هو، بغض النظر عمّا يُرافقه أو ما قد يؤدّي إليه من المحرّمات والمفاسد، وإلاّ فإنه يكون محرماً حينئذٍ، حيث يقول: «إن الحكم بجواز التشبيهات من حيث هي هي، لا يُنافي الحكم بحرمتها بالنظر إلى جملة من الجهات والعارض، فلا يخفى عليك أنّها تحرم إذا أدّت إلى

(١) الدرر بندي، آقاي بن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ١٥٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أنظر على سبيل المثال: ج ٣، ص ١٥٠-٥١.

جملة من المفسد، مثل إتلاف النفوس المحترمة ونحو ذلك»، وقد مثل لإتلاف النفوس بقصة وقعت في الهند لأشخاص قتلوا أنفسهم حينما رأوا موكباً لتمثيل الرؤوس والسبايا الطواهر.

وفي موضع آخر مثل المصنّف لذلك الاستثناء بتشبه الرجال بالنساء، الذي يجزم المصنّف بحرمة، فيكون التشبيه محرماً من هذه الحيثية، وقد أوضح هذه النقطة بالقول: «إنّ ما مرّ من الحكم بجواز التشبيهات إنّما كان بالنسبة إلى ملاحظة نفس التشبيهات، من حيث هي هي، ومع قطع النظر عن بعض الجهات، وإلا فقد يتّصف - بالنظر إلى بعض الجهات والعوارض - بالحرمة، وذلك مثل أنّ طائفة من المشبّهين أنفسهم بالنساء الطاهرات والبنات الفاطميات، يلبسون الملابس والثياب المختصة بالنساء، وهذا كما ترى مما لا شكّ في حرمة؛ إذ لم يرد في الشرع ما يدلّ على الاستثناء في هذا الباب، على أن المترجى المقصود يحصل بدون ارتكاب هذا المحرّم».

ثم يقول: «وأما تحيّل الاحتجاج في المقام ب: عموم (مَنْ أبكى)، وهكذا بالسيرة بين الشيعة... مما لا وجه له؛ لأن:

الجواب عن الأوّل: قد مرّ، على أنّ التعارض بين العمومات الدالّة على حرمة تلبس الرجال بما يختصّ بالنساء، وبين عموم (مَنْ أبكى) - أي: من الإطلاق المستفاد من لفظة (أبكى) - تعارض العامّين من وجه، فلا ريب في كون الترجيح من وجوه عديدة مع تلك العمومات<sup>(١)</sup>.

والجواب عن الثاني: بأنّ تلبس الرجال بملابس النساء وما يختصّ بهنّ، ما كان عادة مستمرّة في مقام التشبيهات، حتى تُعدّ من قبيل السيرة، على أنّ منع العلماء الجهال عن ذلك وعدم حضور المحتاطين منهم في المجالس المشتعلة على هذا النحو من التشبيهات، مما لا يمكن لأحد إنكاره، فنخذ الكلام بمجماعه وتأمل<sup>(٢)</sup>.

(١) ولعلّ من جملة هذه الوجوه: كثرة تلك العمومات واعتبارها وشهرتها.

(٢) الدرر بندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ١٥٨.

## ٥. ضرب الطبول والعزف بالآلات الموسيقية

حرّر المصنّف عنوان هذه الممارسات والطقوس بقوله: «في الإشارة إلى تحقيق الحال في ضرب الأبطال، وتصويت الطنابير والمزامير والبوقات، وما يشبه ذلك في مجالس التشبيهاً»<sup>(١)</sup>.

وقد حكم جازماً بحرمة هذه الممارسات في المراسم الحسينية، ودفع ما قد يُتوهم كونه دليلاً على المشروعية والجواز، حيث قال: «فاعلم أنّ الحكم بالحرمة في هذه الأمور هو مقتضى الأصول والقواعد المأخوذة من الكتاب والسنة والإجماع، فالمخصّص الوارد عليها مما لم يثبت في المقام<sup>(٢)</sup>، وأما تخيل أنّ تجويز تشبيهاً جمع من الكفار، كيزيد وابن سعد وشمر وجنودهم - لعنهم الله تعالى - مما يستلزم تجويز هذه الأمور، والتقريب غير خفيّ، على أنّ المقصود المترجى من التشبيهاً هو كثرة البكاء والنحيب، وشدة الرقة والصيحة والضجّة، فهذه الأمور كما ترى لا تحصل بدون تحقّق تلك الأمور في مجالس التشبيهاً من الخيالات الاعتبارية التي لا اعتداد بها».

ويُضيف قائلاً: «ثم إنّ أقبح ما يصنعه جماعة، أنهم يأتون في مجالس تشبيهاً الأعراس للقاسم بن الحسن عليه السلام بالطنبور، ويضربونه ويصوّتونه، فهذا وإن كان سبباً لشدة الرقة للعوام من الرجال والنساء، وكثرة البكاء والنحيب، وإعلان الصيحة والضجّة، إلّا أنّ الحكم بجواز ذلك لأجل ذلك، مما دونه خرط القتاد بأنامل»<sup>(٣)</sup>.

وبعد أن يسرد المصنّف مجموعة من الحكايات والقصص في هذا المجال، مما قد يُستكشف منه وجود سيرة لدى المشرعة على أمثال هذه الممارسات، يقول: «فإن قلت: إن جملة ما ذكرت وإن كانت تناسب المقام، إلّا أن الأليق الأحرى هو أن تذكر

(١) المصدر السابق: ص ١٥٩.

(٢) يُشير المصنّف بذلك إلى النصوص والروايات المتضاربة التي تُحرّم استعمال تلك الآلات الموسيقية. أنظر: الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٧، ص ٣١٢-٣١٨.

(٣) الدرر البندي، آقا بن عابد، أسرار الشهادات: ج ١، ص ١٥٩.

الأهم، وهو أن تكشف حقيقة الحال في قضية ضرب الطنابير والأطبال وتصويت المزامير والبوقات وما يشبه ذلك، فإن ما ذكرت كلام مختلط يذهب بعضه ببعض.

قلت: إني ما قصرت في تحقيق الحال وتبيين المقال، إلا أنني أقصر الكلام ها هنا، وأقول: إن هذه الأمور المذكورة إذا صارت سبباً لتنظيم المجلس وكثرة أهله والحاضرين فيه، ولشدة الرقة وكثرة البكاء والنحيب وغلبة الضجة والصيحة، فإني لا أقدم حينئذٍ إلى فتح باب الجسارة والتجري، بأن أقول: لا أحضر في هذا المجلس، أو أقول: بأن الحاضرين فيه يرتكبون المعصية من حيث حضورهم فيه واستماعهم لأصوات تلك الآلات، ومع ذلك لا أطرح الأصل الفقهي المذهبي الثابت بالأدلة، فهذا عجيب، إلا أنه عند الناظر إلى الأشياء بالعينين الصحيحتين، لا بعين واحدة سقيمة، ليس بعجيب»<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أن المصنّف قد فصل في الحكم بين المستعمل لتلك الآلات الموسيقية، فحكم بالحرمة، وبين الحاضرين والسامعين، فلم يتجرأ على الحكم بحرمة حضورهم في تلك المجالس، واستماعهم للموسيقى.

(١) المصدر السابق: ص ١٦٢-١٦٣.

## مَلَفُ الْعَدَدِ

# شَعَائِرُ مَرَامِ السَّمِّ الْحُسَيْنِيِّ .. الْمَصَادِيقُ وَالْمَفَاهِيمُ

- ◆ المراسم الحسينية بين عمومات الشعائر والتاصيل الفقهي المستقل
- ◆ مفهوم الجزع في الشعائر الحسينية
- ◆ بلاغة الراية والشعار في المواكب الحسينية.. دراسة في ضوء بلاغة الجمهور
- ◆ شعيرة لبس السواد في المنظار الفقهي
- ◆ الشعائر الدينية والمراسم الحسينية .. دراسة لغوية قرآنية في الانطباق المفهومي
- ◆ أهمية الزيارة في الشعائر الحسينية



## المراسم الحسينية بين عمومات الشعائر والتأصيل الفقهي المستقل

آية الله الشيخ مسلم الداوري\*

استثمرت مجلّة الإصلاح الحسيني فرصة الحوار مع سماحة آية الله الشيخ مسلم الداوري (حفظه الله)؛ وذلك إيماناً منها بضرورة عرض النتاج الفكري للمحققين والباحثين المتخصّصين، مع مراعاة أصول البحث العلمي والحوار الهادئ الرصين؛ للوصول إلى الحقيقة بكلّ حرفية وعقلانية، فكان لنا مع سماحته هذا الحوار:

**الإمام الحسين**: ابتداءً نشكركم سماحة الشيخ على إتاحة هذه الفرصة، ونأمل أن تكون مفتاحاً لفرص أخرى ومشاركات قادمة إن شاء الله.

نبدأ معكم سماحة الشيخ بالسؤال الأوّل: ماذا يُراد من مصطلح الشعائر في النصوص الدينية؟

(الشيخ الداوري): بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيّدنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين. أنا أيضاً بدوري أقدم لكم جزيل الشكر على هذا الاهتمام المتواصل بالعلماء، ونسأل الله تبارك وتعالى لكم التوفيق والسداد.

في البدء لا بأس ببيان مختصر لمعنى الشعائر في اللغة، ثمّ ملاحظة موارد استعمالها في الكتاب والسنة.

---

\* أستاذ البحث الخارج في الحوزة العلمية، في مدينة قم المقدّسة.

فعند الرجوع إلى أهل اللغة نرى أن الشعائر: جمع شعيرة، وهي من شعَرَ يشعُر شعراً وشعوراً. ويقال: استشعر الشيء: أحس به، واستشعر الثوب: لبسه شعاراً. والشعار: ما استشعرت به من اللباس تحت الثياب، سمِّي به؛ لأنه يلي الجسد، دون ما سواه من اللباس.

والشعار: ما يُنادي به القوم في الحرب؛ ليعرف بعضهم بعضاً، وأشعر فلان قلبي همماً، أي: ألبسه بالهم حتى جعله شعاراً للقلب. فالشعائر: كل علامة توجب الحسّ والمعرفة بشيء ما<sup>(١)</sup>. وهذا هو الموافق لما يفهم ويُستعمل عرفاً.

وشعائر الله: هي كل علامة توجب الحسّ والمعرفة بالله تبارك وتعالى، من خلال عظمته، وطاعته، والتوجه إليه.

والشعائر على أقسام: فتارة تكون الشعائر من شعائر الدين والإسلام، وأخرى تكون من شعائر الإيمان، وثالثة تكون من شعائر الناس، سواء أكانت حقاً أم باطلاً، كشعائر المسيحيين، أو البوذيين، أو غيرهم، أو الشعائر في الحروب التي تدلّ على تمييز الصديق عن العدو، فلا فرق في ذلك أن يكون منشؤها شخصاً واحداً أو أشخاصاً متعددين، كما في شعائر الدول، فإن لكل دولة شعاراً وعلماً خاصاً بها، يُميّز هذه الدولة عن سائر الدول، فلكلّ ملّة من الملل أو مذهب من المذاهب شعائر أو شعار، إمّا حقاً، وإمّا باطلاً. هذا من جهة اللغة والعرف.

وأما من جهة الكتاب، فقد ورد هذا اللفظ وما شابهه في خمس آيات:

١- قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(٢)</sup>.

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا

(١) أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين: ج ١، ص ٢٥١. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان

العرب: ج ٤، ص ٤١٣.

(٢) الحج: آية ٣٢.

جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾.

٣- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ

الْحَرَامِ وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُمْ﴾ (٢).

٤- قوله تعالى: ﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ (٣).

٥- قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ

وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ (٤).

فاستعمل لفظ الشعائر في الصفا والمروة، وكذلك في المشعر الحرام، وفي البدن، وفي الأخيرة قد نهى الله عز وجل عن إحلالها والتعرض لها.

وبما أن الآيات المباركة قد وردت في سياق آيات الحج، فقد فسر بعض كلمة (الشعائر) بمناسك الحج أو البدنة خاصة أو غيرها، مع أن معنى كلمة (الشعائر) أوسع من هذه المعاني جميعاً؛ إذ ثبت في علم الأصول أن المورد لا يُخصَّص الوارد، فالآية الكريمة: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، وإن وردت في سياق بيان الحج، إلا أنها بمنزلة كبرى كلية تشمل جميع ما يُذكر الإنسان بالله تعالى، من دون اختصاصها بالموارد التي ذُكرت في سياق الآيات المشار إليها سابقاً.

وقد ذكر الشيخ الطوسي رحمته الله في معرض تفسيره للآية الكريمة: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ...﴾، ثمانية أقوال في معنى الشعائر، وقد رجَّح القول بالعموم، والمعنى: لا تحلوا حُرُمَاتِ اللَّهِ، ولا تضيعوا فرائضه (٥)، فهو نهى عن إباحة كل ما يكون من معالم عبادته.

(١) البقرة: آية ١٥٨.

(٢) البقرة: آية ١٩٨.

(٣) الحج: آية ٣٦.

(٤) المائدة: آية ٢.

(٥) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، التبيين في تفسير القرآن: ج ٣، ص ٤١٨.

وقد قوّى هذا المعنى جماعة من المفسّرين أمثال الطبرسي في مجمع البيان أيضاً<sup>(١)</sup>، ومثلها ما ذهب إليه الفخر الرازي من أنّ شعائر الله عام في جميع تكاليفه غير مخصوص بشيء معيّن، فشعائر الله: دين الله<sup>(٢)</sup>، وهو ما استظهره من التعريف اللّغوي بمعنى كون الشعائر علامة على الشيء، وقد استدللّ الشهيد الأول بآية تعظيم الشعائر وآية تعظيم حُرّمات الله على تعظيم المؤمن بما جرت به عادة الزمان، وإن لم يكن منقولاً عن السلف؛ لدلالاتها على العموم<sup>(٣)</sup>.

والحاصل: أنّ كلّ شيء يكون معلماً لدين الله يُتقَرَّب به إلى الله تعالى، فهو شعيرة من شعائره تعالى؛ وذلك على كون المراد بالشعائر الجنس، فكُلّ معلّم لعبادته فإنّه مشعر لله عزّ وجلّ، يُذكّر الإنسان به سبحانه وتعالى وعظّمته في حال التوجّه إليه بتلك العبادة، وإنّ كلّ ذلك يُعدّ من الشعائر.

**الفتاوى الحسني**: ما وجه إضافة هذه الشعائر إلى الله تبارك وتعالى؟

(الشيخ الداوري): أمّا إضافتها إلى الله تعالى، فإنّه يُلاحظ فيها جهتان: جهة كونها معلّماً على الله عزّ وجلّ، وجهة كونها من الله عزّ وجلّ، فإذا كان المعلّم شعيرة وعلامة على الله وكانت معلّميّته من قبَل الله عزّ وجلّ، فهذا يكون من شعائر الله.

**الفتاوى الحسني**: ما هي الضوابط العامّة التي يمكن من خلالها تحديد الشعيرة؟

(الشيخ الداوري): لا إشكال في أنّ كلّ فعل أو عمل لا يمكن أن يُعدّ من الشعائر، بل لا بدّ للشعيرة من خواص وشروط تتوفّر فيها، منها:

١- أن تكون من الأمور الراجحة التي تُدب إلى فعلها أو تركها شرعاً، سواء أكان من المستحبات كإشعار البدنة، أم الواجبات كالسعي بين الصفا والمروة، فإذا كان الشيء محرّماً فعله، أو كان مباحاً بالمعنى الأخص أو مكروهاً، فلا يصلح أن يكون

(١) أنظر: الطبرسي، الفضل بن حسن، تفسير مجمع البيان: ج ١، ص ٤٤٣.

(٢) أنظر: الفخر الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير: ج ٤، ص ١٠٦.

(٣) أنظر: العامل، محمد بن مكي، القواعد والفوائد: ج ٢، ص ١٥٩.

من شعائر الله تعالى، ولا يمكن أن يُنسب إلى الله عز وجل.

٢- أن تكون من الأمور المميّزة، فليس كلّ حكم من المندوبات أو الواجبات التي لا يميّز بها الدين عن سائر المذاهب والأديان يصحّ أن يقال له: إنّه معلّم للإسلام. فالظاهر أنّ الموضوع لا بدّ أن يكون متضمناً لهذين الشرطين حتى يصدق عليه كونه معلماً وشعيرة من شعائر الله تعالى.

**الذات الحسنة**: هل الظاهر من قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْكُمْ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(١)</sup>، أنّ إنشاء الشعائر متوقّف على حكم الله عز وجل، أم أنّ للمعصوم عليه السلام والمتشرّعة والعرف دوراً في إنشائها وإيجادها كذلك؟

(الشيخ الداوري): وقع الكلام في أنّه هل لا بدّ من شرط رابع يميّز الشعيرة عن غيرها، وهو أن يكون إنشاء الشعائر من الله عز وجل، وأنّ الله عز وجل هو الذي يعيّن ويجعل شيئاً شعاراً؟ وبعبارة أخرى: هل العلمية والشعارية اعتباراً وإنشاءً شرعيّ، أم يمكن تحقّقها أيضاً بأمرٍ تكويني أو متشرّعي أو عرفي؟

فمن يقول بالأوّل يحصر الشعار بما يعيّنّه الشارع، ومن يقول بالثاني لا يحصر ذلك بجعل الشارع، وإنّ المعلّم والشعيرة يمكن تحقّقها بأمر تكويني، أو اعتباري عرفي متشرّعي.

واستدل على القول الأوّل بوجوه، أقواها وجهان، هما:

الوجه الأوّل: أنّ ظهور كلمة (شعائر الله) يمكن أن يُستفاد منها أمران:

الأمر الأوّل: أنّ الشيء يكون مشعراً ومعلّماً بالله عز وجل.

الأمر الثاني: أنّه معلّم وشعيرة من قبل الله تعالى، فإذا كان بجعلٍ من الله (جلّ شأنه)، فهو من شعائر الله، وأمّا إذا لم يكن من قبله تعالى، فلا يُطلق عليه أنّه من شعائر الله، بل شعيرة من الناس، وليس كلّ اعتبار من قبل أيّ أحدٍ يكون اعتباراً

(١) الحج: آية ٣٢.

وشعاراً من الله ﷻ، بل لا بد أن يكون اعتبار شعائريته وإنشائه من الله تعالى؛ حتى يصح إطلاق (شعائر الله) عليه.

الوجه الثاني: لو كانت الشعائر بيد العرف لا تتسع هذا الباب وترامى، ولما حُدِّ بحدِّ، فلو أُعطي الزمام للعرف والمتشّرة بأن يجعلوا لأنفسهم شعائر كيف ما شاؤوا أو اقترحوا، يلزم أن تطرأ على الدين تشرّعات جديدة، وأحكام مستحدثة، ورسوم وطقوس متعددة، حسبما يراه العرف والمتشّرة؛ وذلك يستلزم تأسيس دين جديد وفق ما تمليه عليهم رغباتهم وخلفياتهم الذهنية والاجتماعية.

أما القول الثاني: فقد استدلّ عليه بوجهين:

الوجه الأول: أنّ المستفاد من الآية الشريفة ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(١)</sup> - وإن كان بالنظرة الأولى كما ذكر - هو أنّ شعائر الله هي المعالم التي تكون من قبل الله ﷻ، ولكن مع الإمعان والدقة في المقام يظهر أنّ الشعائر: هي التي تكون علامة وشعيرة لله تعالى، فلا ينحصر جعلها بالله ﷻ، بل يكفي فيها واجديّة الأوصاف المتقدّمة، ومنها: كونها مندوباً إليها، وهذا المعنى يمكن أن نحصل عليه بقريتين:

الأولى: هي نفس المحمول، فإنّ تقوى القلوب التي تكون منشأً ودالاً على تعظيم واحترام الشعائر، لا تختصّ بالشعائر والمعالم التي تكون مجعولة من الله ﷻ، بل إذا كانت المبرزية مجعولة من قبل الرسول ﷺ، أو الإمام عليّاً، أو المتشّرة، فإنّها تقتضي ذلك أيضاً بلا ريب، فإنّ التعظيم والتبجيل لأحكام الله ﷻ - خصوصاً إذا كان علامة ومعلماً للإسلام والدين - لا ريب أنّه يدلّ على التقوى، وأنّ فاعله يكون مهتماً بالدين، ومخلصاً ومراعياً لحق الله تعالى؛ ومن ذلك يُعلم أنّ المراد بالشعائر هو جنس الشعيرة، وكلّ ما يكون معلماً ومميّزاً للدين الحنيف، فتعظيمه تعظيم للشعائر، وموردٌ ومصدقٌ للآية الشريفة، سواء أكان قد جُعِل من الله (عزّ وجل) مباشرة، أم بواسطة

(١) الحج: آية ٣٢.

نبيه ﷺ، أو الإمام علياً، أو نائبه من الفقهاء، أو المشرّعة من المؤمنين.

الثانية: ما يستفاد من القرائن الخارجية من أن ما ورد في الكتاب والسنة من إطلاق الشارع الشعائر على بعض المصاديق، كالبدنة، أو الصفا، أو المروة وغيرها، مما يوجب القطع بأن الكعبة أو مناسك عرفة والمشعر أيضاً من الشعائر، فإن أهميتها وكونها معلماً وميّزاً أمر واضح، بل أجلى من المذكورات، وكذلك ما ورد في الأحاديث، فإن إطلاق الشعيرة والشعائر على المصاديق الواردة فيها يؤدي إلى حصول الاطمئنان إلى أن المذكور في الآية هو جنس الشعيرة، ولا يتوقّف اعتبارها وإنشاؤها على الله تعالى، والروايات في هذا المجال كثيرة جداً، منها:

١- ما ذكره السيّد علي بن عبد الحميد، نقلاً من (كتاب الغيبة) للفضل بن شاذان، بإسناده إلى الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله عليه السلام - في حديث في أصحاب القائم عليه السلام - أنه قال: «وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنون أن يقتلوا في سبيل الله، شعارهم: يا لثارات الحسين عليه السلام، إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر»<sup>(١)</sup>.

٢- ما في جوامع الجامع: «ولا يكون الرجل مرئياً بإظهار العمل الصالح إن كان فريضة، فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام: (ولا غمّة في فرائض الله)؛ لأنّها شعائر الدين وأعلام الإسلام»<sup>(٢)</sup>.

٣- ما رواه الصدوق مرسلًا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «جاء جبرئيل عليه السلام إلى النبي ﷺ، فقال له: إنّ التلبية شعار المحرم، فارع صوتك بالتلبية: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنّ الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك [لبيك]»<sup>(٣)</sup>.

٤- ما رواه الصدوق أيضاً بإسناده عن الحسن بن علي عليه السلام: «فجعل الله عزّ وجلّ تلك الإجابة شعار الحجّ»<sup>(٤)</sup>.

(١) النوري، حسين، مستدرک الوسائل: ج ١١، ص ١١٤.

(٢) الطبرسي، الفضل بن الحسن، جوامع الجامع: ج ٣، ص ٨٥٣.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٣٨.

٥- ما رواه الشيخ الطوسي بإسناده عن معاوية بن عمار، عن الصادق عليه السلام في المناسك من المستحبات: «وإياك أن تشتغل بالنظر إلى الناس، وأقبل قبل نفسك... وليكن فيما تقول: اللهم ربّ المشاعر كلّها، فكّ رقبتي من النار، وأوسع عليّ من رزقك الحلال، وادراً عني شرّ فسقة الجنّ والإنس»<sup>(١)</sup>.

٦- نقل المحدث النوري عن بعض نسخ كتاب فقه الرضا عليه السلام: «وأكثر من التلبية... رافعاً صوتك، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: أتاني جبرئيل، فقال: مُر أصحابك أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية، فإنّه من شعار الحجّ»<sup>(٢)</sup>.

٧- ما جاء في تفسير العسكري عليه السلام: «وقال رجل للرضا عليه السلام: سل لي ربك التقية الحسنة، والمعرفة بحقوق الإخوان، والعمل بما أعرف من ذلك. فقال الرضا عليه السلام: قد أعطاك الله ذلك، لقد سألت أفضل شعار الصالحين ودثارهم»<sup>(٣)</sup>.

والحاصل: أنّ إطلاق الشعائر أو الشعار على هذه الموارد الكثيرة يُورث الاطمئنان بالعموم، وعدم الانحصار.

الوجه الثاني: ظهر مما تقدّم لزوم اعتبار ضوابط في الشعيرة، وأنّه لا بدّ وأن تكون مما تُدب إليها شرعاً، فإذا كانت أمراً مجموعاً ومحبوباً من قبل الشارع فكيف يُدعى أنّها بعد صدق الشعيرة عليها تكون بدعة، ويلزم من ذلك تشريع دين جديد؟! فلو قلنا: إنّ التحية بالسلام شعيرة للإسلام، وقد اعتبرها الناس شعاراً، فهل يلزم من ذلك دين جديد؟! أو يكون التعظيم والاهتمام بها بدعة؟!!

نعم، لا بدّ أن تكون شرعيتها ثابتةً قبل أن تصير شعاراً، كما أنّ السجود على التربة أمرٌ مطلوب شرعاً ومندوب إليه، فإذا صار السجود على التربة شعاراً، كما عند الإمامية، فليس هذا بدعة، ولا إدخالاً لما ليس من الدين في الدين ما دام يؤتى بها

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ١٨٢.

(٢) النوري، حسين، مستدرک الوسائل: ج ٩، ص ١٧٧.

(٣) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ص ٣٢٣.

بعنوان الاستحباب، وكذلك الاجتماع لقراءة القرآن، أو الدعاء، فكُلها من الدين، وليست خارجة عنه حتى يقال: إنها بدعة ودين جديد.

وعلى كل حال، فهذا الوجه مما يدل على أن القائل به لم يعرف معنى البدعة وحدودها، فيحكم على تعظيم ما هو مندوب ومشروع بأنه بدعة.

**الإمام الحسين**: ما هي أهم وأبرز مصاديق شعائر الله تعالى؟ وهل النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام من شعائر الله؟

(الشيخ الداوري): لا شك في أن النبي ﷺ والأئمة من أهل بيته عليهم السلام يُعدون من أبرز مصاديق شعائر الله؛ لأنهم من أعلام الدين ومعالمه، كما ورد في الزيارة الجامعة: «أعلاماً لعباده، ومناراً في بلاده»<sup>(١)</sup>، وفي زيارة الإمام الكاظم عليه السلام: «يا علم الدين والتقى»<sup>(٢)</sup>، وفي زيارة الإمام الجواد عليه السلام: «الذي نصبته علماً لعبادك»<sup>(٣)</sup>، وفي دعاء الندبة: «يا بن المعالم الماثورة»<sup>(٤)</sup>، و«أين أعلام الدين»<sup>(٥)</sup>، وأمثال هذه العبارات المشتملة على أنهم معالم دين الله وأحكامه، فتعظيمهم يكون تعظيماً لشعائر الله عز وجل. وهذا ما دلّت عليه الروايات الكثيرة في بيان فضلهم ومنزلتهم عند الله عز وجل، والدعوة إلى إحياء أمرهم<sup>(٦)</sup>، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال للفضيل: «تجلسون وتحدثون؟ فقال: نعم. فقال: إن تلك المجالس أحبها، فأحيوا أمرنا، فرحم الله من أحيى أمرنا...»<sup>(٧)</sup>.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٩٧.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، مصباح الزائر: ص ٣٧٨.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٩٦.

(٤) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ١، ص ٥١٠.

(٥) المصدر السابق: ص ٥٠٨.

(٦) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٠١. الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار

الرضا: ج ٢، ص ٣٠٦. الطبري، محمد بن جرير، دلائل الإمامة: ص ٢٩٩. الطوسي، محمد بن الحسن،

مصباح المتجهد: ص ٢٩١. ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ص ٨٧.

(٧) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٤، ص ٥٠١.

ولا شكَّ في أنَّ إقامة المجالس الحسينية، والمسيرات العزائية، وبذل الأموال في ذلك، من أجل إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام، يُعدُّ من أبرز مصاديق التعظيم لشعائر الله عز وجل؛ لأنَّ ذلك إحياء لدين الله، وشريعة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فإنَّ تلك الشعائر هي أحد أبرز الأسباب لحفظ الشريعة ونشرها، وحفظ العقائد الحقَّة؛ إذ لولا أهل البيت عليهم السلام لبقِيَ الإسلام بلا محتوى، بل لنُسي أيضاً.

باعتبار أنَّ التعظيم والتبجيل أمرٌ عرْفِي يختلف بحسب الموارد والعادات، فتعظيم الأستاذ يختلف عن تعظيم الوالد، وكذلك تعظيم الصديق يختلف عن تعظيم الأخ في نوع الأدب والاحترام، وكذلك تعظيم أحكام الله عز وجل. فتعظيم الواجبات هو العمل بها في أوقاتها، كما أنَّ تعظيم المحرَّمات هو الاجتناب عن الوقوع فيها، وعدم هتك حرمتها والمساس فيها، وتعظيم كتاب الله وآياته قراءتها والعمل بها، وتعظيم الأئمَّة عليهم السلام قبول قولهم، والتمسك بهم، وإطاعتهم، والقيام بخدمتهم، وزيارتهم، سواء أكانوا أحياء أم أمواتاً، وكذلك القيام بتعمير قبورهم، والاهتمام برواياتهم، وإقامة المجالس لإحياء ذكرهم، وبيان أحاديثهم؛ لقوله عليه السلام: «فرحم الله من أحبَّ أمرنا»، فإنَّ بيان مظلوميتهم، والبكاء عليهم، يكون تعظيماً لساحتهم. وقد ورد الحثُّ والترغيب الأكيد في الأحاديث في كلِّ ما يرتبط بهم عليهم السلام، ويُعدُّ كلُّ ذلك تعظيماً لهم عليهم السلام.

**الإفراج الحسيني**: يا حبَّذا لو تذكرون لنا موارد يمكن اعتبارها من أبرز مصاديق الشعائر الحسينية؟

(الشيخ الداوري): نعم، سؤالكم هذا ينقلنا إلى الحديث عن صغريات البحث في الشعائر، وبإمكاننا أن نشير إلى أبرز مصاديق الشعائر الحسينية، وهي:

### ١- زيارة مشهد الإمام الحسين عليه السلام

ويتأكد الرجحان حال المشي، فقد وردت الروايات الكثيرة الدالة على مطلوبة الزيارة وتأكيد حال المشي، ومنها: ما رُوِيَ عن الإمام الصادق عليه السلام: «مَنْ أتى قبر

الحسين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة»<sup>(١)</sup>.

## ٢- البكاء على مصائبه عليه السلام

فالبكاء سنة نبوية؛ إذ نقل لنا أن النبي صلى الله عليه وآله قد بكى على ولده إبراهيم، وعلى عمه حمزة، وعلى فاطمة بنت أسد، وعلى أمه آمنة بنت وهب، وعلى ابن عمه جعفر، وعلى زيد بن حارثة، وقد روي في موقف من مواقفه أنه أخبر من قبل الوحي عن ظلامة ولده الحسين عليه السلام ومقتله، فأكثر بالبكاء عليه، حتى أنه أبكى من حوله، وارتفعت أصواتهم بالضجيج<sup>(٢)</sup>، ثم قام وهو يقول: «اللهم إني أشكو إليك ما يلقي أهل بيتي بعدي»<sup>(٣)</sup>.

وعن الصادق عليه السلام: «إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليه السلام، فإنه فيه مأجور»<sup>(٤)</sup>.

## ٣- إقامة المجالس

فقد ورد في القرآن الكريم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾<sup>(٥)</sup>، فإن من أبرز مصاديق المودة إقامة المآتم لمصابهم، ومشاركتهم أفراحهم وأحزانهم، خصوصاً أبي عبد الله الحسين عليه السلام؛ لما جرى عليه في يوم عاشوراء من القتل والسلب والتنكيل بأهل بيته وأصحابه، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله لبكر بن محمد الأزدي - وقد ذكرنا سابقاً ما يقرب منه -: «تجلسون وتحدثون؟ قال: قلت: جعلت فداك،

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٥٥.

(٢) أنظر: ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ١، ص ١٣٧. الطبري، أحمد بن عبد الله، ذخائر العقبى: ج ٢، ص ١٦٣.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٧٧.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٠١-٢٠٢.

(٥) الشورى: آية ٢٣.

نعم. قال: إنّ تلك المجالس أحبّها، فأحيوا أمرنا، إنه من ذكرنا وذكّرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذبابة، غفر الله ذنوبه، ولو كانت أكثر من زبد البحر»<sup>(١)</sup>، بالإضافة إلى السيرة الجارية من قبل الأئمة عليهم السلام وأصحابهم في إحياء أمر الحسين عليه السلام.

#### ٤. لبس السواد في أيام مصائبه

يمكننا إدخال لبس السواد في المستحبات؛ لكونه مصداقاً لإظهار الحزن على مصابه عليه السلام؛ وقد ورد في عدّة مصادر رجحان ذلك، ومنها: ما رواه البرقي صحيحاً بسنده عن عمر بن علي بن الحسين عليه السلام، قال: «لما قُتل الحسين بن علي عليه السلام لبسن نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكنّ لا يشتكين من حرّ ولا برد، وكان علي بن الحسين عليه السلام يعمل لهنّ الطعام للمأتم»<sup>(٢)</sup>.

فهذه الرواية تدلّ على أنّ نساء بني هاشم لبسن السواد بمرأى الإمام زين العابدين عليه السلام، ولم يردع الإمام عن ذلك، وهذا يكشف عن رضاه بهذا الفعل، بالإضافة إلى فعل السيّدة زينب عليها السلام صاحبة الكمالات والفضائل والمؤيّدّة من قبل المعصوم عليه السلام.

#### ٥. لطم الخدود والصدور

نقل الطبري عن أبي مخنف تأثر السيّدة زينب عليها السلام عند سماع أخيها الحسين عليه السلام وهو ينشد:

يا دهرُ أفّ لك من خليلٍ      كم لك بالإشراقِ والأصيلِ  
من صاحبٍ أو طالبٍ قتيلٍ      والدهرُ لا يقنّعُ بالبديلِ  
وإنّما الأمرُ إلى الجليلِ      وكلُّ حيٍّ سالكٌ سبيلي

(١) الصدوق، محمد بن علي، ثواب الأعمال: ص ١٨٧.

(٢) البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج ٢، ص ٤٢٠.

فقد روى الطبري حوارها مع أخيها الحسين عليه السلام، وقد جاء فيه: «بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله، استقتلت، نفسي فداك؟! فردَّ غصته وترقرت عيناه، وقال: لو ترك القطا ليلاً لنام. قالت: يا ويلتي أفتغصب نفسك اغتصاباً؟! فذلك أقرح لقلبي، وأشدّ على نفسي، ولطمت وجهها...»<sup>(١)</sup>، ورواه الشيخ المفيد في الإرشاد<sup>(٢)</sup>، وقد نُقل عن العامة أنّ عائشة ضربت وجهها عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله<sup>(٣)</sup>.

وهناك أيضاً شعائر أخرى ربما يطول المقام بنا عند ذكرها والاستدلال عليها، كإطعام الطعام، وسقي الماء، وإنشاد الشعر، والصرخة، وغيرها. وكذلك يمكن الاستدلال بأن الأصل في الأشياء هو الإباحة والجواز، فكل شيء حلال حتى تعلم حرمة، فما لم يقم دليل على حرمة في الشريعة فهو محكوم بالحلية، وعليه، فكل هذه الشعائر مندرجة تحت هذا الأصل بلا إشكال.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣١٩.

(٢) أنظر: المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٣-٩٤.

(٣) أنظر: ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٦، ص ٢٧٤. أبو يعلى، أحمد بن علي، مسند أبي يعلى: ج ٨،

ص ٦٣. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٢، ص ٤٤١.



## مفهوم الجزع في الشعائر الحسينية

د. الشيخ فلاح الدوخي\*

### مقدمة

تُعدّ مظاهر الحزن والجزع من أهمّ العوامل التي ساهمت في خلود النهضة الحسينية، ولطالما كانت تلك المظاهر تجسيداً للتفاعل الحي بين المجتمع الإسلامي بكافة أطيافه وبين تلك النهضة المعطاء، مما انعكس في حياة الأمة التزاماً فكرياً وسلوكياً بالمثُل والقيم التي ضحّى من أجلها الإمام الحسين عليه السلام، ويقف الإصلاح على رأس تلك القيم والمبادئ، ولا يتحقق الإصلاح المنشود إلا إذا كانت الشعائر الحسينية، ومنها الجزع، ضمن الحدود الشرعية، والأطر التي ترسمها الأهداف المتوخاة من النهضة الحسينية؛ من هنا جاءت هذه المقالة لتحديد مفهوم الجزع وحكمه في الشعائر الحسينية، في خطوة تهدف إلى إصلاح تلك الشعائر بما يتناسب ومبادئ تلك النهضة المباركة؛ وذلك بعد تحديد المعايير المفهومية والمصدقية للجزع على الإمام الحسين عليه السلام، وإسقاط تلك المعايير على ممارساتنا وشعائرنا الحسينية.

### ثلاث نقاط تمهيدية

#### أولاً: لمحة عن مفهوم الشعائر الحسينية

الشعائر مفرد شعيرة، «والشعائر أعمال الحجّ، وكلّ ما جُعِلَ علماً لطاعة الله تعالى...»

---

\* دكتوراه في الفقه المقارن، أستاذ في جامعة المصطفى العالمية، من العراق.

وشعار القوم في الحرب: علامتهم؛ ليعرف بعضهم بعضاً<sup>(١)</sup>. «وأشعرته فشعر، أي: أدريته فدرى<sup>(٢)</sup>. فكل شيء لله تعالى فيه أمرٌ أشعر به وأعلم يقال له: شعار، أو شعائر<sup>(٣)</sup>، و«شعائر الله أعلام دينه»<sup>(٤)</sup>، فهي تمثل معالم دين الله، «والأعلام التي نصبها لطاعته»<sup>(٥)</sup>.

والشعائر الحسينية هي ممارسات دينية، يفعلها الشيعة تعبيراً عن شدة حزنهم على ما حدث للحسين عليه السلام في واقعة كربلاء المؤلمة، وإظهاراً للمودة أهل البيت عليهم السلام، المطلوبة في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾<sup>(٦)</sup>.

ولا تنحصر الشعائر عند الشيعة بإظهار الحزن والمودة، فلها جملة من الأهداف، سنشير إليها لاحقاً باختصار، وهذه الشعائر لا ترتبط بزمن محدد، لكنها تشتد وتقوى في شهري محرّم وصفر، ويكون أعظمها في يوم العاشر من محرّم، ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، وثلة من أهل بيته وصحابته.

وما دامت الشعيرة تعني العلامة الدالة على الله تعالى، والطريق إلى طاعته، فإن الشيعة تعتقد أنها من مصاديق قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(٧)</sup>، فهذه الآية ظاهرها العموم، وإن جاءت في سياق الحج، فكل ما يكون دالاً كذلك يُعدّ من الشعائر.

والشعائر الحسينية تمثل امتداداً لسيرة الحسين عليه السلام وسلوكه وتضحيته في سبيل الدين، بل إنّ أعظم أعلام الدين هم النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، وقد وردت في ذلك

(١) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح: ص ١٨٠.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٤، ص ٤٠٩.

(٣) أنظر: القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن: ج ١٢، ص ٥٦.

(٤) البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي): ج ٣، ص ٢٨٧.

(٥) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ٧، ص ١٥٠.

(٦) الشورى: آية ٢٣.

(٧) الحج: آية ٣٢.

روايات كثيرة، فتعظيمهم وإبداء الاهتمام بهم مما لا شك في رجحانه شرعاً، وهذا التعظيم يتناسب مع إحياء أمرهم، والانقياد لهم.

### ثانياً: نبذة من تاريخ الشعائر الحسينية

وقد اشتهر الشيعة بإقامة الشعائر الحسينية منذ وقت بعيد، حتى أضحت جزءاً من هويتهم المذهبية، فهي ليست وليدة العصر الراهن، بل تعود جذورها الأولى إلى زمان النبي ﷺ، فقد روي أنه ﷺ أول من بكى على الحسين عليه السلام<sup>(١)</sup>.

إن ذكرى عاشوراء مرت بمنعطفات كثيرة، وجملة من التحوّلات والتغيّرات، وحظيت بالخلود والاستمرار، وقد تفاعل الناس معها بازدياد مدهش، وقد كان للطبيعة المأساوية والمؤلمة لأحداث الثورة وتفاصيلها، وعمق البشاعة والانتهاكات التي حصلت لقائدها ولأسرته وأصحابه، كان لذلك الدور الأبرز في بقاء هذه الذكرى متوهجة، وكأنها قد حدثت اليوم، فقد كانت الثورة الحسينية من بدايتها حتى نهايتها فاجعة مدوية، تُثير الألم والأسى، والحزن العميق في القلوب والنفوس، فما حدث للإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأنصاره وأصحابه من مأس مخزنة، ونهايات مؤلمة، يُكسب الذكرى جاذبية بالغّة على الصعيد الإنساني، فكل من يطّلع على أحداث كربلاء - وإن لم يكن مسلماً - يتفاعل ويتضامن إنسانياً مع مظلومية الإمام الحسين وأهل بيته عليه السلام وأصحابه الذين استشهدوا بين يديه، ويستنكر ما تعرّضت له

(١) روى أحمد في مسنده عن نجى الحضرمي أنه سار مع علي عليه السلام، وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين، فنادى علي: اصبر أبا عبد الله، اصبر أبا عبد الله بشط الفرات. قلت: وما ذلك؟ قال: دخلت على النبي (صلى الله عليه وسلم) ذات يوم وإذا عيناه تذرفان، قلت: يا نبي الله، أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبريل عليه السلام، قال: فحدثني أنّ الحسين يُقتل بشط الفرات، قال: فقال: هل لك أن أشمك من تربته؟ قلت: نعم. قال: فمدّ يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا. قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى والبخاري والطبراني، ورجاله ثقات. ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد: ج ١، ص ٨٥. الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٨٧.

النساء والأطفال من التشريد والأسر والأذى النفسي والجسدي بما يُدمي القلوب، ويثير الأسى والألم العميق.

هذا مضافاً إلى عنصر آخر لا يقلُّ أهميةً عن الطبيعة المأساوية، وهو اهتمام أئمة أهل البيت عليهم السلام بإحياء هذه الثورة، وتذكير الناس بتفاصيلها المفجعة؛ لإبقاء ذكرى عاشوراء حيّة في ضمير الأمة؛ وربما يكون ذلك من العوامل المهمة جداً في خلود هذه الثورة العظيمة، واستفادة البشرية من مكاسبها ونتائجها، واستلهام قيمها ومبادئها. وأول مَنْ خطَّ للتذكير بمقتل الحسين عليه السلام هو الإمام السجاد عليه السلام، فهو أول مَنْ وضع أساس تخليد الثورة الحسينية بعد استشهاد أبيه عليه السلام على مدى ثلاثين سنة كما في الروايات، وكان دائم البكاء والتحرُّس على ما حلَّ بأبيه وآله في كربلاء، ولم يكن ذلك مجرد حالة عاطفية فقط، تُمثِّل حزن الولد على أبيه، فإن السجاد عليه السلام إمام معصوم، وعواطف المعصوم تخضع لإرادته وفق منطق العقل والحكمة، ولا تتحكَّم بحياته، فالحالة التي كان عليها الإمام زين العابدين عليه السلام ليست حالة عادية.

ثمّ تتابع بعد ذلك تقنين العاطفة تجاه ثورة الحسين عليه السلام واستشهاده، ففي عهد الإمام الباقر عليه السلام كان الإمام يوجّه شيعته للاهتمام بيوم العاشر من محرّم بإحياء ذكرى سيّد الشهداء في ذلك اليوم من كلّ عام، وفي عهد الإمام جعفر الصادق عليه السلام أصبح الأمر مألوفاً وامتدّ أولاً؛ ولذلك نجد الإمام الصادق عليه السلام يلتفت إلى بكر بن محمد الأزدي - أحد أصحابه - ويقول له: «تجلسون وتحدّثون؟ قال: نعم، جعلت فداك. قال عليه السلام: إن تلك المجالس أحبُّها، فأحيوا أمرنا»<sup>(١)</sup>.

فقد كان الأئمة عليهم السلام يدعون في مناسبات متعددة إلى إحياء عاشوراء، وإنشاد الشعر، وإقامة مجالس العزاء، ويحثّون على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، والبكاء عليه، وخدمة زوّاره، وقد وردت في كلّ ذلك أحاديث وروايات كثيرة، كقول النبي صلى الله عليه وآله:

(١) المفيد، محمد بن محمد، الأمالي: ص ٣٢.

«كَلَّ عَيْنَ بَاكِيةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا عَيْنَ بَكَتَ عَلَى مَصَابِ الْحُسَيْنِ...»<sup>(١)</sup>. وقول الإمام الصادق عليه السلام: «لَا يَذْكُرُهُ مَوْمنٌ إِلَّا بَكَى»<sup>(٢)</sup>. وكان الإمام الصادق عليه السلام يحثُّ على إنشاد الشعر في الإمام الحسين عليه السلام وباقي الأئمة الأطهار عليهم السلام؛ فقد قال عليه السلام: «مَنْ قَالَ فِيْنَا بَيْتَ شَعْرِ بَنِي اللَّهِ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»<sup>(٣)</sup>. وروى ابن قولويه في كامل الزيارات عن علي بن الحسين عليه السلام قوله: «أَيُّمَا مَوْمنٌ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ دَمْعَةً، حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ، بَوَّأَهُ اللَّهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ غَرْفًا يَسْكُنُهَا أَحْقَابًا، وَأَيُّمَا مَوْمنٌ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ، حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ فِيْنَا، لِأَذَى مَسَّنَا مِنْ عَدُونَا فِي الدُّنْيَا، بَوَّأَهُ اللَّهُ بِهَا فِي الْجَنَّةِ مَبْوَأً صَدَقَ، وَأَيُّمَا مَوْمنٌ أذَى فِيْنَا، فَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ حَتَّى تَسِيلَ عَلَى خَدِّهِ مِنْ مَضَاضَةٍ مَا أَوْذَى فِيْنَا، صَرَفَ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ الْأَذَى، وَأَمَّنَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَخَطِهِ وَالنَّارِ»<sup>(٤)</sup>.

وهكذا نجد أنه مع مرور الزمن قد اتسعت قضية الإمام الحسين عليه السلام أفضياً وعمودياً، فقد حصل توسع من حيث الطبيعة الجغرافية، بما تضم من زخم بشري، فتحققت معرفة واسعة لقضية الحسين عليه السلام، وانتشرت تفاصيل ثورته في أغلب أنحاء العالم، بما تحمل من تجسيد، وصورة مؤلمة، ومواقف بطولية تهزَّ الوجدان، وبما تُحْيِي من قيم الإسلام ومبادئه، كما اتسعت زمانياً وتاريخياً، فلم تقتصر على زمان سابق، بل أضحت العزاء في شهر محرم في كلِّ زمان، وفي أيِّ منطقة يقطنها موالون ومحبون لأهل البيت عليهم السلام، تجد إحياءً واحتفالاً حزيناً لذكرى الحسين عليه السلام.

وهذا العنصر الثاني قد ساهم في تحويل ذكرى عاشوراء إلى رمز ديني كبير، له الكثير من الدلالات والمفاهيم العقدية، والفكرية، والأخلاقية، والسياسية، وهو الأمر الذي ساهم في إبقاء الثورة الحسينية متوقدة في وجدان الأمة، مهما تقادم الزمن وتغيَّرت الظروف.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٩٣.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢١٤.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا: ج ١، ص ١٥.

(٤) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٠١.

### ثالثاً: الأهداف المتوخاة من إقامة الشعائر

هناك جملة من الأهداف لإقامة الشعائر الحسينية، ومعرفة هذه الأهداف يُحقق فهمًا أعمق لسبب استمرار هذه الشعائر، بل وتجدها في كل سنة بنحو أشد من السابق، وفي ضوء هذه الأهداف يتحدد أيضاً مفهوم الجزع في الشعائر كما سوف يأتي لاحقاً.

**الهدف الأول:** هو هدف نفسي يتمثل في إبداء المودّة والتعاطف مع ما حدث من ظلم وتعسف وبشاعة وهمجية، قلّ نظيرها في التاريخ بحق أهل البيت عليهم السلام، إذن هو تعزية في المصاب المؤلم لمجموعة من الأشخاص تعتبرهم أقرب الناس إليك بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وتتسابق في تقديم العزاء لهم في ذكراهم الحزينة، كما تشاركهم أفراحهم، وهذا يستبطن مسألة اعتقاد الشيعة بأن هذه الثلّة الطاهرة تتمتع بحياة أشبه ما تكون بهذه الحياة الدنيا، وأن ما عرض عليهم من الموت لا يدلّ على فناءهم وانعدامهم، كما أخبر الله تعالى عن الشهداء بأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، فالنبي صلى الله عليه وآله وشهداء أهل بيته عليهم السلام أولى بأن يحيوا حياة الشهداء، وفي هذا السياق روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «يعزُّ على رسول الله مصرعهم، ولو كان في الدنيا يومئذ حياً لكان (صلوات الله عليه وآله) هو المعزى بهم، وبكى أبو عبد الله عليه السلام حتى اخضلت لحيته بدموعه»<sup>(١)</sup>.

**الهدف الثاني:** هو الحصول على الثواب الجزيل؛ لما ورد من روايات كثيرة جداً تحثّ على مشاركتهم الحزن، وإقامة العزاء لهم، والبكاء عليهم، وأنّ الفاعل لذلك له المزيد من الثواب والمغفرة والعتق الإلهي، وهذا الهدف بحدّ ذاته يفسّر كثيراً مما يتعلّق بخلود الشعائر الحسينية.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٦٣.

الهدف الثالث: أن إقامة العزاء يعتبر ممارسة إعلامية، تكشف عن أهمية دور الأئمة في حياة الناس، وفي الدين عموماً، وأن الحسين الشهيد عليه السلام إنما ثار على الظلم وعدم ممارسة الدين عملياً بشكل سليم، بنحو يحقق العدالة الاجتماعية والاقتصادية ونحو ذلك، وهذا من أهم الأهداف وأشرفها، ويترتب على هذا الهدف كثير من الأهداف الفرعية، منها: تربية جيل مؤمن بقضية الحسين عليه السلام وبمشروعه الثوري القائم على رفض الاضطهاد وظلم الحكام والطغاة.

بعد هذه المباحث التمهيدية الثلاث، يتسنى لنا أن ندخل في المطالب الأساسية التي يستهدفها هذا المقال، وذلك في إطار العناوين الآتية:

### الجزع لفة

في لسان العرب: «الجزعُ نقيضُ الصبرِ، جزعٌ بالكسرِ، يجزَعُ جزعاً فهو جازعٌ، وجزعٌ وجزعٌ وجزوعٌ...»<sup>(١)</sup>.

وفي معجم مقاييس اللغة: «الجيم والزاء والعين أصلان: أحدهما الانقطاع، والآخر جوهراً من الجواهر، فأما الأول فيقولون: جزعتُ الرملة إذا قطعتها، ومنه: جزع الوادي، وهو الموضع الذي يقطعُه من أحد جانبيه إلى الجانب... والجزعُ: نقيض الصبر، وهو انقطاعُ المنة عن حمل ما نزل... وأما الآخر فالجزعُ، وهو الخرزُ المعروف»<sup>(٢)</sup>.

وفي المصباح المنير: «جزعتُ الوادي (جزعاً) من باب نفع: قطعته إلى الجانب الآخر... و(جزع) (جزعاً) من باب تعب فهو (جزع) و(جزوع) مبالغة: إذا ضعفت منته عن حمل ما نزل به ولم يجد صبراً»<sup>(٣)</sup>.

وفي المفردات للراغب: «والجزع هو حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ٨، ص ٤٧.

(٢) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ١، ص ٤٥٣.

(٣) الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير: ج ١، ص ٩٩.

عنه، وأصل الجزع قطع الحبل من نصفه، يقال: جزعته فانجزع، ولتصور الانقطاع منه قيل جَزَعُ الوادي لمنقطعه، ولانقطاع اللون بتغيّره. قيل للخز المتلون جَزَعٌ<sup>(١)</sup>.

## الفرق بين الجزع والحزن

قال المناوي (ت ١٠٣١ هـ) في التوقيف: «الحزن (بالفتح): ما غلظ وخشن من الأرض، و(بالضم): الغم الحاصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب في الماضي، ويضاده الفرح، وعند الصوفية: انكسار الفؤاد لفوات المراد، وقيل: زوال قوة القلب لدوام وارد الكرب»<sup>(٢)</sup>.

وفي المفردات للراغب (ت ٥٠٢ هـ): «الجزع أبلغ من الحزن؛ فإن الحزن عام، والجزع: هو حزن يصرف الإنسان عمّا هو بصدده، ويقطعه عنه»<sup>(٣)</sup>.

وقال الكفومي (ت ٦١٦ هـ) في الكليات: «أمّا الحزن فهو: غم يلحق من فوات نافع، أو حصول ضار»<sup>(٤)</sup>، وقال: «الجزع، بفتح الحين: حزن يصرف الإنسان عمّا هو بصدده ويقطعه عنه، وهو أبلغ من الحزن؛ لأنّ الحزن عام»<sup>(٥)</sup>. فيشمل ما يصرف الإنسان وما لا يصرفه عمّا هو بصدده.

فالحزن غير الجزع، الحزن: من الرحمة التي أودعها الله في نفوس عباده، تُرَقِّق مشاعرهم، وتَهْدِبُ نفوسهم، وتعطف بعضهم على بعض. والجزع: ضعف يهزّ المشاعر، ويحطّم النفوس ويذهب بصلابتها أمام النوازل، وهو الذي يحمل صاحبه على ترك الأعمال المشروعة عند المصيبة، والأخذ بعادات وأعمال مذمومة ضارّة، ينهى عنها الشرع، ويستتبعها العقل.

(١) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٩٢.

(٢) المناوي، محمد المدعو بعبد الرؤوف، التوقيف على مهيات التعاريف: ص ١٣٩.

(٣) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن: ص ٩٢.

(٤) الكفومي، أيوب بن موسى، كتاب الكليات: ج ١، ص ٤٢٨.

(٥) المصدر السابق: ص ٣٥٤.

وقد يقال: الفرق بين الجزع والحزن أن التأثر والاضطراب في الحزن يكون في الباطن، وهو لا ينافي الصبر ظاهراً، بخلاف الجزع<sup>(١)</sup>.

وقال أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) في الفروق اللغوية: «وصبر الرجل: حبس نفسه عن إظهار الجزع، والجزع إظهار ما يلحق المصاب من المضض والغم»<sup>(٢)</sup>.

### الجزع في القرآن الكريم

ذكر الجزع في القرآن مرتين:

في قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا

لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾<sup>(٤)</sup>.

يقول الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) في تفسيره: «والجزع: انزعاج النفس بورود ما يغم. ونقيضه الصبر»<sup>(٥)</sup>.

ويقول الآلوسي: «والجزع: حزن يصرف عما يراد، فهو حزن شديد. وفي البحر: هو عدم احتمال الشدة، فهو نقيض الصبر»<sup>(٦)</sup>.

ويقول الفخر الرازي: «إن كان في مصيبة اقتصر عليه باسم الصبر، وبضادته حالة تُسمّى الجزع والهلع، وهو: إطلاق داعي الهوى في رفع الصوت، وضرب الخد، وشقّ الجيب وغيرها»<sup>(٧)</sup>.

(١) أنظر: المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ٢، ص ٨٢.

(٢) أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله، الفروق اللغوية: ص ٢٠٠.

(٣) إبراهيم: آية ٢١.

(٤) المعارج: آية ١٩-٢٠.

(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٦، ص ٢٨٨. الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان: ج ٦، ص ٦٩.

(٦) الآلوسي، محمود بن عبد الله، تفسير الآلوسي: ج ١٣، ص ٢٠٧.

(٧) فخر الدين الرازي، محمد بن عمر، تفسير الرازي: ج ٤، ص ١٧١.

## المعنى الراجع للجزع

ونخلص إلى نتيجة أنّ الجزع: حالة من الحزن والانزعاج الشديد، تنتاب الإنسان نتيجة تعرّضه لصدمة نفسية، ناتجة من مصيبة حلّت به، كفقد حبيب بعد تعلّقه الشديد به، وغير ذلك من أنواع المصائب، بحيث يكون الإنسان ضعيفاً، يفقد الصبر والهدوء، والثبات والتماسك، والطمأنينة والتحمّل، ولا يتمكن من كتم حزنه، بل يظهر هذا الحزن خارجاً، معبراً عنه تارةً برفع الصوت بالبكاء، المسمّى بـ(النوح)، وتارةً مع الصراخ، المسمّى بـ(العويل)، أو يكون الإظهار بتكرار ذكر محاسن المفقود، المسمّى بـ(الندب)، ورابعة بأن يدعو على نفسه بالويل والثبور، وقد يكون ذلك من خلال الفعل، كما لو قام بضرب وجهه أو جبينه، أو ضرب رأسه بجدار مثلاً، أو يُمزق ثوبه، أو يترك الطعام، وغير ذلك.

## تنوع الجزع خارجاً تبعاً لاختلاف مصاديقه

مفهوم الجزع ليس من المفاهيم ذات المصاديق المحددة، بل تتعدّد مصاديقه خارجاً، ومعيار هذا التعدّد هو العرف، فما يراه العرف مصداقاً للجزع فهو، وإلّا فلا، فربما يكون أحد المصاديق في نظر عرفٍ ما جزءاً، لكنّه ليس جزءاً في عرفٍ آخر، فقد يكون اللطم على الصدر جزءاً في عرفنا - مثلاً - لكنّه ليس كذلك في عرف دول بعيدة عنّا، بل ربما يُعدُّ مثاراً للسخرية والتهكّم.

وفي الوقت الذي تتوسّع فيه هذه المصاديق وتكثر بشكل أفقي، قد تتولد في عموم الزمن مصاديق جديدة للجزع، وقد يكون مصداقٌ في زمن ما جزءاً، لكنّه في زمن لاحق لا يكون كذلك؛ والمحصّلة أنّ الجزع ما دام معياره العرف، فهو مما لا يمكن أن يتحدّد وينضبط في تطبيقات خاصة.

ومن هنا ربما لا يكون اللطم على الصدور - مثلاً - يوماً ما مصداقاً عرفياً للجزع؛ لأنّه لم يكن معروفاً آنذاك، لكنّه في زمن لاحق يصبح مصداقاً، أي: إنّ العرف يراه كذلك، وقد لا يرى العرف في أمور مستجدة - على ما سوف يأتي لاحقاً - أنّها مصاديق للجزع، كالمشي على الجمر، أو تطيين الجسم - مثلاً - ونحو ذلك.

## الجزع حالة عفوية

عطفاً على ما تقدّم من أنّ المعيار في صدق الجزع خارجاً هو العرف، وما تقدّم أيضاً في تعريف الجزع من أنّه: حالة من الحزن الشديد، تدفع بصاحبها للتصرف بما يصدق عليه أنّه جزع، وأنّه ضدّ الصبر. تجدر الإشارة إلى أنّ هذه التصرفات - سواء كانت قولاً أم فعلاً - عادةً ما تصدر بصورة عفوية غير متصنعة، فالطبيعة الإنسانية التي تتعرّض لصدمة ما تقتضي هذا النوع من التصرف، من هنا قد يقال: يؤخذ في الجزع اللاإرادية وعدم الاختيار، أمّا التظاهر بهذه التصرفات، والتصنع فيها، فإنّه يبعد التصرف في حالة المصيبة عن حقيقة الجزع، فلا يكون مصداقاً له حينئذٍ. فهل الجزع متقوّم بالعفوية فعلاً؟

ويمكن الجواب عن هذا السؤال بأن يقال: إنّ مفهوم الجزع - كسائر المفاهيم المشابهة له - يتوقف على الصدق العرفي، وليس صدقه خارجاً منوطاً بتحقيق العفوية واللاإرادية، فمن يتظاهر بالحزن والبكاء والغم، تزامناً مع تصرفات جزعية، يراه العرف جازعاً، ولا ينتظر معرفة أنّ الشخص كان عفويّاً في جزعه، أم أنّه في حالة من الاختيار والوعي التام.

ولو لم يقبل هذا الجواب، ولم نجد حلاً لإشكالية أخذ العفوية في الجزع، فسيكون الكثير من مظاهر الحزن والجزع، خصوصاً في ذكرى عاشوراء، ليس سوى تمثيل لذلك، فإنّنا نقطع أنّ كثيراً من الشيعة لم يكن الدافع لهم لإظهار الجزع هو العفوية، بل ذلك ناتج من التظاهر بالجزع وحكايته خارجاً، ومع ذلك قد يقال: لن يضرّ ذلك في تحقيق الهدف المنشود من هذه الشعائر، فإن خرج ذلك عن مصداق الجزع، فسوف يدخل في مصداق المواساة لأهل البيت عليهم السلام، فيما لو كانت تلك المصدايق مما يُعدّ مواساة بالفعل، وفي المحصلة ثمة وجهتا نظر في مسألة العفوية وعدمها في الجزع، وستعرض لكلا الوجهين لاحقاً.

## حكم الجزع شرعاً

تناول الفقهاء حكم الجزع عند بحثهم في مسألة البكاء على الميت والمفقود، أي: إنهم بحثوا الجزع في خصوص المصيبة التي تحدث للشخص بفقده لابنه أو لأبيه أو لمن هو عزيز عليه، بينما قد يتحقق الجزع في مصيبة من نوع آخر، كما لو ابتلي الشخص باحتراق بيته، أو ضياع مال كبير له، وغير ذلك.

## حكم الجزع في الفقه الشيعي

الجزع في الفقه الشيعي جائز على نحو الكراهة، وقد قيّد الجواز بعض العلماء بما إذا لم يقترن بعدم الرضا بقضاء الله تعالى، ومعه يكون حراماً، يقول صاحب العروة الوثقى: «... وأما البكاء المشتمل على الجزع وعدم الصبر، فجائز، ما لم يكن مقروناً بعدم الرضا بقضاء الله، نعم يوجب حبط الأجر، ولا يبعد كراهته»<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا المعنى تُحمل الروايات التي تُفيد حرمة النياحة، وما يكون ضدّ الصبر، كما ورد في الكافي: «وَمَنْ أَقَامَ النواحة فقد ترك الصبر، وأخذ في غير طريقه، وَمَنْ صبر واسترجع وحمد الله عزّ وجلّ فقد رضي بما صنع الله، ووقع أجره على الله، وَمَنْ لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم، وأحبط الله تعالى أجره»<sup>(٢)</sup>.

واعترض بعض العلماء قائلاً: لا دليل على الحرمة، حتى فيما لو اقترن الجزع بعدم الرضا بقضاء الله، ما لم يكن ذلك مستتبعاً للقول المسخّط للربّ تعالى، وإن كان الرضا بقضاء الله من أشرف صفات المؤمنين، وعدم الرضا بقضائه من نقص الإيمان، بل العقل<sup>(٣)</sup>.

وقال بعضهم مؤولاً الحرمة المقترنة بعدم الرضا بقضاء الله بما يؤول إلى نفي العدل

(١) اليزدي، محمد كاظم، العروة الوثقى: ج ١، ص ٤٤٨.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ٢٢٣.

(٣) أنظر: اليزدي، محمد كاظم، العروة الوثقى (المحشي): ج ٢، ص ١٣٠.

عنه سبحانه، فإن ذلك يخرج الإنسان عن الإيمان<sup>(١)</sup>.

أما النوح على المفقود، وسائر التصرفات المعروفة المعبرة عن الحزن، من قبيل شقّ الجيب والثوب، أو جزّ الشعر أو اللطم، ففي حكمها تفصيل.

أما النوح أو النياحة، فإنّها جائزة ما لم تتضمن الكذب، ولم تكن مشتملة على الويل والثبور، ويرى السيّد الخوئي أنّها جائزة حتى مع الويل والثبور، يقول: «النياحة الصحيحة أمرٌ جائز، ولم تثبت كراهتها فضلاً عن حرمتها، ما لم تشتمل على الكذب ونحوه، فما عنون به الباب في الوسائل من كراهة النياحة ليس صحيحاً، فإنّ الكراهة كالحرمة حكم شرعي يحتاج إلى دليل، ولا دليل عليها»<sup>(٢)</sup>.

وقال صاحب الجواهر: «ولعلّه من جواز البكاء يُستفاد جواز النوح عليه أيضاً؛ لملازمته له غالباً، مضافاً إلى الأخبار المستفيضة حدّ الاستفاضة، المعمول بها في المشهور بين أصحابنا، بل في المنتهى الإجماع على جوازه إذا كان بحق، كالإجماع على حرّمته إذا كان باطلاً»<sup>(٣)</sup>.

أما مثل اللطم، والخدش، وجزّ الشعر، والصراخ الخارج عن حدّ الاعتدال، فقد أفتى بعض بحرّمته كالشيخ الطوسي، فقال في المبسوط: «وأما اللطم، والخدش، وجزّ الشعر، والنوح، فإنّه كلّ باطل محرّم إجماعاً، وقد روي جواز تخريق الثوب على الأب والأخ، ولا يجوز على غيرهم»<sup>(٤)</sup>.

وبعضهم حرّم ذلك على نحو الاحتياط، وكذلك شقّ الثوب على غير الأب والأخ<sup>(٥)</sup>.

وقد خالف السيّد الخوئي في ذلك، وأفتى بجواز جميع ذلك، وناقش كلّ الأدلة

(١) أنظر: التبريزي، الميرزا جواد، تنقيح مباني العروة (كتاب الطهارة): ج ٧، ص ٤٠٣.

(٢) الخوئي، أبو القاسم، موسوعة الإمام الخوئي: ج ٩، ص ٣٤٥.

(٣) الجواهري، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٤، ص ٣٦٥.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، المبسوط: ج ١، ص ١٨٩.

(٥) أنظر: اليزدي، محمد كاظم، العروة الوثقى (المحشي): ج ٢، ص ١٣١.

على التحريم<sup>(١)</sup>. أمّا الحكم في المرأة، فقد ادّعى بعضهم أنّ ثمة إجماعاً على حرمة خدشها وجهها في المصيبة، وجزّ شعرها، وكذلك في نتفه<sup>(٢)</sup>.

### حكم الجزع في الفقه السني

أمّا في الفقه السنيّ، فقد روي في صحيح البخاري: «ليس منّا من ضرب الخُدودَ، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهليّة»<sup>(٣)</sup>. وفي صحيح مسلم: «النائحة إذا لم تُتّب قبل موتها؛ تُقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قطرانٍ ودرعٌ من جَرَبٍ»<sup>(٤)</sup>.

ولهذا كانت الفتوى بتحريم النوح، وشقّ الثوب، واللطم. قال محمد الصالحى من المذهب الحنبلي في الفروع: «ويحرم الندب والنياحة، نصّ عليهما، والصراخ، وخمش الوجه، ونتف الشعر ونشره، وشقّ الثوب، ولطم الخدود، ونحوه، وزاد جماعة: والتحفى. قال في الفصول: يحرم النحيب، والتعداد، والنياحة، وإظهار الجزع، وذكره ابن عبد البر في النياحة، وأطلق بعضهم الكراهة؛ لأنّه نهى عن النياحة»<sup>(٥)</sup>.

ويقول البهوتي الحنبلي في كشف القناع: «ولا تجوز النياحة، وهي رفع الصوت بذلك برنة؛ لما في الصحيحين عن أمّ عطية قالت: أخذ علينا (صلّى الله عليه وسلّم) في البيعة أن لا نوح. وفي صحيح مسلم أنّه (صلّى الله عليه وسلّم) لعن النائحة والمستمعة، ولا يجوز شقّ الثياب ولطم الخدود، وما أشبه ذلك من الصراخ، وخمش الوجه وتسويده، ونتف الشعر ونشره وحلقه؛ لما في الصحيحين أنّه (صلّى الله عليه وسلّم) قال: ليس منّا من لطم الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية»<sup>(٦)</sup>.

(١) أنظر: الخوئي، أبو القاسم، موسوعة الإمام الخوئي: ج ٩، ص ٣٤٣-٣٤٨.

(٢) أنظر: اشتهازي، علي بنه، مدارك العروة: ج ٩، ص ١٢٦.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ٢، ص ٨٢. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج ١، ص ٧٠.

(٤) النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم: ج ٣، ص ٤٥.

(٥) الصالحى، محمد بن مفلح، الفروع: ج ٣، ص ٤٠١.

(٦) البهوتي، منصور بن يونس، كشف القناع: ج ٢، ص ١٨٩.

ويظهر من بعض كلام علمائهم أنّ الرأي السائد هو الحرمة، لكن هناك مَنْ يقول بالجواز على نحو الكراهة أو الإباحة، يقول ابن قدامة: «ولا يجوز الندب، ولا النياحة، ولا شقّ الثياب، ولطم الخدود، وما أشبه ذلك الندب، هو تعداد محاسن الميت، وما يلقون بعده بلفظ الندبة، كقولهم وارجلاه، واجبلاه، وانقطاع ظهره، فهذا وأشباهه من النوح، وشقّ الجيوب، ولطم الخدود، والدعاء بالويل والثبور، ونحوه لا يجوز، وقال بعض أصحابنا هو مكروه، ونقل حرب عن أحمد كلاماً يحتمل إباحة النوح والندب، واختاره الخلال وصاحبه...»<sup>(١)</sup>.

ويرى ابن القيّم أنّ من هدى النبيّ ترك النعي، يقول: «وكان من هديه (صلى الله عليه وسلّم) ترك نعي الميت، بل كان ينهى عنه، ويقول: هو من عمل الجاهلية، وقد كره حذيفة أن يُعلمَ به أهله الناس إذا مات، وقال: أخاف أن يكون من النعي»<sup>(٢)</sup>.

### الأدلة على استحباب الجزع على الحسين عليه السلام وحدود تلك الدلالة

#### أولاً: الأدلة على استحباب الجزع على الحسين عليه السلام

في الفقه الشيعي ثمة روايات عديدة تؤكّد بمضمونها استثناء الجزع من حكم الكراهة، فيما لو كان على الحسين عليه السلام، وهذه الروايات مستفيضة؛ فلا حاجة للبحث عن سندها، وسنذكر مجموعة منها قد نصّت على مفهوم الجزع تحديداً، من هذه الروايات:

أولاً: عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كلّ الجزع والبكاء مكروه، سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام»<sup>(٣)</sup>.

ثانياً: عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «سمعتَه

(١) ابن قدامة، عبد الرحمن، الشرح الكبير: ج ٢، ص ٤٣٠.

(٢) ابن القيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر، زاد المعاد: ج ١، ص ٥٢٨.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، الأملالي: ص ١٦٢.

يقول: إنَّ البكاء والجزع مكرهه للعبد في كلِّ ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين ابن علي عليه السلام؛ فإنه فيه مأجور»<sup>(١)</sup>.

ثالثاً: عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم، عن مسمع بن عبد الملك كردين البصري، قال: «قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا مسمع، أنت من أهل العراق؟ أما تأتي قبر الحسين عليه السلام؟... قال لي: أفما تذكر ما صنَّع به؟ قلت: نعم. قال: فتجزع؟ قلت: إي والله! واستعبر لذلك، حتى يرى أهلي أثر ذلك عليّ، فأمتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي. قال: رحم الله دمعتك، أما إنك من الذين يُعدّون من أهل الجزع لنا...»<sup>(٢)</sup>.

رابعاً: عن مالك الجهني، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «مَن زار الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، حتى يظل عنده باكياً، لقي الله عز وجل يوم القيامة بثواب ألف حجة... ثمَّ ليندب الحسين عليه السلام ويبكيه، ويأمر من في داره بالبكاء عليه، ويُقيم في داره مصيبيته بإظهار الجزع عليه...»<sup>(٣)</sup>.

خامساً: عن روح بن دراج، عن قدامة بن زائدة، عن أبيه، قال: «قال علي بن الحسين عليه السلام: بلغني يا زائدة أنك تزور قبر أبي عبد الله عليه السلام أحياناً... إنه لما أصابنا بالطف ما أصابنا... فكادت نفسي تخرج، وتبينت ذلك ممّي عمّي زينب الكبرى بنت علي، فقالت: ما لي أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدّي وأبي وإخوتي؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع وقد أرى سيّدي وإخوتي وعمومتي ووُلد عمّي وأهلي مصرّعين بدمائهم، مرّملين بالعراء...»<sup>(٤)</sup>.

سادساً: عن خالد بن سدّير أخي حنان بن سدّير، قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل شقّ ثوبه على أبيه أو على أمّه أو على أخيه... وقد شققت الجيوب، ولظمن الخدود

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٠١.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٠٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٢٦.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ٥٧.

الفاطميات على الحسين بن علي عليه السلام، وعلى مثله تُلطم الحدود وتُشقّ الجيوب»<sup>(١)</sup>.  
 سابعاً: عن إبراهيم بن عقبة، عن معاوية بن وهب، قال: «استأذنت على أبي عبد  
 الله عليه السلام فقيل لي: أدخل، فدخلت، فوجدته في مصلاه في بيته، فجلست حتى قضى صلاته،  
 فسمعتة وهو يناجي ربه، ويقول: يا مَنْ خَصَّنَا بالكرامة... اغفر لي ولإخواني ولزوّار قبر  
 أبي (عبد الله) الحسين عليه السلام... وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمةً لنا، وارحم  
 تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا...»<sup>(٢)</sup>.  
 وكل الروايات التي مرّ ذكرها ذات دلالة واضحة على أن الجزع على الإمام  
 الحسين عليه السلام جائز ومستحب في كلمات الأئمة عليهم السلام.

### ثانياً: حدود الجزع في الشعائر الحسينية

بعد أن ثبت أن الجزع على الإمام الحسين عليه السلام وما حدث له في كربلاء جائز، بل  
 مستحب، وبعد أن تعرّفنا طبيعة الجزع ومفهومه، بات من المهم أن نتعرّض لحدود  
 هذا الجزع.

قد تقدّم حكم الجزع، وقلنا: إنَّ الحكم هو الجواز على نحو الكراهة، وهذا الجواز  
 يقتضي بطبيعته أن تكون ممارسات التعبير عن الحزن والجزع مما يصدق عليه في  
 العرف أنه جزع أولاً. وثانياً: أن تكون مصاديق الجزع العرفية جائزة، ولا تتجاوز  
 خط الكراهة إلى دائرة الحرام؛ فليس كلّ ما هو عرفي جائزاً، وثالثاً: قد بيّنا أهداف  
 الشعائر الحسينية في المقدمة؛ فمنّ اللازم أن يدخل استحباب هذه الممارسات الجزعية  
 في دائرة تلك الأهداف، فما يوجد من الجزع خارجاً غير محقق لشيء من الأهداف  
 المذكورة لا يمكن القول باستحبابه.

وفي ضوء ما تقدّم، يمكن أن نحدد الجزع المستحب في الشعائر الحسينية فيما يلي:

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ٣٢٥.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٨٢ - ٥٨٣.

أولاً: بما أن المعيار في صدق الجزع هو العرف، ينبغي أن تكون كل ممارسة - لما يمكن أن يكون شعيرة حسينية - تعبيراً عرفياً عن مفهوم الجزع المستحب، وتعبيراً عرفياً عن تعظيم شعائر الإمام الحسين عليه السلام.

ثانياً: أن تكون الممارسة مما يقع ضمن أهداف الشعائر الحسينية، فلو كانت ممارسة ما تُعبر عن الجزع، لكنّها لا تُخدم الأهداف المتوخاة من الشعائر، فلا بدّ من التخلي عنها.

ثالثاً: أن لا تتخطى كل ممارسة حسينية خطوط المحظور والحرام.

يقول في هذا السياق السيّد محمد باقر الحكيم: «أن لا تكون الممارسة مما نهى عنها الشارع المقدّس بعنوانها الخاص؛ لانطباق عنوان محرّم عليها، كالضرر، أو اهتك، أو الاختلاط غير المباح بين الرجال والنساء، ويجب أن لا تتضمّن الممارسة آثاراً سلبية، مثل: هتك حرمة أهل البيت عليهم السلام، أو إعطاء صورة مشوهة أو انطباع عام غير صحيح، أو تكون منفرة ومقززة، كما هو الحال في بعض الممارسات التي توحى بمثل ذلك في جميع الأوساط الاجتماعية، أو في بعضها على الأقل، حيث لا يُعرف لها مثيل من ألوان العبادة أو السلوك الاجتماعي العام، الذي أمر به الشارع المقدّس أو ندب إليه، فإنّ هذه الممارسات التي ينظر فيها الوجدان الصافي، والذوق الإنساني السليم، التي لا نجد تفسيراً منطقيّاً لها ينسجم مع العقل والفطرة السليمة، لا يصحّ الإتيان بها، ولا نسبتها إلى الشعائر الحسينية؛ إذ لا ينطبق عليها أيّ عنوان من العناوين المشروعة، كما لا يصحّ القيام بممارسات تؤدّي إلى الوقوع في الحرام، أو تقترب منه، كالتعرّي أمام النساء، أو الاختلاط بين النساء والرجال بطريقة منافية للحجاب الذي وضعه الشارع بينهما، أو استخدام الطرق التي يستخدمها أهل الفسوق في مجالسهم العامة للغناء، وأمثال ذلك من المخالفات»<sup>(١)</sup>.

(١) الحكيم، محمد باقر، حوارات: ص ١٨٢ - ١٨٣، منشورات دار الحكمة، قم المقدّسة.

### ثالثاً: مصاديق يُتوهم أنّها من الجزع على الحسين عليه السلام

في هذا المبحث نريد أن نستعرض أهمّ الممارسات التي أُثير حولها بعض الاعتراضات والإشكالات، وسوف نتكلّم عن ثلاثة منها:

أولها: ممارسة التطبير.

والثانية: المشي على الجمر.

والثالثة: نثر التراب على الرأس والتطين.

ولا نريد هنا أن نقيّم هذه الممارسات من ناحية الحكم الفقهي، بل الغاية من بحثها هو معرفة كونها مصداقاً للجزع أم لا، وعندما نتعرّض لحكمها الشرعي استطراداً، فهو من باب أنّ الحرمة ربما تستلزم عدم كونها مصداقاً للجزع في الشعائر الحسينية، وكذلك الحلّية، فقد يقال: إنّ حلّيتها تستند لكونها مصداقاً لمفهوم الجزع، وقد تستند الحلّية إلى دليل مغاير لكونها مصداقاً للجزع، فالقول بعدم كونها كذلك لا يعني بالضرورة حرمتها، بل يمكن إثبات الحلّية بدليل آخر كأصالة البراءة مثلاً. وأهم المصاديق التي نوّد الإشارة إليها ثلاثة:

#### أولاً: إدماء الرأس (التطبير)

يمكن تعريف التطبير بأنّه: ضرب الرأس بالسيف، أو ما شابه ذلك من الآلات الحادّة، ضرباً خفيفاً حتى إدماء الرأس وخروج الدم<sup>(١)</sup>، مترافقاً ذلك مع لبس الأكفان وحلق الرأس وقرع الطبول ونفخ المزامير، كلّ ذلك حزناً على الحسين عليه السلام أو مواساةً له. وهو من الألفاظ العاميّة، ولا يوجد له تعريف خاصّ في كتب اللغة. وممارسة التطبير يكثر رواجها في يوم العاشر من محرّم، في دول مثل: العراق وبعض دول الخليج، ولبنان، وباكستان، والهند، وأذربيجان.

وللفقهاء في هذه الممارسة آراء ثلاثة: قسم يرى حرمتها، وقسم ثانٍ يرى أنّها مباحة ما لم تستلزم ضرراً على النفس وعلى المذهب، وثالث يراها مستحبة، وفيها

(١) أنظر: فتح الله، أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ص ١١٤.

ترويح للمذهب<sup>(١)</sup>.

ذكرنا في بداية البحث أن الهدف من التعرّض للتطبير لم يكن بيان حكمه الشرعي، بل الهدف هو معرفة مصداقيته للجزع أم لا، وما يمكن التمسك به لبيان كونه مصداقاً للجزع هو أن يقال: إن معنى الجزع هو نقيض الصبر، والجزع والصبر من المفاهيم الكلية التي ينضوي تحتها أفرادها، فما لم يكن التطبير من أفراد الجزع، فهو بالضرورة من أفراد الصبر، وهذا هو مقتضى التناقض، ومن الواضح أن التطبير ليس من أفراد الصبر عقلاً و عرفاً، فيكون عندئذٍ من الجزع، ويكون مشمولاً لقاعدة أن كل جزعٍ مكروه ما خلا الجزع على الحسين عليه السلام، فيثبت استحبابه.

ويُجاب عن ذلك: بأن هذا الاستدلال - كما هو واضح - قائم على أساس التناقض بين الجزع والصبر، وكأنّ الجزع أمر عديم للصبر، لكنّ التناقض ليس صحيحاً، فالجزع أمر وجودي كما عرفناه سابقاً، وهو حالة من الحزن الشديد، تترافق مع بعض التصرفات والسلوكيات التي تكشف عن حالة الجزع. نعم، ربما يقال في تعريفه وتوضيحه: إنه ما كان ضدّ الصبر، وهكذا يكون التقابل بين الجزع والصبر تقابل الضدين اللذين لهما ثالث، ولهذا قد تجد شخصاً يمرُّ بمصيبة ما، لكن لا يوصف عرفاً بالجزوع ولا بالصبور، كما لو أنّه أظهر حزناً بمرتبة ينتفي معها الصبر، لكن في ذات الوقت لا يترافق حزنه مع تصرفات يصدق معها الجزع.

ولو بنينا على أن العفوية مأخوذة في الجزع فسيكون من المؤكّد عدم جزعية التطبير، فالتطبير ليس من الممارسات العفوية، بل هو ممارسة مسيطر عليها، ناتجة من الوعي التام، وليس هو نتيجة مشاعر الحزن الشديدة، أو نتيجة عظم وهول الفاجعة، ومع غصّ النظر عن العفوية واللاإرادية في الجزع، لم نجد في العرف أن أباً - مثلاً - فقد ابنه، وقد مارس التطبير وجرح رأسه؛ جزعاً على فقدانه.

(١) يمكن الاطلاع مفصلاً على هذه الآراء ومصادرها وأسماء أبرز العلماء المقتين، في موقع ويكي شيعية لفظة (تطبير).

ولهذا أفتى بعض الفقهاء بحرمة التطبير أو بإباحته مشروطاً بعدم الضرر، سواء الضرر الجسدي، أو الديني والمذهبي، فهو لا يراه مصداقاً للجزع حتماً. وفي استفتاء ورد للسيد الخوئي، يقول: «تفضلتم بنفي الإشكال عن إدماء الرأس (التطبير) إذا لم يلزم منه ضرر، فقيل: إنه لا يثبت أكثر من الإباحة، وعليه فهل إدماء الرأس مستحب لو نوى بذلك تعظيم الشعائر ومواعاة أهل البيت (عليه السلام)؟».

وقد أجاب السيد الخوئي (عليه السلام): «لم يرد نصّ بشعاريته؛ فلا طريق إلى الحكم باستحبابه، ولا يبعد أن يثبته الله تعالى على نية المواعاة لأهل البيت الطاهرين إذا خلصت النية»<sup>(١)</sup>.

وكذلك ما جاء في أحد استفتاءات السيد الخامنئي: «هل التطبير في الخفاء حلال أم أنّ فتواكم الشريفة عامة؟».

وقد أجاب سماحته: «التطبير مضافاً إلى أنه لا يُعدّ عرفاً من مظاهر الأسى والحزن، وليس له سابقة في عصر الأئمة (عليهم السلام) وما والاها، ولم يرد فيه تأييد من المعصوم (عليه السلام) بشكل خاص ولا بشكل عام، يُعدّ في الوقت الراهن وهناً وشيناً على المذهب، فلا يجوز بحال»<sup>(٢)</sup>.

ومن الواضح أنّ مَنْ ينفي استحبابه، فهو ينفي بلا شك مصداقيته للجزع. وأمّا ما يقال من أنّ التطبير نموذج من نماذج استشعار الألم، وإيذاء الجسد، للوصول إلى حالة الاستذكار الكامل، وهو الشعيرة الأكثر تحريكاً للمشاعر والأحاسيس<sup>(٣)</sup>، فهذا الكلام لا يكشف عن كونه مصداقاً للجزع، بل هو مجرد استشعار، ويبقى في هذه الدائرة، وقد لا يراه كثير من الناس أنّه كذلك.

ومن هنا يتضح أنّه لا يمكن الاستدلال على جواز التطبير واستحبابه بكونه مصداقاً للجزع، نعم يمكن التماس أدلة أخرى للجواز والحلية.

(١) التبريزي، الميرزا جواد، صراط النجاة: ج ١، ص ٤٣٢.

(٢) الخامنئي، علي، أجوبة الاستفتاءات: ج ٢، ص ١٢٩.

(٣) اشتهر ذلك عن الدكتور المسيحي الماروني بولس جوزيف الحلو، وهو دكتور جامعي في بيروت.

## توهين الدين والاستخفاف بالمذهب

قد يقال: إنّ ممارسة التطبير تُفضي إلى إضعاف الدين أو المذهب، والاستخفاف به؛ ولهذا تحرم من هذه الجهة، فاليوم أصبحت ظاهرة التطبير موهنة للإسلام عامة، وللمذهب خاصّة، وأضحت وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي بكافة أشكالها تسلّط الأضواء على هذه الممارسة، وتروّج أنّها خرافة تُثير السخرية، ومع هذا الاستخفاف قد ابتعد هذا الفعل عن أحد أهداف الشعائر، وهو بيان مظلومية أهل البيت عليهم السلام.

الكثير ممّن يرى حرمة ممارسة التطبير يعتمد على هذا التشخيص، ومّن أجاز التطبير قيده أيضاً بعدم هذا التشخيص للضرر المعنوي أو المادي، وقد تعرّضنا لتحديد دلالة استحباب الجزع، وقلنا: إنّ كلّ ممارسة عاشورائية تدور مدار الأهداف المتوخى تحقيقها للشعائر الحسينية، فإن وجدت شعيرة ما تحلُّ بالهدف، فلا ينبغي التردد في تركها.

وفي هذا المجال كلام مهم للسيد الحكيم، يحدد هذا الضرر بنحو صريح، حيث يقول عليه السلام: «من المؤسف أنّ بعض الفعاليّات أو غيرها (كالتطبير) تجري أحياناً مقترنة بأعمال منافية للذوق العام، أو غير مشروعة، أو تكون بنفسها أو بعض ممارساتها بعيدة عن الأهداف التي استهدفها أئمة أهل البيت عليهم السلام من وراء هذه الشعائر، وغالباً ما يقوم بهذا النوع من النشاط السّوقة والعامة من الناس، الذين لا يشاركون في هذه الشعائر إلّا في مثل هذه الأيام، وهم يرون أنّ هذه الأساليب أقرب إلى فهمهم وطريقتهم في التعبير عن العواطف والمشاعر، ولذا نجد العلماء والمتفقيين والواعين من أبناء الجماعة الصالحة لا يشاركون في هذه النشاطات المنافية، بل يستنكرونها أحياناً بالبيانات أو الكلام، أو ينكرونها بقلوبهم عندما لا يجدون من يسمع لهم، أو يخافون الفتنة والاختلاف والنزاع، الذي يكون ضرره أحياناً أكبر من وجود هذه المخالفات، كما أنّ بعض الظروف

السياسية التي مرّت بهذه الشعائر، وتصدّي الحكّام الطغاة والظلمة للقضاء عليها بهدف القضاء على أصل الشعائر، كلّها جعل بعض العائمة يتعصّبون لها كما يتعصّبون للإمام الحسين عليه السلام، وبعض العلماء يسكتون أو يأذنون بممارستها؛ حرصاً منهم على استمرار أصل الشعائر، لأنّ العائمة يمثلون القوّة الشعبية التي يمكن أن تقف أمام الحكام الطغاة، أو لأنّ بعض العلماء يرون أنّ ممارسة هذا العمل في نفسه لا يوجد دليل على حرّمته، فهو مباح بالأصل، وفي ممارسته شعاراً مصلحاً، أو دفع مفسدة في مثل هذه الظروف، أو يرونه أفضل طريق لجمع العائمة وجذبهم للاحتفال بذكرى الحسين عليه السلام، ولكن الموقف الصحيح الذي تبناه المرجع الأعلى في عصره الإمام الحكيم عليه السلام في أيامه الأخيرة، وكذلك قائد الثورة الإسلامية في إيران الإمام الخميني عليه السلام، وكذلك القرار الذي أصدره من بعده خليفته آية الله السيّد علي الخامنئي (دام ظله)، وموقف جماعة من كبار العلماء، هو أنّ مثل هذه الشعائر أصبح ضررها على الجماعة الصالحة أكبر من نفعها؛ إذ تشوّه صورتها، وتقف حائلاً بين أنوار الأئمّة وأصالة فهمهم للإسلام، وبين جمهور الناس من المسلمين»<sup>(١)</sup>.

وفي مقابل ذلك، هناك مَنْ يرى أنّ هذا التشخيص بجانب الواقع، بل على العكس، فإنّ ممارسة التطبير مما يساهم في ترويح المذهب والدين؛ ولهذا أفتى كثير منهم باستحبابه وفقاً لهذا التشخيص<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: المشي على الجمر

المشي على الجمر ظاهرة انتشرت في الآونة الأخيرة أيضاً، كتعبير عن الجزع والحزن على الإمام الحسين عليه السلام، أو مواساة له، ولما حصل له في حادثة الطف الشهيرة.

(١) الحكيم، محمد باقر، رسالة الثقلين، مقال بعنوان: نظام الشعائر والعبادات في مدرسة أهل البيت عليهم السلام: العدد ٢٢، هامش ص ٣٩ وما بعدها. وأنظر: دور أهل البيت عليهم السلام في بناء الجماعة الصالحة: ج ٢، ص ١٨٨.

(٢) أنظر: موسوعة ويكي شيعية، مادة: (التطبير).

وما يمكن قوله في مصداقية هذا الفعل لمفهوم الجزع، ومن ثمّ الحكم باستحبابه، هو أن يقال: إنَّ كلَّ عمل تُستذكر به آلام فاجعة الطّف، ويُواسى به سيّد الشهداء وأهل بيته وأنصاره عليهم السلام، هو عمل راجح مستحب؛ إذ إنَّ المواساة أفضل الأعمال، كما ورد ذلك عن الإمام علي عليه السلام<sup>(١)</sup>، وإنَّ تعريض البدن للنار، أو المشي عليها، هو مصداق من مصاديق الجزع والمواساة، واستشعار لما حصل من آلام لأهل البيت عليهم السلام في كربلاء، فإنَّ ذلك مما حصل لهم عند الهجوم على الخيام وإضرار النيران فيها، وأنَّ هذه النيران قد علقت بثياب النساء والأطفال، فأحرقت أبدانهم، وبعضهم هرعوا إلى خارج الخيام حفاةً، فأحرقت الرضاء الحارقة أقدامهم.

وليس بخافٍ ما لهذه الشعيرة من تأثير قوي في إحياء الدين، وإبراز مظلومية سيّد الشهداء عليه السلام، فإنَّ ما يجري كلَّ عام هو أمر خارق للعادة، إذ لا تحترق أقدام المعزّين، وتبرأ من ساعتها، لشمولهم بعناية الحسين عليه السلام، وقد كان لهذه الشعيرة بالذات دورٌ في هداية الناس إلى الإسلام؛ فبملاحظة هذه الجهات تكون هذه الشعيرة من أعظم المستحبات.

والجواب عن ذلك: هو أنّنا لا نريد بهذا الاستدلال أن نُقيّم جهة المواساة أو جهة اختراق قانون الطبيعة والأسباب والمسببات في مثل هذه الممارسات، فما يهمنا في البحث هو أنّ هذه الممارسة هل تشكّل فرداً جديداً من أفراد الجزع، ولهذا يكون الفعل مستحباً، أو لا يكون كذلك؟

من هنا أقول - كما ذكرت في الجواب عن ممارسة التطبير - ليس من الصحيح اعتبار هذا الفعل مصداقاً للجزع؛ فكون الممارسة مصداقاً للجزع ليس تابعاً لاعتبار الشخص أو عدمه، بل هو تابع للعرف، وهو لا يرى أنّ هذه الممارسة مصداق للجزع. ويؤيد هذا الرأي أنّ المشي على الجمر - إن قلنا بعفوية الجزع - لا يُعدّ من الممارسات

(١) إذورد عنه عليه السلام: «المواساة أفضل الأعمال». النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل: ج ٧، ص ٢١٠.

العفوية الناتجة من هول المصيبة وفضاعتها، فإنه مما يصدر عن وعي تام، وإرادة هادفة لهذا الفعل، ويؤيده أيضاً عدم اشتهاار هذا الفعل بصفته مصداقاً للتصرفات الجزعية، فلا نعرف - مثلاً - أن الشخص المفجوع بمصيبة يلجأ إلى هذا النوع من السلوك؛ ليخفف من هول مصيبته.

ولهذا لم يرَ كثير من الفقهاء أن هذه الممارسة مستحبة وراجحة، إلا إذا ترتب عليها ترويج المذهب والدين، وفي هذا السياق يقول الشيخ بشير النجفي: «المشي المذكور في نفسه إذا لم يضرَّ البدن، أو تعطلَّ العضو فهو مُباح، نعم إذا ترتب على ذلك الانتصار للدين، ولم يترتب على ذلك أيَّ ضررٍ على الإسلام أو المسلمين، فيصبح راجحاً حينئذٍ»<sup>(١)</sup>.

وقد أجاب سماحته في استفتاء نُشر على موقعه عن أن المشي المذكور هل هو من مصاديق الجزع؟ فقال: «ليس من مصاديقه، والله العالم»<sup>(٢)</sup>.

كما أن رواية «المواساة أفضل الأعمال» رواية ضعيفة بالإرسال، وقد اقتصر على نقلها بحسب التتبع صاحب المستدرک؛ نقلاً عن كتاب (عُررُ الحکم ودررُ الكلم من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)، لمؤلفه عبد الواحد بن محمد التميمي الأمدي، وهي مرسلة.

ومن هنا أيضاً لا يمكن الفتوى بحلّية المشي على الجمر؛ انطلاقاً من كونه مصداقاً للجزع، نعم قد يكون هناك دليلٌ آخر للحلّية كالمواساة - مثلاً - إن قبلناها.

### ثالثاً: حثُّ التراب وتطيين الرأس والبدن

ومما شاع مؤخراً في الشعائر الحسينية ممارسة نثر التراب على الرأس، وتطيين الرأس وسائر البدن، وما يمكن ذكره في مصداقية هذا الفعل للجزع المستحب على الحسين عليه السلام أن يقال: إن هذه الممارسة من جملة الشعائر الحسينية المقدّسة؛ وذلك

(١) موقع الشيخ بشير النجفي على الإنترنت، قسم الاستفتاءات.

(٢) المصدر السابق.

لأنَّ حثَّ التراب على الرأس وتلطّيخه واللحية بالطين وما أشبه ذلك، علامةٌ من علامات الحزن والتفجّع والجزع، وإظهار مثل هذه العلامات في مصاب الحسين عليه السلام من أعظم المستحبات والقربات، وهذا هو الترمذي والحاكم النيسابوري وغيرهم من محدثي أهل السنّة، يروون عن سلمى أنّها دخلت على أمّ سلمة وهي تبكي، فسألتهما: ما يبكيك؟ فقالت: «رأيتُ النبي (صلى الله عليه وسلّم) وعلى رأسه وحيته التراب، قال: شهدتُ قتل الحسين آنفًا»<sup>(١)</sup>.

والجواب: أنّنا لا نشعر أنّ هذه الممارسة تعبيرٌ عن الحزن والتفجّع والجزع؛ فلا يرى العرف ذلك مصداقاً للحزن والجزع، خصوصاً بهذه الكيفية؛ ويؤيد ذلك أنّ كثيراً من الناس يمتعض منها، كما أنّ رواية الترمذي والحاكم النيسابوري موردها الرؤية في المنام لا في اليقظة، فلا تصلح أن تكون دليلاً عاضداً؛ ولهذا لا يمكن أيضاً الفتوى بحليّة هذه الممارسة بمناطق كونها مصداقاً للجزع المستحب على الحسين عليه السلام. وهناك موقفٌ متشدّد رافضٌ لهذه الممارسة بعنوان التبعّد والتدين بها؛ لكونها لا تنسجم مع الأهداف من إقامة الشعائر الحسينية، فضلاً عن كونها تُسيء إلى الإسلام وشعائر الحسين عليه السلام بشكل عام<sup>(٢)</sup>.

## الخاتمة

في نهاية المقال أودّ أن أذكّر القارئ العزيز بأهمّ المطالب والنتائج التي توصلت إليها، وذلك ضمن النقاط الآتية:

١- تقديم تعريف واضح لمفهوم الجزع، كفيل بالوقوف على التفرقة الدقيقة بينه وبين الاصطلاحات المشابهة كالحزن مثلاً.

(١) الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي: ج ٥، ص ٣٢٣. الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله، المستدرک على الصحيحين: ج ٤، ص ١٩.

(٢) أنظر: مجلة التوحيد، العدد ٩٤، حوار مع السيّد محمد باقر الحكيم تحت عنوان: الشعائر الحسينية الموقف الشرعي والرسالي: ص ٢٩-٣٠.

٢- إثبات أن الجزع من المصطلحات ذات المصاديق التي تتجدد وتتوسع في عمود الزمن، وربما تتفاوت بحسب البيئات والمجتمعات، أو الدول والمدن والمناطق المختلفة.

٣- تحديد العرف بصفته معياراً لإدراج المظاهر المستجدة في مفهوم الجزع أو عدم ذلك.

٤- لا يشترط في الممارسة أن تكون عفوية، لتندرج في مفهوم الجزع، مما يسمح بدخول التظاهر بالحزن والجزع في إطار المفهوم العرفي.

٥- تحديد أهم الأهداف المتوخاة من الشعائر الحسينية؛ لما تمثله من قيمة معيارية في اندراج مظاهر العزاء في مفهوم الجزع المستحب على الإمام الحسين عليه السلام.

٦- خروج بعض الممارسات عن مفهوم الجزع المستحب؛ لعدم انطباق المعايير العرفية عليها، إضافة إلى عدم اندراجها في إطار الأهداف المرسومة للشعائر الحسينية، ومن أبرزها: التطبير، والمشي على الجمر، والتطين.

٧- لا يمكن الاستدلال على جواز التطبير واستحبابه بكونه مصداقاً للجزع، نعم يمكن التماس أدلة أخرى للجواز والحلية.

٨- حكم الجزع - بشكل عام - في الفقه الإمامي هو الجواز على نحو الكراهة بحسب المشهور، أمّا فيما يخص بعض مصاديقه الخارجة عن حد الاعتدال كخدش الوجه، وجز الشعر، فقد وقع فيها الاختلاف بين قائل بالحرمة وقائل بالكراهة والجواز.

٩- استثناء الجزع على الإمام الحسين عليه السلام من الحكم بكراهة الجزع في الفقه الإمامي؛ عملاً بالنصوص الروائية المستفيضة، الدالة على استحبابه والدعوة إليه من قبل المعصومين عليهم السلام.

١٠- الرأي السائد في الوسط الفقهي السني هو حرمة مظاهر الجزع، وفيهم من يذهب إلى الكراهة، بل الإباحة.

١١- للفقهاء في ممارسة التطير آراء ثلاثة: قسم يرى حرمتها، وقسم ثانٍ يرى  
أتمها مباحة ما لم تستلزم ضرراً على النفس وعلى المذهب، وثالث يراها مستحبة وفيها  
ترويج للمذهب.

١٢- لا يمكن الفتوى بحلّية المشي على الجمر؛ انطلاقاً من كونه مصداقاً عرفياً  
للجزع.

١٣- لا يمكن الفتوى بحلّية ممارسة التطين وحثّ التراب على الرأس بمناطق  
كونها مصداقاً للجزع المستحب على الإمام الحسين عليه السلام.



# بلاغة الراية والشعار في المواكب الحسينية

## دراسة في ضوء بلاغة الجمهور

أ. م. د. علي مجيد البديري\*

### مقدمة

حظيت الموضوعات المتعلقة بالنهضة الحسينية - ذات الطابع التاريخي أو الأدبي - بعناية مختلف الباحثين منذ عقود طويلة من الزمن، بينما بقيت بعض الجوانب الأخرى بحاجة إلى بحثٍ وتحقيقٍ، وبخاصة تلك التي ترتبط بمتلقي النهضة والمتفاعل معها، والساعي إلى إحياء ذكراها، والإفادة من دروسها.

من هنا اختار هذا البحث المتواضع ظاهرة لافتة للنظر وجديرة بتأمل دلالاتها، وتعدُّ شكلاً من أشكال استجابة الجمهور للنهضة الحسينية، كما تلازم مراسم الإحياء؛ حيث أصبحت مصداقاً من مصاديقها، وتمثيلاً ضرورياً لها، فما يكاد يجلُّ شهر محرم الحرام من كلِّ عامٍ إلا وتغصُّ المباني والمؤسسات والشوارع والمواكب والأماكن العامّة بالأعلام والشعارات، وهو ما يعكس فهماً للنهضة، وموقفاً واضحاً منها، وينتج خطاباً بلاغياً له طرائقه وسياقاته ودلالاته الخاصة.

ولكي يحقق البحث اقتراباً من تأويل عميق لهذا الخطاب، كانت الاستعانة بمقولة (بلاغة الجمهور)، وهي اتجاهٌ جديدٌ في البلاغة العربية المعاصرة، الذي يعنى بالخطاب المنتج من قبل الجمهور المخاطب؛ من خلال استجابته لنصِّ المتكلم، وإعادة تشكيله على وفق فهمه للنص، وموقفه من مضامينه.

\* جامعة البصرة / كلية الآداب، من العراق.

## بلاغة الجمهور والشعائر الحسينية

إن غاية بلاغة الجمهور - بوصفها تجاهاً حديثاً في الدراسات البلاغية المعاصرة - هي «إمداد الإنسان العادي، الذي يشكل اللبنة الأساسية للجمهور، بمعرفةٍ تمكّنه - في حال تعرّضه لخطابٍ بلاغيٍّ ما - من الكشف عن تحيزات هذا الخطاب، ومبالغاته، ومغالطاته، ومفارقته للواقع، وتناقضاته الداخلية، والأغراض التي يسعى لإنجازها؛ حتى يتمكن من التمييز بين خطاب سلطوي يسعى للسيطرة عليه، وخطاب حرّ يسعى لتحريره»<sup>(١)</sup>. ولا شك في أنّ هذه الاستجابة تتفاوت في مستوياتها، وتتّوَع في أنماطها، فهي ترتبط بسياقها، وتعتمد على الاستعداد الذاتي للمتلقّي ومقدرته في تشكيل خطابه، وستكون مهمّة الدارس أن يكشف عن طبيعة هذه الاستجابات ودلالاتها. يعدّ خطاب عاشوراء خطاباً مهيمناً، مارس عبر قرون طويلة فعلاً مؤثراً وموجهاً للإنسان بمختلف انتماءاته العرقية والقومية والدينية، وقد تنوّعت أساليبه وأدواته بشكل كبير، ويمكن أن نميّز بين نمطين من هذا الخطاب:

الأوّل: وهو الأصل الذي تمثّل في النصوص الصحيحة السند، والمروية عن الثقات من الرواة، والخاصّة بتفاصيل رحلة الركب الحسيني الشريف، من ساعة خروجه من المدينة المنورة وحتى عودته إليها بعد حادثة استشهاد الإمام وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه (رضوان الله عليهم)، وهو خطاب امتاز المنقول منه بتنوّع أشكاله، فمنها ما هو نصّي ومنها ما هو عمليٌّ أو فعليّ.

الثاني: فهو ما يمكن تسميته بخطاب القراءات المركزية، ونعني بها: مجموعة النصوص القديمة والحديثة التي انتجتها مجاميع من المؤلّفين والكتّاب والخطباء، وتمتاز بأنّها الحضور الأكثر هيمنةً وتأثيراً على جمهور المتلقّين، ويختلف هذا الخطاب عن الأوّل بأنّه قراءة لوقائع النهضة الحسينية، مشفوعة في بعض أشكالها بما يستدعي التفاعل العاطفي مع تفاصيل مقاتل الإمام عليه السلام والهاشميين وأصحابه، ومن

(١) عبد اللطيف، عماد، بلاغة الحرية، معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة: ص ٦١.

الطبيعي أن تعمد بعض القراءات في هذا النمط من الخطاب بملء الفجوات التي تركها التاريخ فارغة، بما ينسجم مع الأحداث المدونة في كتب التاريخ، وعلى وفق قابلية الكاتب أو الخطيب، بوصفه قارئاً ذا عدّة معرفية معيّنة، له استجابته الخاصّة، وطريقته في الفهم والتفسير، وإعادة إنتاج المروي.

وتشكّل مراسم إحياء عاشوراء فضاءً لاستجابات جماهيرية متنوعة، تتسم بالثبات النسبي في أشكالها وطرائقها، فهي مفتوحة على إضافات مستمرة بمرور الزمن وتبدّل الأمكنة، بما يتناسب مع السياق وطبيعة الجمهور، ولعلّ السبب في ذلك يتمثّل بـ«عدم التعبديّة في مراسم الإحياء لرفع يد أي سلطة إلاّ استثناءً، فلا ترى [في كثير من الدول] مواجهة رسمية واحدة تضبط الإحياء في صورة تأسيسية خاصّة ليلتزم بها الشيعة، بل إنّ الجهات الرسمية - أو حتى الشرعية - تقع في لحظة ما تحت ضغط الجمهور، الذي يخرج من مجالسها إلى ما يناسب مزاجه من أساليب تعبيرية»<sup>(١)</sup>؛ من هنا كان تنوّع مظاهر الإحياء، وتغيّر طرائق بعضها، فيما لم يكن موجوداً من قبل استحدثه الجمهور، مفيداً من تطوّر الصناعات والتكنولوجيا الحديثة، ولعلّ أبسط مثال على ذلك دخول المؤثرات الموسيقية في تلحين بعض القصائد الرثائية، ما يُصطلح عليه بـ(اللطميات)، وكذلك إنتاجها مصوّرةً مع مشاهد تمثيلية، وغيرها من المظاهر الحديثة. ولا شكّ في أنّ هذه المظاهر الحديثة هي استجابات جمهور يعيش سياقاً خاصّاً به، ولا يستطيع الإفلات من مؤثراته، بل لا يمكنه أن يكون خارجه؛ إذن هي بلاغة جمهورٍ تصوغ موقفاً، وتختار أسلوباً تعبيرياً، يوجّهها العامل النفسي، وتضبطها - بشكلٍ نسبيٍّ - بعض القواعد والحدود.

من بين مظاهر الإحياء وأساليبه: رفع الأعلام والشعارات التي تلازم الكثير من مراسم العزاء، فترتفع مع بدء شهر محرم على البيوت، وتُنصب في الشوارع العامّة والأمكنة المختلفة، وتستأثر المواكب الحسينية بأعلام خاصّة، يحرص أصحابها على

(١) خازم، علي، عاشوراء بين الحياة والإحياء: ص ٨٤.

تنوعها، ويخصّصون علماً كبيراً يُحطُّ عليه اسم الموكب، وتاريخ تأسيسه ومكانه. وتُجسّد الراية والشعار فعلاً تعبيرياً يعلن عن خصوصية المناسبة، ويرتبط بها دون غيرها من المناسبات الدينية الأخرى، على الرغم من كثرتها.

### الرايات: تلبية النداء وإيقونة الهوية

لا تخرج دلالة العَلَم اللُّغوية عن معنى الإشارة والعلامة في الكلام الوارد عن الحوراء زينب عليها السلام مخاطبةً فيه الإمام السجاد عليه السلام: «... ينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا يُدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميمه، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً، وأمره إلا علواً...»<sup>(١)</sup>. ولعلّ هذا النص هو الأوّل الذي يستشرف المستقبل، ويرد فيه ذكر العَلَم أو الراية مقترناً بقضية الطف ومشهد الإمام الحسين عليه السلام، ومن الواضح أنّ العقيلة تذكره بوصفه استجابة المؤمنين للحدث، وإحياءً لأمر الإمام وإدامة مبادئه، وهو ما سيتشكّل عبر الزمن في مظاهر متنوّعة.

لقد اكتسبت بعض المظاهر في مراسم إحياء ذكرى عاشوراء وأربعينية الإمام الحسين عليه السلام دلالة ثابتة جديدة مرتبطة بالقضية الحسينية، ولم يتمّ ذلك بفعل قصدي، بل يفرضه في أحيان كثيرة طبيعة الإحياء ونمطه، فكثير من هذه المظاهر حملت مستويات رمزية اكتسبتها من سياقها الجديد، وتحوّلت إلى إيقونة شعاعية، منها طبيعة الملابس التي يرتديها الفرد، ولونها، وطريقة ارتدائها واستعمالها، فالكوفية<sup>(٢)</sup> - مثلاً - لا تكون إلا مرقطة بالسواد، أو سوداء، أو بُنيّة، أو خضراء، وكلّها مرتبطة في دلالاتها بألوان الرايات التي ستتنوّع كما سنرى.

أمّا طريقة ارتدائها - التي يفرضها نمط العمل الذي يقوم به الفرد - فتتنوّع بين أن

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٨، ص ٥٧.

(٢) الكوفية: نسج يلبس على الراس تحت العقال، والظاهر أنه لفظ مولد. انظر: قلعجي، محمد، معجم لغة الفقهاء: ص ٣١٧.

تُلَفَّ على الرأس بطريقة معروفة لدى العراقيين وتُسمَّى (الجراوية)، أو تُلَفَّ حول الخصر كحزام، ويُرفع الثوب بواسطة لتسهيل الحركة، فضلاً عن الأجزاء الأخرى من اللباس التي يفضّلها الشباب من المعزّين؛ إذ تتناسب مع طبيعة الخدمة التي يقدمونها في الموكب الحسيني.

إنّ تنوّع استخدام الأعلام في المواكب أكسبها دلالات جديدة، مضافةً إلى الدلالات القديمة المرتبطة بها، بوصفها علامات على جماعات معيّنة، من الممكن أن يحقّق هذا التنوّع إشارات لأفواج مقاتلين زاحفين إلى ساحة الطف، على نحوٍ يماثل وجودها في التاريخ، إذ كان كلّ قسم من أقسام المعسكر الحسيني يحمل علماً بلونٍ ما، فهي امتداد تطويري لتلك الأعلام، وإثراء لدلالاتها، فتنوّع الألوان يعني تنوّع الاستجابات وتعدّدها على اختلاف مشارب المُلبّين للنداء، وهي فضلاً عن ذلك استحضار رمزي للجهاد، يحفّز الجمهور على الاستعداد، ويصنع الفرد العادي فيه استجابته على النحو الذي يراه مناسباً، وهي في نهاية الأمر جزءٌ من هويته؛ بوصفه منتظراً رغباً بشوق كبير في الاشتراك في المعركة الكبرى، التي تطهّر الأرض من الفساد ورموزه، ومجسّداً للدعاء الوارد في زيارة عاشوراء: «فأسأل الله الذي أكرم مقامك وأكرمني بك، أن يرزقني طلب ثأرك مع إمام منصورٍ من أهل بيت محمد ﷺ»<sup>(١)</sup>، إذ تتضافر عند الداعي معرفة شأن الإمام ومنزلته ومقامه بالرجاء والسؤال من الله تعالى، فالداعي الزائر مُدرك إكرام المنعم (جلّ وعلا) له بهذه المعرفة وقيمتها، ويرغب في إتمام هذه النعمة برزق النصر وإتمام النهضة التي أنجز مفتتحها الإمام الحسين ﷺ، ويخصّص الطلب بأن تكون هذه النصرّة تحت لواء الحجّة القائم ﷺ، وهو ما يعني إدراك امتداد النهضة وثورة الإصلاح الحسيني إلى آخر الزمان.

وتتجسّد هذه المعاني بطريقة أخرى؛ إذ حملت بعض الرايات رسوماً رمزية للإمام الحسين ﷺ، أو لوجه آخر من وجوه الطف الكريمة، وهي رسوم احتفظت ببُعدها

(١) العاملي، محمد بن مكي العاملي، كتاب المزار: ص ١٨٠.

الروحي والجهادي؛ لأنها مستمدة من أحداث الواقعة، أو من حياة الإمام وأهل بيته عليهم السلام، وتحتزل بعضها أحياناً تفاصيل المسألة الإنسانية في استباحة الأطفال، من خلال صورة عبد الله الرضيع مذبحاً، بينما تفتقر بعض هذه الرايات إلى العناية بالقياسات التصميمية للمشهد أو الشخصية المرسومة، وهو أمر عائد إلى طبيعة التصنيع والقائم به، والذي غالباً ما يكون غير واعٍ تماماً بجماليات الرسم والتصميم وتقنياتها، ولا يقلل هذا الأمر من دلالة الرايات الموظفة في المراسم والمواكب، فكيف ما تكون الصورة المرسومة فإنها تمنح الراية دفقاً تعبيرياً مضافاً، وتجسد تفاعلاً عميقاً مع شخصية الإمام ونهضته، ف«الصورة يمكن أن تمثل شيئاً أو شخصاً، ويمكنها أن تؤثر مفهومات تجريدية... لأن من النادر أن تفرض الصورة فرضاً معنئاً وحيداً واحداً... يمكن للصورة أن تقول عدّة أشياء في آنٍ واحدٍ، وأنها يمكن أن تحتوي على عدّة مجازات في نفس الوقت»<sup>(١)</sup>.

غير أن محور الدلالات سيكون حول الشهادة والعطاء والبذل، وهي من أبرز دروس الطف وأكبرها، وتتجلى هذه المعاني بشكل أكبر مع الرايات ذات الحجم الكبير، التي يحرص بعض الزائرين على حملها معهم من مناطق نائية في مدنهم باتجاه كربلاء. ويعدّ من نافل القول الحديث عن سيميائية ألوان الرايات، ففضلاً عن دلالات الألوان ورمزيتها المعروفة، تكتسب باقترانها مع الراية دلالات جديدة، تتسجم مع أفعال الإحياء الأخرى ومظاهره، وتكثر الرايات ذات الألوان (الأسود، الأحمر، الأخضر)، مع وجود بنسبة أقلّ للألوان الأخرى (الأصفر، الأزرق، والأبيض)، وقد تعتمد بعض الرايات أسلوباً تعبيرياً مضافاً، عبر كتابة أسماء الأئمة الاثني عشر عليهم السلام عليها، أو تعدّد الأعلام بعدد الأئمة، وتجعل في مقدّمة المواكب في دلالة واضحة على الاقتداء بقيادتهم عليهم السلام الأئمة، بوصفهم الثقل الثاني الذي خصّه حديث الثقلين بالتمسك والطاعة.

(١) لعبيبي، شاكر، بلاغة اللغة الإيقونية (الصورة بوصفها بلاغة) كتاب الصباح الثقافي: ص ١٣.

لا شكَّ في أنَّ الجمهور هنا يستعمل ذائقته الجمالية، فهو يُدرك من خلالها جماليات الوسائل المستخدمة في الإحياء، ويكون التذوق هنا «نتيجة تفاعل ما هو وجداني لديه مع بيئات جمالية تحمل الملامح الدلالية نفسها... فالمتلقي المسلم أقدر على تلقّي بيئة جمالية مثالية، أقرب منها إلى معتقده وسلوكياته وتصوراتهِ»<sup>(١)</sup>، ولا يمكن إبعاد ما لكرבלاء - المدينة التي أصبحت إيقونة الشهادة - من تأثير في تشكّل هذه البلاغة وهذه الذائقة. ف«بعض الأماكن الطبيعية قد تتحوّل إلى فضاء بلاغي في بعض الحالات؛ حين تُصبح وعاءً لأنشطة تواصلية ذات طابع نفعي أو جمالي»<sup>(٢)</sup>.

من جانبٍ آخر، تشهد المواكب حضور العلم العراقي بين الأعلام الأخرى الخاصّة بذكرى عاشوراء، وهو ما له دلالة رمزية ذات بعدين:

**البعد الأول:** يتعلّق بالهوية الوطنية، ويرتبط بما يمرّ به البلد والمنطقة العربية من أحداثٍ وظروف استثنائية، فحرصُ أغلب المواكب على رفع العلم العراقي إلى جوار أعلام عاشوراء كان لتبليغ رسالة مفادها الاعتزاز بالهوية، والاستعداد للتضحية من أجلها، فضلاً عن تضمّنها لمعانٍ تعبوية تتعلّق بفتوى الجهاد المقدّس، وهي تمثّل رداً بالهوية الراسخة الأصيلة على الهويات الطارئة على الوجود، متمثلةً بعلم ما يسمّى بـ(داعش)، التي اقترنت بصور الذبح والقتل والتهجير وهتك الحرمات.

**البعد الثاني:** يتعلّق بالهوية الدينية، ويتضمّن إشارة عقدية ترتبط بهوية التشيع، رداً على الترهات والأباطيل التي وُجّهت لهذه الهوية، وهي لا تستند إلى واقع تاريخي أو حقيقة علمية.

### **بلاغة الشعار: التجديد في النمط**

يسعى خطاب الجمهور الذي يصنعه من خلال مظاهر مختلفة إلى إبراز الصورة الواقعية لأتباع مذهب آل البيت عليهم السلام، من خلال الشعارات المرفوعة التي حرصت

(١) وادي، علي شناوة، دراسات في الخطاب الجمالي البصري: ص ١٢٥.

(٢) عماد عبد اللطيف، بلاغة الحرية، معارك الخطاب السياسي في زمن الثورة: ص ١١٦.

على أن تبقى ضمن إطار النهضة الحسينية، ويسعى كذلك إلى مقابلة الفعل التشويهي الذي تمارسه وسائل الإعلام عبر صياغة أفكار غير واقعية عن أتباع المذهب، ونقل صورة مشوّهة عنه إلى العالم، صورة قائمة على اجتزاء بعض الحالات من سياقها الخاص، وارتباطها بمجموعة ما، وتقديمها إلى المتلقي الآخر على أنّها الصورة الواقعية والشاملة لمراسم إحياء ذكرى عاشوراء والأحداث التي تلتها، فالرسالة التي يُقدّمها الجمهور للعالم عبر خطاب الشعارات المرفوعة ترتكز إلى أرضية صلبة ثابتة؛ لأنّها مرتبطة بجوهر النهضة الحسينية؛ ومن هنا لا يمكن فصل قراءة مدلولات الشعار الذي يرفعه موكب معيّن أو فردٍ ما منفصلاً عمّا يمارسه من فعل، كتقديم الخدمة للزائرين والتفاني فيها، وبذل المال والوقت والجهد، وتعريض النفس للأذى والخطر أحياناً، فهو لا يفصل هنا بين الشعار والممارسة، فتجده يرفع شعاره بخطّ واضح وكبير (خادم وافتخر).

إنّ الانسجام الاجتماعي وتحقيق التعايش الإنساني بشكله الأمثل، وبمختلف صورته وأنماطه هو بعض ما يقوله الخطاب، كما أنّ مودة صاحب القضية والنهضة والذكرى، تتحقّق من خلال هذا الانسجام والتعايش مع أفراد المجتمع الإنساني، على اختلاف انتماءاتهم القومية والعرقية والدينية أيضاً.

لقد امتاز الخطاب الذي يصنعه جمهور الزائرين والقائمين على خدمتهم من أصحاب المواكب بالانفتاح على الإنسانية ووعي سبل صلاحها، فالفرد العادي يُدرك ببساطة تفكيره ووعيه أنّ شعاره الذي يرفعه، وممارسته الإحيائية التي يقوم بها، تُعدّ مثلاً حياً وملموساً لما يريده صاحب المناسبة من الفرد المؤمن، الأمر الذي تجسّده بلاغة بعض الشعارات الموظّفة في رفضها ثقافة الخنوع، من مثل: (هيئات منّا الذلّة)، (كلّنا حسينيون من الأنبار إلى كربلاء)، (عاشوراء ثورة المظلوم على الظالم)، (من كربلاء الحسين كلّنا أسود الرافدين)، (الحسين سرّ انتصاراتنا)، إلى الحدّ الذي أصبح فيه الموكب إيقونة شعاريّة تتصلّ بماضٍ اتّسم بالرفض لممارسة السلطات المانعة

من إحياء عاشوراء، وهو ما يعني في دلالته العميقة فعلاً استلابياً يُقيّد الفرد ويخنق حرّيته ويسحق إرادته، فيمكن قراءة كثافة فعل الجمهور عبر هذه الكثرة اللافتة للنظر في المواكب والشعارات والرايات تفويضاً جماعياً متعدّداً للجمهور منحه هو لنفسه؛ للتعبير عن قوّته ووعيه وحضوره في الحياة، إذ يكرّس الشعار ودلالة رفع الرايات انتصار الإرادة وقدرة الجمهور على القيام بفعلٍ مؤثّر، واستحالة إخضاعه وتحويله إلى آلة بيد السلطات الدنيوية، أو النظر إليه على أنّه خانع عاجز، وقاصر عن تحقيق حياة كريمة.

ومن الواضح ارتكاز هذا النمط من الشعارات إلى جمل شريفة، كالنص الوارد «أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطانٍ جائر»<sup>(١)</sup>، الذي كان من شعارات الطف الحسيني، التي حرص الإمام الحسين عليه السلام على إشهاره وتجسيده، بل كان بمثابة «اللائحة السياسية للمنهج الممتدّ، حملة وحكم به مفردات الحياة والدولة، وألزم الأُمَّة المشاركة في صنع وتطبيق هذه اللائحة، التي تفرض مفهوم الاستبداد والعبثية بجميع صورها، وأياً كان مصدرها»<sup>(٢)</sup>. وكذلك تنهل شعارات المواكب من الإعلان الكبير للنهضة الحسينية، أو ما يمكن تسميته مجازاً بالبيان الأوّل لها، على الرغم من أنّ الإمام عليه السلام يذكر في مستهلّه بما يفيد أنّه وصية، إذ يقول عليه السلام: «هذا ما أوصى به الحسين ابن علي إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية، أنّ الحسين يشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، جاء بالحقّ من عنده، وأنّ الجنة والنار حقّ، وأنّ الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإني خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن قبلني بقبول

(١) المتقي الهندي، علي بن حسام، كنز العمال: ج ٣، ص ٦٤.

(٢) آل نور، نعمة جابر، النهضة الحسينية والعناصر الحيوية للإبداع والتأثير في الأُمَّة، مجلّة الإصلاح

الحسيني: العدد ٥، ص ١١٣.

الحق، فالله أولى بالحق، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين...»<sup>(١)</sup>.

من هنا كان الشعار في دلالة الأولى ثورة على النفس ونوازعها، وهو يقترن بفعل إحياء شاقّ ومتعب، كالمشي لمسافات طويلة، أو الوقوف نهاراً كاملاً لأكثر من عشرين يوماً بشكل متواصل، إذ تدوب المصلحة الذاتية إزاء الهدف الأسمى، ويتحرّك الجميع في فضاء من التنافس والإيثار، كلٌّ فرد يسعى لخدمة الآخر وتلبية حاجاته، ويتّجه الجميع نحو هدفٍ واحد، ومحور مركزي شاخص.

وتسعى بعض الشعارات إلى بيان المنهج الحياتي الإصلاحي الذي يتبنّاه الجمهور، ومنها: (أنا حسيني لا أطلق الرصاص في الهواء)، (أنا حسيني لا أتعامل بالربا)، (أنا حسيني لن أكون مفسداً)؛ فخطابه يدلّل على حسّ الوطني والديني العميق إزاء مظاهر الفساد الموجودة في الحياة، أو التي من الممكن أن تظهر، وهو يسعى إلى معالجتها ومحاربتها، عبر ترجمة أهداف الإصلاح الحسيني إلى واقع عملي، وهو من وجهٍ آخر يُمثّل فعلاً تثقيفياً يمارسه الجمهور، ليؤكّد لنفسه ولغيره أنّه على تماسّ كبير ووعي فائق بالقضايا الاجتماعية وبعض مظاهر الفساد الأخلاقي، ويطحها بأكثر الصيغ وضوحاً، عبر لغة مباشرة تبدأ من الذات بالتّجاه المجموع، وتكون وظيفة الشعار التحريض على المشاركة في الفعل الإصلاحي، فضلاً عن وظيفة التنبيه التي استعمل لأجلها الشعار، ويُعدّ هذا الفهم من أندر أشكال التفاعل مع الحياة في نفوس الأفراد من المجتمع؛ إذ إنّ استنباته في النفوس، وتثبيت وجوده وإنهائه أمور في غاية الصعوبة، تتطلب مشاريع تثقيفية كبرى، قد لا تحقّق هذه الأهداف بالمستوى نفسه الذي نراه هنا، فالارتباط بالقدوة الحسنة والقيادة المثالية، والتسالم على هذا الارتباط ما بين مئات الأجيال المتلاحقة، أمرٌ لا يحقّقه غير الدين وبتسديد إلهي.

إنّ تفاعلاً للجمهور مع دروس النهضة الحسينية بهذا المستوى، يمكن أن

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩.

يتمخض في المستقبل عن تمثّل أكبر، تجتاز فيه بلاغة الجمهور حدود الشعار التي تحصره بالواقعة، إلى فضاء يفيد منه الجمهور في قراءة الحاضر ومشاكله، وتشخيص مسببات هذه المشاكل وتسجيلها بصورة فعلية في ضوء الدروس الكبيرة المستخلصة من النهضة الحسينية، ورفع ذلك شعاراً وتجسيده فعلاً على ساحة العمل.

وهنا نجد أنّ من الممكن العمل على توجيه الشعارات ابتداءً؛ من خلال لجان متخصصة تصوغ الخطاب الجماهيري بما يربّي لدى الفرد العادي الحس الديني/ السياسي؛ ليرفع في مستقبل الأيام شعاره الخاص الذي يُصيغه بنفسه، ويختار دلالاته ويحدّد هدفه.

### بلاغة النموذج في بعض الشعارات

هنا تكاد تغيب الإضافة التلقائية والذاتية من قبل الأفراد في مقابل حرص شديد منهم على استعمال المعارف عليه من الشعارات المتعلقة بالنهضة الحسينية، ولا يدلّ تشابه الشعارات وتمثالها، ووحداية السلوك المتّسم بالإيثار، على خضوع بلاغة الجمهور لموجّه يسمّيه علم الاجتماع بالإيحاء الاجتماعي؛ وذلك لأنّ الأخير يتضمّن معنى وقوع الفرد تحت تأثير التقليد اللاواعي، وهذا بخلاف واقع الحضور الفاعل والمدرّك لأبعاد شعيرة الإحياء الذي يمارسه الجمهور. ولكي يكون التشخيص أكثر دقّة وعلمية، وابتعاداً عن التعميم والمبالغة في الوصف، نقول: إنّ مستويات وعي هذه المفاهيم تتفاوت بلا شكّ؛ نتيجة تفاوت مستويات التفكير والوعي والالتزام الديني، وتباين قوة القيم الثقافية المحرّكة له، وهو أمر طبيعي، غير أنّ هذه البلاغة تجسّد ثقافة نادرة، عجزت عن تحقيقها أكثر المجتمعات الحديثة تطوّراً، هي ثقافة المشاركة واستعداد الجمهور لأن يكون قوّة مؤثرة في صنع الحياة الكريمة التي خرج من أجلها الإمام الحسين عليه السلام.

يمكن إحصاء بعض النماذج من هذه الشعارات، (يا لثارات الحسين)، (يا ثار

الله)، (يا غريب كربلاء)، (يا شهيد)، (يا حسين)، (لبيك يا حسين)، (لبيك يا زينب)،  
(لبيك يا ثار الله)، (يا صريع كربلاء)، (يا قمر بني هاشم)، (نور عيني يا حسين)،  
(يا صاحب الزمان)، (السلام على الخد التريب)، (السلام عليك يا قاتل العبرات)،  
(السلام على ساقى عطاشى كربلا)، (أميري حسين ونعم الأمير)، (الأرض تبكي  
والسما والسيناه)، (السلام على المظلوم بلا ناصر، الحسين رمز السلام)، (الحسين  
مصباح الهدى وسفينة النجاة)، (لا يوم كيومك يا أبا عبد الله)...

ويمكن أن نقرأ الوجه الآخر لبلاغة هذا التشابه والتكرار، فقد جسّد نمط من  
الشعارات روح الحشد الجماعي الذي تذوب فيه الذات وتنصهر، وتؤكد انتماءً روحياً  
للنهضة، وتجاوزاً للفروقات المختلفة، فتصبح (أنا الذات) أنا الجمهور والجماعة،  
وهو ما يعنى القدرة على تشكّل بنية موحدة، أساسها المبادئ الواحدة، والسعي إلى  
الحفاظ على ديمومتها. ولعلنا نقرأ في كثير من شعارات المواكب والأفراد أصداء  
شعارات الطف التي رفعت - قولاً وعملاً - يوم المعركة وقبلها، واستمرت مجسّدة  
في الركب الحسيني فيما بعد. يريد الجمهور من ذلك تأكيد نبذ الخوف من الطغاة،  
وتحويله إلى حالة استنفار للطاقات والجهود بشكل فاعل ومؤثر روحياً وجسدياً،  
ولا شك أن تحقّق ذلك على النحو الأمثل يتطلب فعلاً تكملياً لهذا الحراك العفوي  
والاستجابة التلقائية، وهو الدور الذي يُناط بالبُنى المؤسّساتية المنظّمة من خلال  
بناء الوعي العلمي بأهداف الحسينية، وإثراء استجابة الجمهور لها.

وتستمدّ بعض هذه النماذج من الشعارات مضمونها من الأحاديث الشريفة  
الواردة بشأن إحياء ذكر الإمام الحسين عليه السلام، ومن ذلك النص الشريف «لما أخبر  
النبي صلّى الله عليه وآله ابنته فاطمة بقتل ولدها الحسين وما يجري عليه من المحن بكت فاطمة بكاءً  
شديداً، وقالت: يا أبت، متى يكون ذلك؟ قال: في زمان خالٍ منّي ومنك ومن علي.  
فاشتمد بكاءً وقالت: يا أبت، فمن يبكي عليه؟ ومن يلتزم بإقامة العزاء له؟ فقال  
النبي: يا فاطمة، إنّ نساء أمتي يكونون على نساء أهل بيتي، ورجالهم يكونون على رجال

أهل بيتي، ويجددون العزاء جيلاً بعد جيل في كلِّ سنة، فإذا كان القيامة تشفعين أنت للنساء وأنا أشفع للرجال، وكلٌّ من بكى منهم على مصاب الحسين أخذنا بيده وأدخلناه الجنة. يا فاطمة، كلِّ عينٍ باكيةٍ يوم القيامة، إلا عينٌ بكت على مصاب الحسين، فإنها ضاحكةٌ مستبشرةٌ بنعيم الجنة»<sup>(١)</sup>.

من هذه المضامين أنجزت بلاغة الجمهور شعارات انتشرت بشكلٍ واسعٍ جداً، تحرص أغلب المواكب وأكثر الأفراد على رفعها والتفنن بإشهارها، ومنها: (والله لا تمحو ذكرنا)، (ولا تُميت وحيناً)، (أبد والله يا زهراء ما ننسى حسيناً)، (نأتيك زحفاً سيدي يا حسين)، (وددت لو أن الطريق لكربلاء من مولدي سيراً لحين مماتي؛ لأنادي في يوم الحساب تفاعراً أفيت في حبِّ الحسين حياتي)، (يله نقصد كربله مشاية)، (حياتي حسين مماتي حسين)، (مشاية تقصدك أنصارك)، (مشاية وفاية للحسين من البحر إلى النحر). على أن سمة التماثل هذه لا تقتصر على الشعارات الموظفة من قبل الجمهور فحسب، بل هي ظاهرة نجدها في كثير من المراسم الحسينية، وعلى مستوى دولي، فمما يُسهم في تحقُّق التفاعل ما بين المنشد والراوي من جهة، وبين الجمهور المتنوع من جهةٍ أخرى في التعازي الحسينية هو اختلاف طرائق الإنشاد، ليس في البلد الواحد فحسب، وإنما في بلدانٍ أخرى أيضاً، على الرغم من التوحّد الديني؛ وذلك بفعل التأثيرات البيئية، واختلاف السياقات الثقافية الذي ينعكس على تنوع طبيعة استجابة الجمهور، غير أن هذا التنوع لا يعني اختلافاً كبيراً، أو خروجاً عن نسقٍ عامٍّ، حتى وإن اعتمد المنشدون والخطباء منهجاً مبتكراً في تعازيهم<sup>(٢)</sup>.

يتجاوز الشعار هنا حدود زمنه الذي رُفع فيه ليتمتدّ مشروعاً دائماً، محرضاً على التطبيق، ومنبهاً قارئه على أهمّية مضامينه، بمعنى أنه يمارس دوراً مزدوجاً؛ يتجسّد في إلفات النظر وتوجيه الجهود نحو تشخيص الفاسد من الأوضاع والأمور العامّة،

(١) المصدر السابق: ج ٤٤، ص ٢٩٢-٢٩٣.

(٢) أنظر: أوهان، فاروق، الأبعاد الدرامية في السير الملحمية الدينية، دراسة مقارنة بين الجمعة الحزينة والتعازي الحسينية: ص ١٥٧.

والحُض على الشروع في الإصلاح الذي هو جوهر النهضة الحسينية ودرسها الكبير.

## الخاتمة

حرصت هذه الدراسة المتواضعة على مقارنة ظاهرة دالة من ظواهر إحياء النهضة الحسينية في المجتمع العراقي بشكل عام، مع عناية بمجتمع مدينة كربلاء بخاصة؛ لما تشهده هذه المدينة من تجمّع بشري ضخم جداً، تنفرد به مكاناً ومناسبةً وطبيعةً إحياء، وكان ذلك من خلال ما يمنحه الاتجاه البحثي الجديد في ميدان الدراسات البلاغية الحديثة، وهو بلاغة الجمهور الذي ظهر حديثاً في مصر. ولا تدعي هذه الصفحات أنّها أغلقت باب الإضافة أو معاودة القراءة لتجليات بلاغة الجمهور في هذه الموضوعة، فهي بلا شكّ قراءة أولى تفتتح على إضافات واقتراحات ممكنة. لقد امتازت بلاغة الراية الموظفة في إحياء عاشوراء بتحوّلها إلى إيقونة ثورية، ما تكاد أيام المحرم تبدأ حتى ترفع علامة وإشارة ورسالة، وهي من خلال تعدّد ألوانها وأشكالها تؤدّي دلالات ترتبط بدروس النهضة، وتفصح من جانب آخر عن استجابة جماهيرية خاصّة، لها بلاغتها وأساليبها التعبيرية الدالة، وقد استعانت بلاغة الراية في بعض أشكالها بالصورة أو الإيقونة المرسومة التي لها صلة بواقعة الطف، من خلال وجه من وجوه الواقعة الشريفة.

من جانبٍ آخر، كان للشعار دوره الهامّ في تجسيد بلاغة الجمهور، فهو قد حقق تنوعاً في أنماطه، من خلال التجديد والانفتاح على مستجدات الحياة وظروفها الطارئة، فضلاً عن وظيفته الرئيسة، المتمثلة بالتوصيل والإقناع، وقد حقّق ذلك في كلّ صورته؛ لأنها حرصت على أن تكون مرتبطة بشخص الإمام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة، ولم تكن الشعارات - التي جاءت نمطية متكرّرة - خالية من بلاغة دالة ومقصودة بذاتها، فاستمرار شعار ما في الظهور، والإلحاح على رفعه، والحرص على تبيّنه لا يفرغه من محتواه أو دلالاته العميقة، بل يدلّل على أهمّية المضامين، وارتباطه بجوهر القضية، وهو ما جسّدته بعض النماذج من الشعارات. والحمد لله ربّ العالمين.

## شعيرة لبس السّواد في المنظار الفقهي

الشيخ عدنان الشامي\*

### تمهيد

تواجه الشعائر الحسينية بين الفينة والأخرى موجة من التشكيكات وإثارة بعض الشبهات حول مدى مشروعيّتها أو دليل رجحان إقامتها، وقد تمتد هذه الشبهات إلى اعتبارها بدعةً وضلالاً، أو تخلفاً ورجعيةً، أو ممارساتٍ عاطفية لم تأخذ مشروعيّتها من الشرع، ولا ترقى إلى أهداف الإمام الحسين عليه السلام التي ضحّى من أجلها، وما إلى ذلك. والذي يبدو أنّ مَنْ يُثير هذه الشبهات والإشكالات لم يتعمّق في فلسفة هذه الشعائر وأهدافها والبعد العقائدي والفكري لها، أو لا يملك وعياً كافياً واعتقاداً رصيناً يحصّنه من الشبهات، في حين يتصدّى البعض الآخر للدفاع بطريقة عاطفية لا تزيد الآخر إلا إصراراً وتصوراً بأنّ المسألة لا تعدو كونها طقوساً اعتاد عليها الشيعة، ورسختها الضغوطات التي مورست ضدهم وضدّ أئمّتهم، فكانت عبارةً عن ردّة فعلٍ وإثبات وجود.

ومن المظاهر التي تُعدّ من الشعائر الشائعة والمعروفة بين أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم، هي ارتداء الثياب السود في وفاة الرسول والأئمّة الأطهار والسيدة الزهراء عليها السلام، وخصوصاً في أيام محرّم الحرام وصفر، ذكرى شهادة سيّد الشهداء الحسين ابن علي عليه السلام، وثلّة من أهل بيته وأصحابه في كربلاء، بعد أن نهض في وجه الظلم طالباً

\* أستاذ في جامعة المصطفى عليه السلام العالمية، من العراق.

إقامة العدل و إصلاح الانحراف في الأمة، رافضاً الاستسلام والخنوع، مصمماً على فضح الظالمين وتعريتهم أمام الأجيال، حتى صنع تلك الملحمة العظيمة التي تحوّلت إلى أكبر مدرسة للإباء ورفض الظلم على طول التاريخ ومدى تعاقب الأجيال. ونحن في هذه الدراسة نحاول أن نسلط الضوء على هذه الممارسة من جميع حيثياتها العلمية والاجتماعية والشرعية، كي يتّضح حكمها ومدى مشروعيتها من الناحية الفقهية؛ لأنّ كلّ ممارسة - مهما كانت صبغتها - يجب أن توضع في الميزان الفقهي، ليُرى مأخذها ودليل مشروعيتها ومدى انسجامها مع الخطّ العام للتشريع المقدّس بعيداً عن العواطف، فإنّ علم الفقه هو الميزان والمعياري في مشروعية وعدم مشروعية كلّ ممارسة أو سلوك فردي أو اجتماعي، وفي جميع مجالات الحياة طبقاً لمعطيات النصوص والقواعد العامّة والخاصّة وروح الشريعة وأهدافها المقدّسة. وإليك معالجة ظاهرة شعيرة (لبس السواد) ضمن العناوين الآتية:

### أولاً: التعريف

المراد من لبس السواد: هو ارتداء الثياب السوداء، وهذا أمر واضح لغّةً وعرفاً، والذي ينفع في المقام هو معرفة حقيقة السواد من الناحية العلمية، فإنّ ذلك قد يؤثّر في معرفة خصائصه ودلالاته.

هذا وقد عرّف اللون الأسود علمياً بأنّه: عبارة عن غياب الضوء، وعدم وصوله للعين، أو هو: «ذلك الانطباع الذي يترك في العين عندما لا تأتي أيّ أشعة ضوئية باتجاه العين، أي: لا تتحفز أيّ من المستقبلات اللونية في العين بفعل غياب الأشعة الضوئية»<sup>(١)</sup>. ومن هنا قالوا: إنّ اللّون الأسود ليس لوناً حقيقياً، فهو غير موجود في ألوان الطيف، بل هو امتصاص لجميع الألوان وعدم انعكاس لأيّ منها<sup>(٢)</sup>.

(١) ويكيبيديا (الموسوعة الحرة)، مادة (أسود).

(٢) أنظر: موقع: [www.mawdoo3.com](http://www.mawdoo3.com). مقال تحت عنوان: ماذا يعني اللون الأسود.

وَمَا يُؤَيِّدُ ذَلِكَ: ما ورد في بعض النصوص الروائية والأدبية التي يُستفاد منها أنّ المتوفى يكون بمثابة الضوء والنور لأقربائه في الحياة، وموته انطفاء لذلك الضوء، فتكون الدنيا مظلمةً بفقده، ومن ذلك خطاب الزهراء عليها السلام لأبيها بعد وفاته حين وقوفها على قبره قائلة: «يا أبتاه، انقطعت بك الدنيا بأنوارها، وزوت زهرتها، وكانت ببهجتك زاهرة، فقد اسودَّ نهارها، فصار يحكي حنادسها رطبها ويابسها»<sup>(١)</sup>، إلى أن قالت: «لو ترى المنبر الذي كنت تعلوه، علاه الظلام بعد الضياء»<sup>(٢)</sup>. وقول علي عليه السلام في رثاء فاطمة عليها السلام عند دفنها: «لقد اسودَّت عليّ الغبراء، وبعدت عني الخضراء...»<sup>(٣)</sup>. وقول الإمام زين العابدين عليه السلام عندما أراد مواراة أبيه الإمام الحسين عليه السلام حيث وضع خده على منحره الشريف: «طوبى لأرض تضمّنت جسدك الطاهر، فإنّ الدنيا بعدك مظلمة، والآخره بنورك مشرقة»<sup>(٤)</sup>. وغير ذلك.

## ثانياً: خصائص اللون الأسود ودلالاته

ذكر علماء النفس والاجتماع أنّ للون تأثيراً سيكولوجياً (*psychology*) على النفس، فتحدث أحاسيس ينتج عنها اهتزازات، بعضها يحمل سمات الراحة، والآخر يحمل صفات الإرهاق والاضطراب، وتنقسم هذه التأثيرات إلى مباشرة كالفرح والحزن، وغير مباشرة تتغيّر حسب الفرد.

فاللون الأصفر - على سبيل المثال - يبعث على السرور، ولعلّ ما في قوله تعالى: ﴿... إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظْرِينَ ﴾<sup>(٥)</sup>، إشارة إلى ذلك، في حين أنّ اصفرار الجسم علامة على عدم الصحة، واصفرار الزرع قبل أوان اصفراره علامة على فساده.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ١٧٦.

(٢) المصدر السابق: ص ١٧٧.

(٣) المصدر السابق: ص ١٨٠.

(٤) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٣٢٠.

(٥) البقرة: آية ٦٩.

واللون الأحمر يُشير إلى العاطفة الجياشة والاندفاع، كما يُشار به إلى القتال والحروب والدم؛ حتى أن بعض القبائل العربية تجعل اللون الأحمر شعاراً لها لتخويف أعدائها. بل ربما يتعدى تأثير اللون المجال النفسي فيكون له تأثيرٌ فيسيولوجي (Physiology) كما في اللون الأحمر؛ إذ إنَّ التعرُّض له لفترة طويلة يؤدي إلى زيادة في ضغط الدَّم<sup>(١)</sup>، وقد استعمل هذا اللون في علاج فقر الدَّم والأكزيما (Eczema)، وقديماً كانت الأمهات تُلبس الأطفال المصابين بمرض الحصبة ملابساً حمراء، وما زالت هذه العادة جاريةً إلى هذا اليوم<sup>(٢)</sup>.

ومن خصائص اللون الأسود أنه يرمز من جهة للقوَّة، ويدل على احترام النفس والاعتزاز بها، وفي الوقت نفسه هو لون الاكتئاب والحزن والحداد، فهو اللون التقليدي للحداد في الكثير من البلدان.

وقد ورد في بعض الآيات والروايات ما يؤيد ذلك، فقد جاء في بعضها أنه سبب لحصول الاختيال، وأنه من لباس الجبارين، وفي أخرى أنه يورث الهم، أو أنه علامة على الحزن والاكتئاب، وغير ذلك من الآثار السلبية من الناحيتين الصحية والأخلاقية، ومن تلك الآيات:

١- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

واسوداد وجوههم حينئذٍ لما أحاط بهم وشاهدوه من غضب الله ونقمته<sup>(٤)</sup>، وليس

(١) أنظر: كحيل، عبد الدائم، روائع الإعجاز النفسي في القرآن الكريم: ص ١٣٤.

(٢) أنظر: كامل، محمد حسن، مقالة (معجزة القرآن في دنيا الألوان): منتديات اتحاد الكتاب والمتقنين

العرب على الموقع: <http://alexandrie.yoov.com/forum.htm>

(٣) الزمر: آية ٦٠.

(٤) أنظر: القرطبي، محمد بن أحمد، تفسير القرطبي: ج ١٥، ص ٢٧٤. الشوكاني، محمد بن علي، فتح

القدير: ج ٤، ص ٤٧٢.

المعنى كنايةً، بل «ظاهر الآية أنّ وجوههم تسود حقيقة»<sup>(١)</sup>. فالاسوداد هنا آية الذلة<sup>(٢)</sup>.

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

«أي: صار مربرداً من الكآبة»<sup>(٤)</sup>، والغم، والكظيم أي: «المملوء كرباً وغيظاً»<sup>(٥)</sup>.

وقيل في تفسير ذلك علمياً: إنّ الأبحاث الطبية والنفسية قد قررت أنّ الوجه مرآة النفس؛ لأنّ شكل الوجه يتوقّف على الحالة التي تكون عليها العضلات التي تتحرّك داخل الدهن الذي تحت الجلد، وتتوقّف حركتها على حالة أفكارنا وانفعالاتنا، فالغضب المكظوم يظهر على الوجه فيحتقن ويظهر مُحمراً أولاً، وإذا اشتدّ كظم الغضب وطال أمد احتقان الوجه يبدو مسوداً، وهو ما يُشاهد فعلاً<sup>(٦)</sup>.

٣- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ

أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ \* وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾<sup>(٧)</sup>.

قال الراغب: «ابيضاض الوجه عبارة عن المسرة، واسودادها عن الغم»<sup>(٨)</sup>.

إذا؛ في هذه الآيات إشارة إلى الحزن والكآبة والأذى التي يكون عليها الإنسان في تلك الحالات، ويضادّ اللون الأسود اللون الأبيض الذي يرمز إلى الطهارة والاستبشار، ونحو ذلك، سواءً أكان المراد بالاسوداد والابيضاض هو المعنى الكنائي أم الحقيقي، أي: سواد اللون وبياضه حقيقةً، ففي الحالين هو يرمز للحزن والغم، وعكسه البياض.

(١) الثعالبي، عبد الرحمن، تفسير الثعالبي: ج ٥، ص ٩٨.

(٢) أنظر: الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٧، ص ٢٨٤.

(٣) النحل: آية ٥٨.

(٤) الطبرسي، الفضل بن الحسن، تفسير جوامع الجامع: ج ٢، ص ٣٣٢.

(٥) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ١٨، ص ٩٠.

(٦) أنظر: إبراهيم، محمد إساعيل، القرآن وإعجازه العلمي: ص ١٦٧.

(٧) آل عمران: آية ١٠٦-١٠٧.

(٨) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن: ص ١٥٤.

ولعلّ ما تقدّم من التفسير العلمي في الآية المتقدّمة يؤيّد إرادة المعنى الحقيقي،  
إلا أنّنا لسنا في صدد تحقيق ذلك، فإنّ غرضنا هنا يتحقّق في الحالتين كما هو واضح.  
ومنها الروايات الواردة في النهي عن النعل السوداء، وتفضيل الصفراء والبيضاء،  
وهي:

١- ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه نظر إلى بعض أصحابه وعليه نعل سوداء،  
فقال: «ما لك وللنعل السوداء؟! أما علمت أنّها تضرُّ بالبصر، وتُرخي الذكر، وهي  
بأغلى الثمن من غيرها، وما لبسها أحدٌ إلاّ اختال فيها»<sup>(١)</sup>.

٢- روى حنان بن سدير، قال: دخلتُ على أبي عبد الله عليه السلام وفي رجلي نعل سوداء،  
فقال: «يا حنان، ما لك وللسوداء؟! أما علمت أنّ فيها ثلاث خصال: تُضعف البصر،  
وتُرخي الذكر، وتورث الهم، وهي مع ذلك من لباس الجبارين»<sup>(٢)</sup>.

٣- عن عبيدة بن زرارة، قال: رأني أبو عبد الله عليه السلام وعليّ نعل سوداء، فقال:  
«يا عبيد، ما لك وللنعل السوداء؟! أما علمت أنّ فيها ثلاث خصال: تُرخي الذكر،  
وتُضعف البصر، وهي أغلى ثمناً من غيرها، وأنّ الرجل يلبسها وما يملك إلاّ أهله  
وولده فيبعثه الله جباراً»<sup>(٣)</sup>.

بينما ورد التأكيد في الروايات على النعل البيضاء والصفراء، وأنها تُزيل الهم،  
وتجلب المال والولد، وتسّر الناظر، كرواية سدير الصيرفي قال: «دخلت على أبي عبد  
الله عليه السلام وعليّ نعل بيضاء، فقال لي: يا سدير، ما هذه النعل احتذيتها على علم؟ قلت: لا  
والله، جُعلت فداك. فقال: مَنْ دخل السوق قاصداً لنعل بيضاء لم يلبسها حتى يكتسب  
مالاً من حيث لا يحتسب»<sup>(٤)</sup>. ورواية أبي البخترى، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مَنْ لبس

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٥، ص ٦٧.

(٢) المصدر السابق: ح ٢.

(٣) المصدر السابق: ص ٦٨.

(٤) المصدر السابق.

نعلاً صفراء كان في سرور حتى يلبها»<sup>(١)</sup>. وغير ذلك<sup>(٢)</sup>.

ومنها: الروايات الدالة على أن السواد لباس آل فرعون كقول أمير المؤمنين عليه السلام فيما علم أصحابه: «لا تلبسوا السواد؛ فإنه لباس فرعون»<sup>(٣)</sup>.  
وغير ذلك مما يُشير إلى أنه لباس تكبرٍ وتجبّر واعتداد بالنفس، كما أنه لباس حزن وحداد.

### ثالثاً: لبس السواد لدى الأمم والشعوب

الظاهر أن لبس السواد عند المصيبة من التقاليد المعروفة عند الأمم والشعوب قبل الإسلام وبعده؛ فكان الإيرانيون، واليابانيون، والرومانيون، والمصريون، واليهود القدماء، وغيرهم يلبسون السواد حداداً وحنناً على موتاهم، وإن كانت بعض الأمم تلبس ألواناً أخرى، ولم يكن ذلك عن غير قصد، بل لكل تقليد في اللباس منشأ وقصد؛ فإن كل أمة أو شعب يدعي أن اللون الذي يختاره يرمز إلى شيء؛ فالأصفر يرمز إلى سقوط الجسد؛ لأنه لون الورقة عند ذبولها، والأزرق يرمز إلى المسكن السماوي الذي يصير إليه نفس الصديق، والرمادي إشارة عند البعض إلى أدمة التراب الذي منه المنشأ وإليه المصير، والأبيض عند الصينيين إشارة إلى الطهارة والخلود، والأسود عند الرومان واليونان إشارة إلى المقر المظلم الذي يصير إليه كل ميّت<sup>(٤)</sup>.

ولعلّ الأسود عند العرب والمسلمين يرمز إلى ما تقدّمت الإشارة إليه من انطفاء شعلة الحياة، فتكون الدنيا مظلمة ومسوّدة في عيون الأقرباء.

وقيل: إن المتأخرين من الشعوب المتمدّنة تكاد تكون ملابس الحداد عندهم

(١) المصدر السابق: ص ٦٩.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٦٨ - ٧٠.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٥١.

(٤) أنظر: البستاني، بطرس، دائرة المعارف: ج ٦، ص ٧١٠ - ٧١٣.

واحدة، ويحسبون اللون الأسود أليق من سائر الألوان<sup>(١)</sup>. وهناك شواهد كثيرة على جريان هذه العادة بين مختلف الأقوام، والعرب على الخصوص، حتى قيل: إنَّ أوَّل مَنْ خالف ذلك ولبس البياض عند الحزن على الميت هم ملوك الغرب (أي: الأندلس) من بني أمية؛ قصداً لمخالفة بني العباس في لباسهم السواد<sup>(٢)</sup>، وأنَّ أهل الأندلس أخذوا ذلك من الأمويين<sup>(٣)</sup>، وفي ذلك يقول الحسن ابن علي بن عبد الغني الحصري:

إذا كان البياض لباس حزنٍ      بأندلس فذاك من الصواب  
فإن يُقتلوا فالقتل أكرم ميتة      وكلّ فتى يوماً لإحدى الشواعبِ  
ألم ترني لبست بياض شيبى      لأنّي قد حزنت على الشباب<sup>(٤)</sup>.

و«قيل لراهبٍ عليه مدرعة شعر سوداء: ما الذي حملك على لبس السواد؟ فقال: هو لباس المحزونين وأنا أكبرهم...»<sup>(٥)</sup>.

و«قال بعضهم: لقيت راهباً عليه سواد، فقلت له فيه، فقال: ما تلبس العرب إذا مات لهم ميت؟ قلت: السواد. قال: فأنا في حداد الذنوب»<sup>(٦)</sup>.

ولما أصابت قريش من النبي ﷺ وأصحابه يوم أحد، سوّد الأنصار الثياب كما تصنع العرب في ثيابها عند المصائب<sup>(٧)</sup>.

ومن الشواهد الواضحة على ذلك أيضاً تفسير اللّغويين للحداد بأنّه «ثياب الماتمّ السود»<sup>(٨)</sup>، وكذا (السلام)، فقد روي عن الرسول ﷺ أنّه «قال لأسماء بنت عميس

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٧١٢.

(٢) أنظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، الوسائل إلى معرفة الأوائل: ص ٨٠.

(٣) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، المحاضرات والمحاورات: ص ٤٠٨.

(٤) المصدر السابق.

(٥) ابن فهد الحلي، أحمد بن محمد، التحصين: ص ١٥.

(٦) الزمخشري، محمود بن عمر، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: ج ٣، ص ٧٤٧.

(٧) أنظر: أخبار الدولة العباسية، لمؤلف مجهول من القرن الثالث الهجري: ص ٢٤٧.

(٨) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح: ج ٢، ص ٤٦٣.

بعد مقتل جعفر: (تسَلَّبِي ثلاثاً، ثم اصنعي ما شئتِ)، أي: البسي ثوب الحداد، وهو السلاب، والجمع سلب، وتسَلَّبَت المرأة إذا لبسته، وقيل: هو ثوبٌ أسودٌ تُغَطِّي به المحدثُ رأسها. ومنه حديث بنت أم سلمة (أتها بكت على حمزة ثلاثة أيام وتسَلَّبَت)»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن منظور: «وفي الحديث عن أسماء بنت عميس: أنها قالت: لما أُصيب جعفر أمرني رسول الله ﷺ، فقال: (تسَلَّبِي ثلاثاً، ثم اصنعي بعد ما شئتِ). تسَلَّبِي، أي: البسي ثياب الحداد السَّود...»<sup>(٢)</sup>.

فهذه كلها شواهد على أن الأسود لباس الحزن والحداد عند العرب قبل الإسلام وبعده.

### رابعاً: لبس السواد في النصوص الشرعية

وردت عدّة روايات تنهى عن لبس السواد في النعل وفي الثياب، وقد تقدّمت الروايات الناهية عن النعل السوداء، والحائِة على البيضاء والصفراء، مع الإشارة إلى علّة ذلك والإرشاد إلى الآثار المترتبة عليه، وأمّا الروايات الناهية عن الثياب السود والحائِة على لبس الثياب البيضاء فهي مستفيضة، وإليك كلتا الطائفتين:

#### ١. الروايات الناهية عن لبس السواد

إن الروايات الناهية عن لبس السواد على طوائف، فمنها: الروايات الدّالة على أنّه لباس فرعون، كالذي رواه الصدوق، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام فيما علّم أصحابه: «لا تلبسوا السواد؛ فإنّه لباس فرعون»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: ما دلّ على أنّه لباس أهل النار، فقد روى الصدوق - أيضاً - بإسناده عن حذيفة بن منصور أنّه قال: «كنت عند أبي عبد الله عليه السلام بالبحيرة، فأناه رسول أبي العباس

(١) ابن الأثير، المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث: ج ٢، ص ٣٨٧.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب ج ١، ص ٤٧٣، وأيضاً: ج ٢، ص ٨٣.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٥١.

الخليفة يدعوه، فدعا بممطرة له، أحد وجهيه أسود والآخر أبيض، فلبسه ثم قال ﷺ: أما إني ألبسه وأنا أعلم أنه لباس أهل النار»<sup>(١)</sup>. ورواه الكليني، عن محمد بن سنان<sup>(٢)</sup>، وقد ذكر الصدوق أنه ﷺ لبسه للتقية، وأنه إنما أخبر حذيفة بن منصور بأنه لباس أهل النار؛ لأنه ائتمنه. وقد دخل إليه قوم من الشيعة يسألونه عن السواد، ولم يثق إليهم في كتان السر فاتقاهم فيه، فقد روى داوود الرقي، قال: «كانت الشيعة تسأل أبا عبد الله ﷺ عن لبس السواد، قال: فوجدناه قاعداً عليه جبة سوداء، وقلنسوة سوداء، وخف أسود، مبطن بسواد، قال: ثم فتق ناحية منه، وقال: (أما إن قطنه أسود) وأخرج منه قطناً أسود، ثم قال: بيض قلبك والبس ما شئت»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: ما دل على أنه لباس بني العباس، فقد روي أنه «هبط جبرئيل ﷺ على رسول الله ﷺ وعليه قباء أسود، ومنطقة فيها خنجر، فقال له رسول الله ﷺ: يا جبرئيل ما هذا الزي؟ فقال زي ولد عمك العباس يا محمد، ويل لو لؤدك من ولد عمك العباس»<sup>(٤)</sup>.

ومن المعلوم أن السواد أصبح شعاراً لبني العباس، فقد كان السواد لون لباسهم وراياتهم، وربما عللوا ذلك بأنه حزن على شهداء كربلاء، وغيرهم من شهداء أهل البيت ﷺ، وبعد ذلك ألزموا أعضاء دولتهم وعمامة الناس بذلك حتى عرفوا بـ(المسودة)<sup>(٥)</sup>.

وبما أن الفراعنة، وبني العباس، أعداء الله ورسوله وأهل بيته ﷺ، فلا ينبغي التشبه والاقتران بهم؛ فقد نُهينا عن ذلك، وقد ورد عن الصادق ﷺ أنه قال: «أنه أوحى الله إلى نبي من أنبيائه: قل للمؤمنين لا يلبسوا لباس أعدائي، ولا يطعموا مطاعم

(١) الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج ٢، ص ٣٤٧.

(٢) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٦، ص ٤٤٩.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج ٢، ص ٣٤٧.

(٤) أنظر: المصدر السابق: ص ٣٤٨.

(٥) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، معاني الأخبار: ص ٢٨. المازندراني، محمد صالح، شرح أصول الكافي:

أعدائي، ولا يسلكوا مسالك أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي»<sup>(١)</sup>. وروى الصدوق في (عيون أخبار الرضا) نحوه، ثم قال: «قال مصنف هذا الكتاب عليه السلام: لباس الأعداء السواد، ومطاعم الأعداء النبيذ المسكر والفقاع...»<sup>(٢)</sup>.

ومنها: ما دلّ على أنه يكره لبس السواد، إلا في العمامة والخف والكساء، كالذي رواه الكليني، عن أحمد بن محمد مرفوعاً، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «يكره السواد إلا في ثلاثة: الخف، والعمامة، والكساء»<sup>(٣)</sup>.

وكذا ما رواه مرفوعاً أيضاً: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله يكره السواد إلا في ثلاث: الخف، والعمامة، والكساء»<sup>(٤)</sup>.

ففي هذه الروايات دلالة على كراهة لبس السواد مطلقاً وفي جميع الحالات. نعم، روى الكليني، بسنده عن محسن بن أحمد، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «قلت: أصلي في القلنسوة السوداء؟ فقال: لا تصلّ فيها، فإنها لباس أهل النار»<sup>(٥)</sup>. وروى مرسلأً أيضاً: «لا تصلّ في ثوب أسود، وأما الخف أو الكساء أو العمامة فلا بأس»<sup>(٦)</sup>.

وظاهرهما الاختصاص بالصلاة، لكن سوف تعرف لاحقاً تصريح الفقهاء بعموم الكراهة وحمل الروايتين المذكورتين على تأكدها في الصلاة، أو على عدم المنافاة بينهما وبين روايات العموم.

## ٢. الروايات الحاتّة على لبس البياض

هذا مضافاً إلى ورود روايات حاتّة على لبس البياض - كما تقدّمت الإشارة إلى

(١) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٢٥٢.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٢٦.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ٤٠٣.

(٤) المصدر السابق: ج ٦، ص ٤٤٩.

(٥) المصدر السابق: ج ٣، ص ٤٠٣.

(٦) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٣، ص ٤٠٣.

ذلك - بل روى الجمهور عن النبي ﷺ أنه قال: «البسوا من ثيابكم البياض؛ فاتم من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم»<sup>(١)</sup>.

ورواه الكليني بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام، قال: «قال رسول الله ﷺ: البسوا البياض فإنه أطيب وأطهر، وكفنوا فيه موتاكم»<sup>(٢)</sup>.

وقد علّق بعض الفقهاء على هذه الروايات - في مقام تقريب الاستدلال بها على كراهة لبس السواد - بالقول: «وتعليق الحكم بالوصف يُشعر بنفيه عن غيره، وأيضاً: فإن اختصاص البياض بذلك لمصلحة راجحة موجودة فيه، فيكون ما يصادفه غير مشارك له في المصلحة، وأشدُّ الألوان مضادةً له السواد»<sup>(٣)</sup>.

### خامساً: فتوى الفقهاء بكراهة لبس السواد

إنّ مجمل الروايات المتقدمة تدلّ على كراهة لبس السواد، واستناداً إليها أفتى الفقهاء بكراهة الصلاة في الثياب السود عدا العمامة والخفّ والرداء، بل ظاهر بعضهم وصريح آخرين دعوى الإجماع عليه<sup>(٤)</sup>، وصرح بعضهم بأفضلية البياض مطلقاً حتّى في المستثنى، أي: العمامة والخفّ والرداء؛ إذ ليس المراد باستثناء الثلاثة من الكراهة كون أسودها مستحبّاً، بل المراد مجرد انتفاء الكراهة فيها<sup>(٥)</sup>، ونفي الكراهة عنها في النصوص وعبارات الفقهاء لا تدلّ على أزيد من ذلك؛ لأنّ نفي الكراهة أعمّ من الاستحباب والإباحة<sup>(٦)</sup>، وقد ورد التأكيد على البياض في عدّة روايات أوردها الكليني في كتاب الزينة من الكافي<sup>(٧)</sup>، بل ذهب بعض الفقهاء إلى

(١) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد بن حنبل: ج ١، ص ٢٤٧، وص ٢٧٤.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٦، ص ٤٤٥.

(٣) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، المعتبر: ج ٢، ص ٩٤.

(٤) أنظر: الطوسي، محمد بن الحسن، الخلاف: ج ١، ص ٥٠٦.

(٥) أنظر: العاملي، زين الدين بن علي، مسالك الأفهام: ج ١، ص ١٦٨.

(٦) أنظر: العاملي، زين الدين بن علي، روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان: ج ٢، ص ٥٥٨.

(٧) أنظر: الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٦، ص ٤٤٥.

القول بـ«تضافر الأخبار بالأمر بلبسها، وكونها خير الثياب وأطهرها وأطيبها»<sup>(١)</sup>.  
إلا أن ظاهر أغلب الروايات المتقدمة عموم الكراهة لحال الصلاة وغيرها، كما  
نبّه على ذلك بعض الفقهاء<sup>(٢)</sup> عدا الروايتين الأخيرتين الظاهرتين في الكراهة في  
خصوص الصلاة، فإن مفهومهما عدم كراهة لبسه في غيرها، وعليه يحصل التعارض  
بين مفهوم هاتين الروايتين وبين إطلاق تلك الروايات.

وحينئذٍ فمقتضى العمل بالمفهوم، والجمع بينهما بحمل المطلق على المقيد، تكون  
النتيجة تقييد الروايات المطلقة بهاتين الروايتين، وبالتالي الحكم بالكراهة في خصوص  
الصلاة، إلا أن بعض الفقهاء ذهب إلى الجمع بين الروايات بتأكيد الكراهة حال  
الصلاة لضعف العمل بالمفهوم<sup>(٣)</sup>.

بل حتى بناءً على ثبوت المفهوم يمكن أن يقال: إنّه في باب المستحبات والمكروهات  
لا حاجة إلى حمل المطلق على المقيد، رغم أن مقتضى كون القضية ذات مفهوم عدم  
مطلوبية وعدم مبعوضة فاقد القيد - الذي هو لبس السواد في غير الصلاة في موردنا -  
إلا أن العلم الخارجي بكون المستحبات والمكروهات ذات مراتب باعتبار قيودها،  
يوجب صرف القضية عن كونها ذات مفهوم، فلا تتحقق المنافاة بين القضيتين  
لتحمل إحداهما على الأخرى<sup>(٤)</sup>.

إلا أن بعض الفقهاء رفض ذلك باعتبار أن كون المستحبات والمكروهات ذات  
مراتب إنّما هو باعتبار غالب قيودها، ومن الواضح أن مجرد ثبوت الغلبة في ذلك  
لا تصلح لصرف ظهور القضية الشرطية في كونها ذات مفهوم، وإلا لزم الالتزام  
بعدم التقييد فيما إذا كان التقييد بمتصل أيضاً، مع أنه خلاف الواقع والمفروض،  
فالصحيح في مورد كون القضية ذات مفهوم هو حمل المطلق على المقيد والحكم

(١) الفاضل الهندي، بهاء الدين محمد بن الحسن، كشف اللثام عن قواعد الأحكام: ج ٥، ص ٢٩٦.

(٢) أنظر: المصدر السابق.

(٣) أنظر: العاملي، زين الدين بن علي، روض الجنان في شرح إرشاد الأذهان: ج ٢، ص ٥٥٨.

(٤) أنظر: الخوئي، السيد أبو القاسم، أجود التقريرات (تقرير بحث النائيني): ج ١، ص ٥٤٢.

باختصاص الطلب أو النهي بالمقيّد<sup>(١)</sup>.

وكيف ما كان فإنّ بعض الفقهاء ذهب إلى عدم الحاجة إلى التأويل والحمل على شدة الكراهة، ولا لحمل المطلق على المقيّد، بل الأولى الاجتناب عن السواد مطلقاً في الصلاة وغيرها؛ نظراً لدلالة الروايات على العموم، نافياً وجود روايات تدلّ على كراهة السواد في الصلاة فقط، حاملاً رواية (محسن بن أحمد) التي ورد فيها السؤال عن الصلاة في القلنسوة على كراهة السواد في القلنسوة، وليس فيها دلالة على الاختصاص بالصلاة<sup>(٢)</sup>، وهذا ما صرح به غيره من الفقهاء مستفيدين ذلك من مقتضى التعليل بكونه (لباس أهل النار)، فإنّه يدلّ على كراهة القلنسوة في غير الصلاة أيضاً<sup>(٣)</sup>، بل شكك بعضهم في شدة الكراهة وتأكيدها في القلنسوة السوداء لهذا الخبر، ضرورة أنّه بعد تعليل الكراهة فيه بالعلّة المشتركة بين الجميع، لم يبق حينئذٍ خصوصية لمورد التعليل، سيّما كونه من كلام السائل، ولعلّه لذلك أطلق باقي الفقهاء الحكم بالكراهة<sup>(٤)</sup>.

وهنا يأتي السؤال عن سبب إفتاء الفقهاء بالكراهة في الصلاة، وعدّ ذلك من مكروهات لباس المصلي؟

احتمل المحقّق النجفي أن تكون استفادة الفقهاء من هذه الأخبار الكراهة في الصلاة؛ «إمّا لدعوى اتحاد الكونين كما في المغصوب<sup>(٥)</sup>، أو لأنّ إطلاق الكراهة يقتضي شمول خصوص الصلاة، ولا ينافيه شمول غيرها، إذ ليس المراد اختصاص الصلاة بذلك من بين الأفراد، بل المراد الكراهة فيها بالخصوص، وإن كان غيرها من الأفراد كذلك<sup>(٦)</sup>»، مع اعتضاد الكراهة في الصلاة بالإجماع المحكي، ومرسل الكليني،

(١) أنظر: المصدر السابق: هامش رقم ١.

(٢) أنظر: المقدس الأردبيلي، أحمد، مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان: ج ٢، ص ٨٨.

(٣) أنظر: النراقي، أحمد بن محمد مهدي، مستند الشيعة في أحكام الشريعة: ج ٤، ص ٣٧٤.

(٤) أنظر: الجواهري النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٨، ص ٢٣٢.

(٥) فإنّ عنوان الصلاة هنا اتحد مع عنوان مرجوح مطلقاً، وهو لبس السواد.

(٦) الجواهري النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٨، ص ٢٣٠.

والمرسل في القلنسوة، ولا ريب في ظهور التعليل فيه بكونه (لباس أهل النار) بکراهة الصلاة في كل ما كان كذلك، وقد ورد في السواد أيضاً أنه لباس فرعون، وأنه زي بني العباس؛ فتتجه كراهة الصلاة فيه للتعليل المذكور<sup>(١)</sup>، فيكون حكمهم بالكراهة في الصلاة لهذه الاعتبارات، وليس لخصوص الروايات أو تخصيصها.

ثم إن حكمهم بالكراهة إما مطلقاً - كما هو ظاهر الروايات - أو في الصلاة خاصة، مع ظهور النهي في الروايات بالتحريم، إنما هو لمخالفة القول بالحرمة للشهرة، بل الإجماع على عدم الحرمة؛ فتثبت بهذه الأخبار الكراهة، هذا مضافاً إلى ما تقدم وما سيأتي من الروايات الدالة على الرخصة والإباحة.

وأما الأخبار الدالة على لبس الإمام للسواد، كالرواية المتقدمة عن داوود الرقي، فإنها محمولة على التقية أو بيان الرخصة<sup>(٢)</sup>، فلا ينافي ثبوت الكراهة.

### إنكار بعض الفقهاء لكراهة لبس السواد

هذا وقد أنكر بعض الفقهاء المتأخرين الحكم بكراهة لبس السواد مطلقاً؛ لضعف جميع تلك الروايات من حيث السند، فلا تصلح للاستدلال بها، عدا رواية السكوني عن إسماعيل بن مسلم، عن الصادق عليه السلام قال: «قل للمؤمنين لا تلبسوا لباس أعدائي، ولا تطعموا مطاعم أعدائي. ولا تسلكوا مسالك أعدائي، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي»<sup>(٣)</sup>. فهي معتبرة من حيث السند، ودالة على النهي عن التشبه بالأعداء في اللباس والطعام، وعليه لا بد من الأخذ بمضمونها، فلا يجوز لبس ما اختص به أعداء الدين، كالقبعة التي يختص بها اليهود. إلا أنه لم يثبت اختصاص لبس السواد بأعداء الدين.

نعم، يمكن ثبوت الاختصاص بخصوص اللبادة السوداء، فإن لبسها من

(١) أنظر: المصدر السابق: ص ٢٣١. الهمداني، رضابن محمد، مصباح الفقيه: ج ١٠، ص ٤٥١.

(٢) أنظر: النراقي، أحمد بن محمد مهدي، مستند الشيعة في أحكام الشريعة: ج ٤، ص ٣٧٥.

(٣) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٤، ص ٣٨٥.

مختصات علماء اليهود والنصارى.

وعليه؛ فالفتوى بالكراهة مبنية على أخبار (من بلغ)، والمعبر عنها بـ(قاعدة التسامح في أدلة السنن)، وبأحد فهمين وتفسيرين لها:

الأول: أن يكون المراد منها أن الخبر في غير الأحكام الإلزامية - مثل الاستحباب والكراهة - معتبر وإن كان ضعيف السند ما لم يحصل العلم بكذبه؛ لعدم اشتراط شيء في مجيئها مما يُعتبر في حجية الأخبار الدالة على حكم إلزامي (كالوجوب والحرمة)، أو المستلزمة لحكم إلزامي (كالنجاسة والملكية والزوجية).

الثاني: إن أصل قيام الخبر المحتمل أنه قول المعصوم عليه السلام هو بنفسه من العناوين المرجحة، فإذا كان ذلك الخبر يتضمّن ثواباً على عمل فذلك العمل يكون مستحباً. فالفتوى بالكراهة مع ضعف الخبر متوقفة على الالتزام بأحد هذين التفسيرين، في حين أن الصحيح هو أن المستفاد من أخبار «من بلغ» هو أن المكلف عندما وصلته مطلوبة عمل ما عن طريق خبر ضعيف، فأتى به انقياداً ورجاءً، استحقّ الثواب والتقرب إلى الله؛ بسبب ذلك الانقياد والخضوع إلى الله تعالى، ومقدار ذلك الثواب هو نفس ما بلغه في ذلك الخبر، وعليه فمن لم يتيقن بالحكم لضعف الخبر ويأتي بالعمل رجاءً وانقياداً؛ لعدم علمه بصدوره من النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام عليه السلام فله ذلك الثواب.

ومع التنزّل والأخذ بأحد التفسيرين، فمع ذلك لا يمكن تطبيقها هنا؛ لأنها - أي: أخبار من بلغ - إنما تدلّ على الكراهة في موارد النهي التكليفي، وليس النهي عن لبس السواد نهياً تكليفياً، بل هو إرشاد إلى كون الفرد المنهي عنه أقل الأفراد ثواباً، فمن أراد العمل على طبق الخبر يمتنع من الصلاة في الأسود، وليس ترك الصلاة في الثوب الأسود موجباً لإعطاءه الثواب، وإن كانت الصلاة في غيره أكثر ثواباً، فترك العمل فيما نحن فيه ولو كان عملاً، إلا أنه لم يرد فيه ثواب.

وما قد يُقال: بأنّ عمل المشهور جابر لضعف هذا الخبر وإن كان ضعيف السند،

غير صحيح؛ لاحتمال استنادهم إلى أخبار (مَن بلغ)، كما يُستفاد ذلك من السيّد العاملي، فإنه بعد أن صرّح بضعف الروايات كلّها، أثبت الحكم باعتبار أنّ المقام مقام كراهة وتنزيه؛ إذ قال: «وهذه الروايات كلّها قاصرة من حيث السند، إلا أنّ المقام مقام كراهة وتنزيه، فلا يضرّ فيه ضعف السند»<sup>(١)(٢)</sup>.

وكذا الحال في الإحرام، فقد أفتوا بكراهته بالأسود<sup>(٣)</sup>؛ لهذه الأخبار أيضاً، ولخبر الحسين بن المختار، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يُجرّم الرجل في الثوب الأسود؟ قال: لا يُجرّم بالثوب الأسود ولا يُكفّن به الميت»<sup>(٤)</sup>. حملاً له على الكراهة؛ لأصالة الإباحة، ولأنّه ثوب يُصلّى فيه بالإجماع، وكلّ ثوب يُصلّى فيه يجوز فيه الإحرام؛ لما رواه حريز عن الصادق عليه السلام أنّه قال: «كلّ ثوب يُصلّى فيه فلا بأس أن يُجرّم فيه»<sup>(٥)</sup>.

والمستخلص من كلّ ما تقدّم سواء ما ذكره علماء النفس وما ذكر من الناحية العلمية، أو ما ورد في الروايات وكلمات أغلب الفقهاء أنّ لبس الثوب الأسود مرجوح؛ إذ غاية ما في الأمر أنّنا نحمل الروايات على الإرشاد إلى آثاره النفسية، أو الاجتماعية، أو العلمية، خصوصاً مع التأكيد على اللون الأبيض، وعليه ينبغي اجتناب لبسه في الحالات الطبيعية والحياة العادية.

### سادساً: حكم لبس السواد في عزاء الأئمة عليهم السلام والإمام الحسين عليه السلام على الخصوص

بعد كلّ ما تقدّم نصل إلى بيت القصيد وُصّلب الموضوع وهو النظر في حكم لبس السواد في عزاء الأئمة عليهم السلام؛ إذ اعتاد شيعة أهل البيت عليهم السلام - بل وغيرهم - على

(١) الموسوي العاملي، محمد بن علي، مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام: ج ٣، ص ٢٠٢.

(٢) أنظر: الميرزا، جواد التبريزي، الأنوار الإلهية: ص ٦٣-٦٦.

(٣) أنظر: المحقق البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة: ج ١٥، ص ٥٥٤. الجواهري النجفي، محمد حسن، جواهر الكلام: ج ٨، ص ٤٢٤.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٥، ص ٦٦.

(٥) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٣٣٩.

لبس الثياب السوداء في وفيات الأئمة عليهم السلام، وفي أيام محرّم وصفر، حُزنًا على سيّد شباب أهل الجنة وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه (رضوان الله عليهم)؛ إحياءً لأمرهم المأمور به في الروايات، إذ روي عنهم عليهم السلام قولهم: «أحيوا أمرنا... فرحم الله من أحيى أمرنا»<sup>(١)</sup>. فإن ارتداء الثياب السود حزنًا عليهم إحياءً لأمرهم، وتجديدٌ لذكرهم، وبيانٌ لمظلوميتهم، وإبقاءً لما جرى عليهم ماثلاً أمام الأجيال. ومن هنا؛ أصبح لبس السواد في عزاء الأئمة الأطهار عليهم السلام، والإمام الحسين عليه السلام على الخصوص، من الشعائر المهمة لدى الشيعة.

### ١- روايات استحباب لبس السواد عزاءً على الإمام الحسين عليه السلام

من الروايات التي استُدلّ بها على مشروعية لبس السواد حُزنًا على الحسين عليه السلام بل استحبابه، ما رواه ابن قولويه القمي، بسنده عن هشام بن سعد، قال: «أخبرني المشيخة أنّ الملك الذي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبره بقتل الحسين بن علي عليهما السلام كان ملك البحار، وذلك أنّ ملكاً من ملائكة الفردوس نزل على البحر فنشر أجنحته عليها، ثمّ صاح صيحة وقال: يا أهل البحار البسوا أثواب الحزن فإنّ فرخ رسول الله صلى الله عليه وآله مذبوح...»<sup>(٢)</sup>. والمرتكز والمتعارف أنّ ثياب الحزن هي الثياب السود ولا يُحتمل غيرها. ومنها ما رواه البرقي بسنده عن عمر بن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: «لما قُتل الحسين ابن علي عليهما السلام لبسن نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكنّ لا يشتكين من حرّ ولا برد، وكان علي بن الحسين عليهما السلام يعمل هنّ الطعام للمأتم»<sup>(٣)</sup>.

ومنها: ما ورد في بعض الروايات من أنّه لما أصبح يزيد بن معاوية استدعى حُرّم رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال هنّ: «أيما أحبُّ إليكنّ، المقام عندي أو الرجوع إلى المدينة ولكم

(١) الحميري القمي، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد: ص ٣٦.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٤٣.

(٣) البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن: ج ٢، ص ٤٢٠.

الجائزة السنوية؟ قالوا: نحبُّ أولاً أن ننوح على الحسين. قال: افعلوا ما بدا لكم، ثم أُخليت لهنّ الحُجر والبيوت في دمشق، ولم تبقْ هاشمية ولا قرشية إلا ولبست السواد على الحسين عليه السلام وندبوه...»<sup>(١)</sup>.

ووجه دلالة هاتين الروايتين الأخيرتين على المشروعية وعدم الكراهة، هو أنّ لبس السواد كان بحضور الإمام عليه السلام وعلمه، فهو تقرير منه لذلك، خصوصاً أنّ الظاهر أنّهم كنّ قد لبسونه بعنوان العزاء، فلو لم يكن ذلك من شعائر العزاء المطلوب وآدابه المندرجة في عموم تعظيم الشعائر لوجب عليه منعهم من ذلك حذراً من الإغراء بالجهل<sup>(٢)</sup>، هذا مضافاً إلى أنّ فيهنّ مثل الحوراء زينب عليها السلام. وهذه الرواية - إضافة إلى دلالتها على مشروعية لبس السواد، بل استحبابه على سيّد الشهداء عليه السلام - يمكن أن يستفاد منها استحباب إقامة المآتم على الإمام الحسين عليه السلام والإطعام فيه؛ لقيام الإمام السجّاد عليه السلام بذلك.

والظاهر أنّه لا كلام ولا شبهة في أصل مشروعيته، بل راجحيته حزناً على الحسين عليه السلام على مستوى الفتوى، إنّما وقع البحث من جهة التوفيق بينه وبين ما تقدّم من النهي عن لبس السواد، والحثّ على البياض؛ إذ قد يتصوّر لأوّل وهلة وجود التنافي بينهما، مضافاً إلى ما قد يُقال: من أنّ لبس السواد نوعٌ من الجزع، وقد تُهيننا عن الجزع وأمرنا بالصبر على المصيبة كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ \* الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ \* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٩٥.

(٢) أنظر: الطباطبائي الحائري، الميرزا جعفر، إرشاد العباد إلى استحباب لبس السواد: ص ٢٩.

(٣) البقرة: آية ١٥٥-١٥٧.

وقول الإمام علي عليه السلام مخاطباً الرسول ﷺ بعد وفاته: «لولا أنك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع لأنفدنا عليك ماء الشؤن»<sup>(١)</sup>. وقد أوصى النبي ﷺ ابنته فاطمة عليها السلام قائلاً: «إذا أنا متُّ، فلا تخمسي عليَّ وجهاً، ولا تنشري عليَّ شعراً، ولا تنادي بالويل، ولا تقيمي عليَّ نائحة»<sup>(٢)</sup>. ومثله ما أوصى به الإمام الحسين عليه السلام أخته الحوراء زينب عليها السلام، على ما رواه الشيخ المفيد رحمه الله عن علي بن الحسين عليه السلام - وأخرجه كذلك الطبري في تاريخه - قائلاً لها: «با أخية، إني أقسمت عليك فأبري قسمي، لا تشقي عليَّ جيباً، ولا تخمسي عليَّ وجهاً، ولا تدعي عليَّ بالويل والثبور إن أنا هلكت»<sup>(٣)</sup>. وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «لما فتح رسول الله ﷺ مكة بايع الرجال، ثم جاءه النساء يبايعنه، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يَشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرُقَنَّ وَلَا يَزْنِيَنَّ وَلَا يَقْتُلَنَّ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِيَنَّ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾... فقالت أم حكيم: ما ذلك المعروف الذي أمرنا الله أن لا نعصيك فيه؟ قال: لا تلمنن خدّاً، ولا تخمسن وجهاً، ولا تتفنن شعراً، ولا تشقن جيباً، ولا تسودن ثوباً، فبايعهن رسول الله على هذا...»<sup>(٤)</sup>.

إن مجموع هذه النصوص وغيرها تدلّ بوضوح على حسن الصبر، ومبغوضية الجزع، ومن هنا قد ينشأ تساؤل عن مدى راجحية لبس السواد في وفيات الأئمة الأطهار والإمام الحسين عليه السلام على الخصوص، إلا أنه تساؤل سرعان ما يتضح جوابه من الناحية العقائدية والفقهية والتاريخية، وقد تصدّى الفقهاء لذلك وإن تعددت وجوه الإجابة وتنوعت باختلاف منشأ الإشكال والشبهة، وإليك التفصيل:

(١) خطب نهج البلاغة: ج ٢، ص ٢٢٨.

(٢) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٥، ص ٥٢٧.

(٣) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٤. الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٣١٩.

(٤) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٢٠، ص ٢١١.

أما من جهة كراهة لبس السواد ودلالة الروايات المتقدمة عليه، فبناءً على ثبوتها - إذ قد عرفت تشكيك بعض الفقهاء في أصل ذلك - يُستثنى من تلك الكراهة لبسه عزاءً على سيّد الشهداء وغيره من أهل بيت العصمة عليهم السلام؛ للأمر بإظهار شعائر الحزن. قال المحدث البحراني - بعد نقل الروايات الدالة على الكراهة -: «ثم أقول: لا يبعد استثناء لبس السواد في ماتم الحسين عليه السلام من هذه الأخبار؛ لما استفاضت به الأخبار من الأمر بإظهار شعائر الحزن»<sup>(١)</sup>، ثم أيده برواية البرقي التي ورد فيها لبس الهاشميات السواد والمسوح على الإمام الحسين عليه السلام، وكان الإمام السجاد عليه السلام يعمل لهن الطعام. ووجه الاستثناء - على ما بيّنه الشيخ التبريزي رحمته الله - هو أن لبس السواد في وفيات الأئمة إظهاراً لمودّتهم وحبّهم، وحزنٌ عليهم، وإحياء لأمرهم<sup>(٢)</sup>.

فهو من مصاديق الحزن المستحب، وبما أنّ قسماً من الشعائر الحسينية، وأساليب الإحياء ليست حقائق شرعية أو أمور توقيفية، بل هي أمور عرفية، المدار فيها على إحياء ذكرهم وإظهار مظلوميتهم، والحفاظ على فكرهم وأهدافهم السامية، وضمان استمراريتها ونقلها إلى الأجيال من خلال العزاء والبكاء وإظهار الحزن ونحو ذلك، شريطة أن لا يصدق عليه عنوان محرّم شرعاً كالإساءة إلى الدين والمذهب، أو الإضرار بالنفس إضراراً محرّماً، فما بالك بلبس السواد الذي هو سيرة متعارفة بين الناس، وعليه شواهد تاريخية وروائية تدلُّ بوضوح على جوازه، بل على استحبابه.

كما أنّ تلك الروايات المتقدمة الواردة في كراهة لبس السواد المراد منها اتخاذه زياً في الحياة والحالات الطبيعية، أو احترازاً من التشبه بالفراعنة وبنو العباس وأهل النار، فهي ليست كراهة ذاتية لا تنفك، بل ترتفع إذا انطبقت عليه عناوين أخرى مطلوبة ومستحبة كالحزن على الأئمة عليهم السلام، وهذا ما أشار إليه الشيخ كاشف الغطاء؛

(١) المحقق البحراني، يوسف، الحقائق الناضرة: ج٧، ص١١٨.

(٢) أنظر: التبريزي، الميرزا جواد، الأنوار الإلهية: ص٦٩.

إذ قال معلقاً على عدِّ السيّد الزيدي الثياب السود في مكروهات اللباس حال الصلاة:  
«إلا لجهة راجحة كعزاء الأئمة»<sup>(١)</sup>.

## ٢- الروايات والشواهد التاريخية على ظاهرة لبس السواد في العزاء

من الروايات والشواهد التاريخية التي تدلّ على حصول لبس السواد، وأنه أمر متعارف قبل الإسلام وبعده، هي - مضافاً إلى ما تقدّم من أمر النبي ﷺ لأسماء بنت عميس بالتسلّب على جعفر، ولبس الهاشميات السواد على الحسين ﷺ - ما يلي:

١- لبس الإمام الحسن ﷺ السواد على أبيه بعد شهادته ﷺ: قال ابن أبي الحديد، واصفاً خروج الإمام الحسن بن علي ﷺ إلى الناس بعد استشهاد أبيه أمير المؤمنين ﷺ: «وكان خرج إليهم وعليه ثياب سود»<sup>(٢)</sup>.

٢- وفي إقبال الأعمال نقلاً عن كتاب (النشر والطي) بإسناده عن الرضا ﷺ، أنه قال في حديث في فضيلة يوم الغدير: «... وهو يوم تنفيس الكرب... ويوم لبس الثياب ونزع السواد...»<sup>(٣)</sup>.

٣- ومثلها روي في مستدرک الوسائل عن كتاب المحتضر للحسن بن سليمان الحلّي، بإسناده عن أحمد بن إسحاق، عن الإمام العسكري ﷺ، عن آبائه، عن رسول الله ﷺ في فضيلة يوم التاسع من ربيع الأوّل وأساميه - إلى أن قال - قال ﷺ: «ويوم نزع السواد»<sup>(٤)</sup>.

٤- رؤيا سكيّنة بنت الحسين ﷺ الزهراء ﷺ في المنام، وهي تندب الحسين ﷺ وعليها ثياب سود، على ما ذكره المحقّق النوري في المستدرک؛ إذ قالت: «... فإذا بخمس نسوة قد عظم الله خلقتهنّ، وزاد في نورهنّ، وبينهنّ امرأة عظيمة الخلقة، ناشرة

(١) الزيدي، محمد كاظم، العروة الوثقى: ج ٢، ص ٣٥٨، هامش رقم ٢.

(٢) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن محمد، شرح نهج البلاغة: ج ١٦، ص ٢٢.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٢، ص ٢٦١.

(٤) النوري الطبرسي، حسين، مستدرک الوسائل: ج ٣، ص ٣٢٦-٣٢٧.

شعرها، وعليها ثياب سود، ويدها قميص مضمخ بالدم، إلى أن ذكرت أنها كانت فاطمة الزهراء عليها السلام»<sup>(١)</sup>.

٥- لبس أهل المدينة السواد بعد مقتل الحسين عليه السلام: ففي مقتل أبي مخنف، عندما أخبر نعمان بن بشير بقتل الحسين عليه السلام، فلم يبقَ في المدينة مُحَدَّرَةٌ إلا وبرزت من خدرها، ولبسوا السواد وصاروا يدعون بالويل والثبور<sup>(٢)</sup>.

٦- ورؤي في الدعائم عن الإمام جعفر بن محمد الباقر عليه السلام، أنه قال: «لا تلبس الحاد [أي: المرأة في حِدادها على زوجها] ثياباً مصبَّغة، ولا تكتحل، ولا تُطَيَّب، ولا تُزَيَّن، حتَّى تنقضي عدَّتْها، ولا بأس أن تلبس ثوباً مصبوغاً بسواد»<sup>(٣)</sup>.

وقد أفتى بمضمونه الشيخ في (المبسوط)<sup>(٤)</sup>، والمحقق في (الشرائع) في حِداد الزوجة<sup>(٥)</sup>، والعلامة في (القواعد)<sup>(٦)</sup>، وغيرهم.

٧- وروى الصقار بسنده، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «خطب رسول الله صلى الله عليه وآله يوماً بعد أن صلَّى الفجر في المسجد، وعليه قميصة سوداء»<sup>(٧)</sup>. وذكر عليه السلام أن الرسول صلى الله عليه وآله توفي في ذلك اليوم.

٨- وروى الكليني بسنده عن سليمان بن راشد، عن أبيه، قال: «رأيت عليَّ بن الحسين عليه السلام وعليه دراعة سوداء، وطيلسان أزرق»<sup>(٨)</sup>.

(١) المصدر السابق. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ١٩٥-١٩٦.

(٢) أنظر: أبو مخنف، لوط بن يحيى، مقتل أبي مخنف: ص ١٤٩.

(٣) القاضي أبو حنيفة، نعمان بن محمد، دعائم الإسلام: ج ٢، ص ٢٩١.

(٤) الطوسي، محمد بن الحسن، المبسوط: ج ٥، ص ٢٦٤.

(٥) المحقق الحلي، جعفر بن الحسن، شرائع الإسلام: ج ٣، ص ٦١٣.

(٦) العلامة الحلي، الحسن بن يوسف، قواعد الأحكام: ج ٣، ص ١٤٣.

(٧) أنظر: الصفار، محمد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص ٣٢٤. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار:

ج ٢٢، ص ٤٦٤.

(٨) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٦، ص ٤٤٩.

٩- وفي شرح الأخبار عن أبي نعيم، بإسناده عن أمّ سلمة (رضوان الله عليها)،  
أنها لما بلغها مقتل الإمام الحسين عليه السلام، ضربت قبة سوداء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله،  
ولبست السواد<sup>(١)</sup>.

١٠- وروى الشيخ في الغيبة، بسنده إلى كامل بن إبراهيم المدني، أنه دخل على أبي  
محمد الحسن العسكري عليه السلام، فنظر إلى ثياب بياض ناعمة. قال: «فقلت في نفسي: وليّ  
الله وحيّته يلبس الناعم من الثياب، ويأمرنا نحن بمواساة الإخوان، وبينها عن لبس  
مثله؟ فقال عليه السلام متبسّماً: يا كامل، وحسّر عن ذراعيه فإذا مسح أسود خشن على جلده،  
فقال: هذا لله، وهذا لكم»<sup>(٢)</sup>.

فهذه الأخبار واضحة الدلالة على مشروعية لبس السواد، وعدم كراهته في  
العزاء، بل وراححيته على أئمة الهدى وسادة الوري، وأنه لباس الحداد والحزن  
والعزاء على الفقيّد من قديم الزمان، وهو أمر متعارف ومرسوم إلى يومنا هذا، ولا  
ردع عنه، بل إقراره والأمر به موجود في الجملة، هذا مضافاً إلى استحبابه بعنوان  
إحياء الشعائر والأمر بها، كما تقدّم.

وأما المنافاة مع الروايات الناهية عن الجزع، وعن شقّ الجيوب، ونحو ذلك،  
فالجواب عنها أنّ تلك الروايات تُخصّص وتُقيّد بما إذا كان ذلك حزناً على الحسين عليه السلام؛  
بشهادة الروايات الأخرى الدالة على جواز ذلك، كقول الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ  
البكاء والجزع مكروهٌ للعبد في كلّ ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن  
علي عليه السلام فإنّه فيه مأجورٌ»<sup>(٣)</sup>.

وروى الشيخ الطوسي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «وقد شقنّ الجيوب،

(١) أنظر: أبو حنيفة، النعمان بن محمد، شرح الأخبار: ج ٣، ص ١٧١.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، الغيبة: ص ٢٤٧.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٠١.

ولطمنَ الخدودَ الفاطميات على الحسين بن علي عليه السلام، وعلى مثله تُلطم الخدود وتُشقق الجيوب»<sup>(١)</sup>.

وفي قوله: «على مثله تُلطم الخدود» شهادة على التخصيص، وأن الأمر ليس خاصاً به، بل على غيره من الأنبياء والأوصياء، فإنه يجوز ذلك ويكون الجزع مطلوباً، ويؤيد ذلك ما ورد عن علي عليه السلام مخاطباً رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنَّ الصبرَ لجميل إلا عنك، وإنَّ الجزع لقبیح إلا عليك»<sup>(٢)</sup>.

وجزع آدم عليه السلام على ابنه هابيل<sup>(٣)</sup>، والإمام الصادق عليه السلام على ابنه إسماعيل<sup>(٤)</sup>؛ فإن هذا يدلُّ على أنه لا قبح في الجزع على بعض الأشخاص كالنبي صلى الله عليه وآله، ولا نهي عنه. ثم إنَّ للجزع مراتب، فإنَّ الجزع الذي يتضمَّن أو يستلزم أمراً محرَّماً، كالاعتراض على الله، أو الشك في عدله وحكمته، أو نحو ذلك، فإنَّ ذلك محرَّم قطعاً ومطلقاً، سواء أكان على نبي أم وصي.

وقد يكون الجزع محرَّماً إذا كان الفقيد شخصاً عادياً، كما لو كان مجرد أب أو أخ أو قريب، فإنَّ الجزع والحزن عليه لا يترتب منه أثر على الدين والإنسانية، بخلاف الجزع والحزن على الأنبياء والأوصياء، فإن فيه فوائد دينية ودنيوية، وآثاراً فكرية؛ لما جاء به من قيم وأخلاق، وأنَّ فقدَه خسارة عظيمة... فإنَّ هذا بحدِّ ذاته إدامة له في الحياة البشرية ولما جاء به ومات من أجله. فهكذا جزع وحزن مطلوب ومحبوب.

### سابعاً: حكم الاتشاح بالسواد

الاتشاح بالسواد: هو عبارة عن تغطية الحسينيات والمساجد والدور بالسواد،

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٨، ص ٣٢٥.

(٢) خطب نهج البلاغة: ج ٤، ص ٧١.

(٣) أنظر: الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج ١، ص ٢٠.

(٤) أنظر: المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٧، ص ٢٤٢.

ورفع الرايات السود في أيام وفيات الأئمة عليهم السلام، وأيام محرّم وصفر (ذكرى شهادة سيّد شباب أهل الجنة وأهل بيته وأصحابه في كربلاء)؛ من أجل إقامة العزاء وإعلان شعار الحزن.

وقد اتضح حكمه ممّا تقدّم في حكم لبس السواد، فإنّه إذا جاز ذلك، بل استحبّ حزناً على الحسين عليه السلام وإحياءاً للشعائر الحسينية، جاز هذا واستحب لذلك أيضاً، بل لعلّ عدم الإشكال في الاتّشاح أولى من حكم اللبس؛ إذ قد عرفت أنّ منشأ الإشكال في اللبس هو ورود الروايات في النهي عنه، في حين لا توجد روايات تنهى عن الاتّشاح، مع احتمال وجود الخصوصية في اللبس، إلّا أن يُقال بوحدة الملاك والحكمة في الأمرين، ككونه شعار الأعداء، أو غير ذلك، أو منافاته للصبّر المأمور به، أو غير ذلك من العلل المحتملة التي تقدّم ذكرها، أو يُقال: إنّ عدم ورود النهي عن الاتّشاح قد يكون لعدم تعارفه آنذاك. لكن قد عرفت الحال في ذلك وآنه على فرض الكراهة والمرجوحية فهو مرجوح بالعناوين المتقدّم ذكرها.

وعليه؛ يكون راجحاً - كما في لبس السواد - بعنوان كونه إحياءً لأمرهم وتجديداً لذكرهم عليهم السلام، وبياناً لمظلوميتهم، وما جرى عليهم، وإحياءاً للشعائر المأمور بها. من هنا أجاب العلماء عن حكم الاتّشاح بالسواد في مجالس العزاء بأنّه جائزٌ، بل راجحٌ يُثاب عليه، بل اعتبر بعضهم أنّ إثارة الشبهة في مثل هذه الموارد يصدر غالباً من أعداء الدين؛ لتلقّيهم الضربات بسبب إقامة مجالس العزاء التي من شأنها دحر أفكارهم وإفشال مخطّطاتهم، من هنا تكون وظيفة المؤمنين أن يبذلوا - وبنية خالصة - أكبر قدر من الجدّية في إقامة عزاء سيّد الشهداء وخامس أهل الكساء عليه السلام؛ كي يتعلّم الناس بفضل هذه المجالس والمظاهر فلسفة ثورة الإمام الحسين عليه السلام وأهدافها المقدّسة<sup>(١)</sup>.

(١) أنظر: عزاداري سنتي شيعيان (مراسم العزاء التقليدية لدى الشيعة): ج٧، ص١٢، و ص١٦،

## النتائج

ومن كل ما تقدّم يمكن أن نخلص إلى ما يلي:  
أولاً: إنّ الذي يُفهم مما تقدّم من خصائص اللّون الأسود وآثاره من الناحية النفسية، وما ورد فيه من الروايات أنّه:

- ١- سبب لحصول الاختيال، وآتة من لباس الفراغنة الجبارين.
  - ٢- يورث الهمّ والحزن، وهو اللّون التقليدي للحداد والعزاء.
- والخصيصة الأولى لا تجتمع مع لبس السواد حزناً، والثانية تنسجم تماماً معه كما هو واضح.

ثانياً: إنّ لبس السواد حزناً على الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وغيره من أئمة الهدى عليهم السلام، بل وعلى العلماء والصلحاء وحتى الأعراف من الأقارب: خارج عن دائرة الروايات الناهية عنه إمّا تخصيصاً أو تخصّصاً؛ أمّا خروجه تخصيصاً فبناءً على صحة تلك الروايات - إذ عرفت مناقشة البعض فيها من جهة السند - وإطلاق النهي فيها، فيخصّص ذلك الإطلاق بما عرفت من الشواهد الكثيرة الدالة على جوازه، بل استحبابه.

أمّا تخصّصاً فإنّه يمكن القول: إنّ الذي يظهر من مجموع تلك الروايات الناهية، هو أنّ المكروه ليس هو لبس السواد تعبداً أو أنّ كراهته ذاتية، بل لعناوين أخرى؛ لكونه لباس الأعداء والفراعنة وأهل النار - بناءً على كون المراد منه ما يلبسونه في دار الدنيا، باعتبار أنّه لباس الفراغنة وحكام الجور، أو لباس تكبرٍ وتجبرٍ - فإنّ ما اشتملت عليه تلك الروايات من تعليل المنع بكونه لباس فرعون تارةً وأهل النار أخرى وبني العباس ثالثة، مضافاً إلى ما ورد في بعضها من كونه لباس الأعداء؛ يدلّ على أنّ موضوع الكراهة هو لبسه بتلك العناوين، فيعود إلى المنع عن لبسه تشبّهاً بهم، أو لكونه في الخارج لباساً وشعاراً لهم فيُفهم من لبسه تأييدهم أو التشبه بهم - مثلاً -

أو لبسه لأجل الخيلاء والتكبر أو نحو ذلك من العناوين، فيكون لبسه حزناً، بل حتى تجملاً، خارجاً عن تلك العناوين، وليس داخلياً فيها، فهو خارج تخصصاً ولا حاجة حينئذٍ إلى التخصيص.

وعلى هذا إذا صدق عليه عنوان آخر مطلوب شرعاً كلبسه حزناً على الرسول ﷺ وأهل بيته ﷺ وحزناً على الإمام الحسين ﷺ على الخصوص يكون راجحاً ومستحباً، وقد قرأت ما دلّت عليه الأخبار ونقله التاريخ مما يدلّ على جوازه، بل واستحبابه، فضلاً عن كونه من إحياء الأمر، وإقامة الشعائر، فيدلّ عليه كل ما دلّ على ذلك.

وأما لبسه حزناً على الميت من الأقارب وغيرهم، كما في حداد المرأة على زوجها فهو على الإباحة، والظاهر عدم ورود ما يدلّ على راجحيته، بل الظاهر مرجوحيته. ومما يؤيد ذلك؛ أننا رغم ما أشرنا إليه من كون المتعارف أنّه لباس الحزن في الكثير من الأمم وبين العرب قبل الإسلام وبعده لم نجد نهياً عن لبسه حزناً، بل قد عرفت مجيء الروايات في النهي عنه بمناسبات أخرى وتعليله بما عرفت، ولم يرد تعليله بمنافاته للصبر أو استلزامه الاعتراض على حكمة الله وعدله أو غير ذلك مما يناسب مقام الحزن والعزاء، وذلك لا ينافي ما دلّ على استحباب البياض، وأنه أظهر وأفضل الثياب، فاستحباب البياض وأفضليته بشكلٍ مطلقٍ يُخصص بما دلّ على استحباب لبس السواد حزناً وعزاءً، فلا منافاة، مع أنّ استحباب لبس البياض لا يستلزم كراهة غيره، بل جميع الألوان على الإباحة إلا ما دلّ الدليل على أفضليته أو كراهته بعناوين أو مواقع معيّنة.

# الشعائر الدينية والمراسم الحسينية

## دراسة لغوية قرآنية في الانطباق المفهومي

السيد شهيد طالب الموسوي\*

### تمهيد

يطرح القرآن الكريم موضوعات دينية مختلفة متعلقة بالمسلمين؛ لبيان المنهج القويم والصراط المستقيم، الذي ينبغي لهم أن يسلكوا سبيله ويقتدوا بهديه، تاركاً في نفس الوقت مساحة واسعة للفكر الإسلامي؛ للخوض في تفصيلات هذه الموضوعات من جهة، وبيان موضوعاتها الخارجية من جهة أخرى، فهو مع الاختصار الشديد قد أحكم القواعد الأساسية لتحديد المطالب والأسس التي يعتمد عليها في بيان شمول المصاديق لما يطرحه من الموضوعات العامة.

وما بين أيدينا بحث أقرب ما يكون إلى البحوث القرآنية في تحديد صدق الشعائر الدينية - باعتبارها أحد موضوعات الدين التي ورد ذكرها في آيات عديدة من القرآن الكريم - على المراسم الحسينية، التي تُعتبر ممارسات قد يقال: إنّ مذهباً من المذاهب الإسلامية استقل في إحيائها ولو على نحو شرعنة هذه المراسم لاشترائه مع غيره في ممارستها أحياناً؛ لأنّ هذا الغير قد ينظر إليها من جهة أخرى ليست دينية أو شرعية. لكن الشيء الأساس والمهم بطبيعة الحال، هو تحديد صحة صدق الشعائر على هذه المراسم، فتكون ممارسة هذه المراسم ذات أثر شرعي وديني، يترتب عليه الثواب

---

\* باحث وكاتب إسلامي، من العراق.

والأجر الأخروي قبل أن يكون عاطفياً أو إنسانياً. وفي هذا البحث سنتناول بيان مفهوم الشعائر الدينية قرآنياً وقبول صدقها على المراسم الحسينية.

## القسم الأول: ماهية الشعائر الدينية

### المحور الأول: الشعائر بين الوضع والاستعمال

ورد لفظ الشعائر في القرآن الكريم في موارد متعددة، منها: قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا اللفظ له دلالة لغوية وضعية بمعنى أن اللفظ له معنى لغوي حين الوضع، والذي تبيّنه معاجم اللغة أو لسان أهلها؛ إذ وضعوا للحقيقة اللغوية علامات، منها: التبادر، وصحة الحمل، وغير ذلك. ولا يخفى أن المفسرين ينظرون في المعنى اللغوي لتكوين معنى بدوي للفظ الوارد في النص القرآني، ثم يصار إلى البحث عن القرائن الصارفة عن معناه اللغوي إلى المعنى الشرعي أو ما يُسمّى بالحقيقة الشرعية، وهو المعنى الذي أراده الشارع باستعمال ذلك اللفظ. فاللفظ تارة يُفهم بمعناه اللغوي وهو الأصل، أو بمعناه الشرعي، فيكون للفظ وضع واستعمال، والشارع المقدّس قد يستعمل هذا اللفظ في معنى هو نفس المعنى اللغوي، فيكون الشارع قد جرى مع عرف المحاورة العام ولم ينصب قرينة لإرادة معنى آخر، أو أنّه استعمل اللفظ في معنى مخصوص أراده الشارع ونصب عليه القرينة، والشارع المقدّس له مع ذلك السلطة في الوضع التعيني أو التعيني.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإنّ إثبات أنّ اللفظ باقٍ على معناه اللغوي يقتضي جواز التمسك بالإطلاق وتحقق موضوعه باعتبار ماهيته اللغوية، وإن ثبت عكسه بأنّ اللفظ قد نُقل بلسان الشارع، فإنّ الشارع هو المقيد لهذا الإطلاق والمخصّص للشمول والاستيعاب.

(١) الحج: آية ٣٢.

أما لغةً (الدلالة الوضعية)، فأجمع اللغويون على أن الشعائر هي العلامة، وأن شعائر الله هي أعلام متعبداته ومواطن طاعته، قال الزبيدي: «وقال الزجاج في شعائر الله: يعني بها جميع متعبداته التي أشعرها الله، أي: جعلها أعلاماً لنا، وهي: كل ما كان من موقفٍ أو مسعى أو ذبح، وإنما قيل: شعائر لكلِّ علمٍ مما تُعبد به؛ لأنَّ قولهم: شعرتُ به: علمته، فلهذا سُمّيت الأعلامُ التي هي مُتعبداتُ الله تعالى: شعائر»<sup>(١)</sup>.

وقال الفراهيدي أيضاً: «وشعائر الله: مناسك الحج، أي: علاماته»<sup>(٢)</sup>.

وهنا لنا مناقشة في أقوال اللغويين: إنَّ بين المشاعر والشعائر فرقاً، فهما وإن دلاً على المعالم، وهي المتعبدات كما في قول الزجاج الذي نقله الزبيدي وغيره، إلا أنَّ الفارق أنَّ المشاعر جمع مشعر والشعائر جمع شعيرة، والمشعر من أوزان اسم المكان الدال على مكان حدوث الفعل، أمَّا الشعيرة فهي صفة مشبهة بالفعل، وقول الزجاج الذي نقله الزبيدي وغير واحد - التي أشعرها الله - تكون مشعورة وليست شعيرة، والمشعور اسم مفعول، بيد أنَّ شعيرة إن كانت مؤنث شعير فهي صفة مشبهة، وهي تعمل عمل الفعل كما هو معلوم، أي: أنَّ الشعيرة هي الواجدة للإعلام والدلالة، لا أنَّها معلّمة من قبل الحق تعالى، فقوله تعالى: ﴿شَعَائِرَ اللَّهِ﴾، أي: علامات طاعته وعبادته، لا أنَّ الله جعلها أعلاماً لنا كما في قول الزجاج. وبعبارة أخرى: إنَّها هي مَنْ تقوم بدور الإشعار والإعلام.

والمشاعر مكانية، أمَّا الشعائر فهي الفاعلة لفعل الشعور والإعلام، وهي أعم من المكانية؛ ولذا ورد في وصف المزدلفة أو مسجدها بالمشعر؛ لأنَّها من أوزان اسم المكان، وهي من مناسك الحج، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتَكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>.

(١) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ١٢، ص ١٩١.

(٢) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ١، ص ٢٥١.

(٣) البقرة: آية ١٩.

إلا أن يقال: إن النسبة في قوله تعالى: ﴿شَعْتِرَ اللَّهِ﴾ تُفيد معنى الإشعار من قبله تعالى، بمعنى أن الله تعالى هو من أشعرها وجعلها أعلاماً لطاعته، فيصح توجيه أهل اللغة، لكن ذلك بفعل الإضافة.

أمّا الجوهري في الصحاح، فيقول: «والشعائرُ: أعمالُ الحجِّ. وكلُّ ما جعلَ علماً لطاعة الله تعالى. قال الأصمعي: الواحدة شعيرةٌ. قال: وقال بعضهم: شعارةٌ. والمشاعرُ: مواضع المناسك. والمشعرُ الحرام: أحد المشاعرِ»<sup>(١)</sup>.

فهذا القول بين في التفريق بين الشعائر والمشاعر، ومثله ما ذكره ابن فارس: «ومشاعرُ الحجِّ: مواضع المناسك، سمّيت بذلك؛ لأنّها معالمُ الحجِّ. والشعيرة: واحدة الشعائر، وهي أعلامُ الحجِّ وأعماله»<sup>(٢)</sup>.

بيد أننا لا ننكر دخول المشاعر تحت عنوان الشعائر؛ لكونها تؤدي نفس الغرض وهو الإعلام، لكنّه تارةً يكون الإعلام عن طريق المكان، وتارةً بطرق أخرى كالفعل والقول؛ ولذا قال أهل اللغة: «والشعيرةُ: البدنةُ تُهدى»<sup>(٣)</sup>، فليس كلّ شعيرة مشعراً، بمعنى أن النسبة بين المشاعر والشعائر عموم وخصوص مطلق.

والشعيرة والمشاعر من الفعل شعر (بالفتح)، أو شعر (بالضم)، وكلاهما يُفيد العلم، ومصدرها شعور وهو الإحساس، ومنه المشاعر وهي الأحاسيس «والمشاعرُ: الحواسُّ»<sup>(٤)</sup>. ومثله ما قاله الزمخشري: «وهو ذكيّ المشاعر وهي الحواس، واستشعرت البقرة: صوتت إلى ولدها تطلب الشعور بحاله. قال الجعدي:

فاستشعرت وأبى أن يستجيب لها فأيقنت أنّه قد مات أو أكلا»<sup>(٥)</sup>.

(١) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج ٢، ص ٦٩٨.

(٢) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٣، ص ١٩٤.

(٣) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، الصحاح: ج ٢، ص ٦٩٨.

(٤) المصدر السابق: ص ٦٩٩.

(٥) الزمخشري، محمود بن عمر، أساس البلاغة: ج ١، ص ٥١٠.

نعم، كون الشعيرة منسوبة إلى الله تعالى: ﴿شَعَتِرَ اللهُ﴾ يُفيد مع ما تقدّم أنّها: كلّ علامة ودلالة عليه سبحانه، فالشعيرة على ما تقدّم لها نحوان من المعاني:  
الأول: إنّها علامات أُقيمت وجُعِلت من قبل الحق تعالى للدلالة على طاعته وامتنال أو امره.

الثاني: إنّها أقوال وأفعال وأماكن ذات طبيعة خاصّة، من شأنها أن توجد حالة من الشعور والإحساس بالقرب من الله تعالى.

وهذان المعنيان ملحوظان في نفس الشعائر، فهي مشعورة من قبل الله تعالى لعباده، وهي في ذات الوقت تؤدي فعل الشعور بالله تعالى والتذكير به بالنسبة إلى مؤديها والداخل في كنفها.

والأول يُفهم منه أنّ القائم بفعل التشعير هو الله تعالى، أي: إنّّه تعالى هو من أشعرها، وهذا ما يُفهم من قول بعض اللُّغويين. والثاني أنّ نفس هذه الشعيرة هي الفاعلة للشعور في نفس العبد المؤمن، فتكون شعائر الله هي الأفعال والأقوال والأماكن التي تُوجد في نفس العبد المؤمن حالة الشعور والإحساس، أو التذكير بالله تعالى، وهو ما يُفهم من أنّ الشعيرة صفة مشبّهة بالفعل.

نعم، إنّ القول: بأنّ الشعيرة هي العلامة تعريفٌ بالمرادف؛ لأنّ التفريق بين الشعور والعلم دونه خرط القتاد؛ مما حمل بعضهم على القول: «الشعور هو ابتداء العلم بالشيء من جهة المشاعر، وهي الحواس... وقيل: إنّ الشعور هو إدراك ما دقّ للطف الحس، مأخوذ من الشعر لدقته، ومنه الشاعر»<sup>(١)</sup>.

والشاعر وهو من مشتقات الفعل شعر إنّما يُعبّر عن خفايا المخالجات التي تدور في خلدّه، فيُظهرها للإعلام بها، هذا الإعلام غرضه إشعار الآخرين بهذه المخالجات، وحملهم للإحساس بها والشعور بفحواها الكامن في نفس الشاعر، بمعنى أنّ وراء شعره معانٍ هي مراد الشاعر الذي عبّر عنه بهذه العبارات، فيكون

(١) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج ١، ص ٣٩٧.

المؤثر علامة حسية يمكن أن تُدرك بالحواس، إلا أن أثرها وجداني أو عاطفي، وهو حالة الإحساس والشعور.

فيظهر أن الشعائر علامات حسية خارجية تشترك في كونها معلّمة من قبل الله تعالى لعباده، وهي بدورها لها أثر وجداني في نفس العبد، وهذا ما يمكن أن نجده واضحاً في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(١)</sup>، فتعظيم الشعائر دال على تقوى القلوب، بمعنى أن مُعْظِمَ الشعائر إنما يُظهر لنا صدق انتمائه وولائه وتمسكه وتقواه، وهذا بمجموعه مُستقرّه قلب العبد المؤمن المتعلق بالله تعالى المعبر عنه بتعظيم شعائره.

أمّا قول اللغويين: «أشعر البدنة: إذا جعل فيها علامة، وهو أن يُشقّ جِلدها أو يطعنها»<sup>(٢)</sup>، فإن العلامة من شأنها أن تحمل الآخرين على الإدراك أو الشعور أن هذه البدنة هدي البيت الحرام، فتارة تكون العلامة هي البدنة؛ لكونها موسومة بشيء، وتارة لكونها معلّمة تكون منشأ شعور الناظر إليها، وعلمه بأنّها هدي البيت. ولا تعارض بين المعنيين إن قلنا: إننا تارة ننظر إلى الأصل، وتارة إلى الأثر، وإن الشعور هو إدراك وعلم متعلق بما وراء الشيء كعلامات المرور، فهي علامة ودلالة، لكن الغاية منها والهدف هو الإدراك والعلم بقانون المرور الذي تقتضيه.

ونجد في عبارات اللغويين كالفراهيدي: «والشعيرة من شعائر الحجّ، وهو أعمال الحجّ من السعي والطواف والذبائح، كلّ ذلك شعائر الحجّ»<sup>(٣)</sup>، أن الشعائر هي أعمال الحجّ مضافاً إلى المعنى اللغوي وهو العلامة، إلا أن هذا إن صحّ، فإنه إمّا أن يكون من باب ذكر المصداق، وهو ما نجده جلياً في آيات القرآن الكريم التي ستأتينا، وإمّا أنهم أفادوا ذلك من تفسيرات بعض المتقدّمين كابن عباس، ومجاهد، وهو ما نجده في

(١) الحج: آية ٣٢.

(٢) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ١٢، ص ١٩٠.

(٣) الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ١، ص ٢٥١.

عبارات اللغويين مراراً عند ورود لفظ قرآني معيّن، إلّا أنّ هذا دور واضح لا يمكن أن نستند إليه، بل هو من اختصاص المفسرين، ومناقشة ذلك يُترك إلى محله، إلّا أن يقال: إنّنا نفهم من عبارته أنّ نسبة الشعيرة أو الشعائر إلى الحج يجعلها مخصوصة بأعماله ومناسكه، وهو وجه وجيه.

### المحور الثاني: مفهوم الشعائر الدينية

المفهوم هو: الوجود الذهني لشيء له ما يميزه في الخارج، أي: المعنى المرتكز بالذهن لشيء، أو مجموعة أشياء خارجية. وتارةً هذا المفهوم ينطبق على متشخص خارجي واحد فيكون جزئياً، وتارةً على كثيرين فيكون كلياً. والمفهوم الكلي ليس بالضرورة أن تكون كلّ أفراده موجودة ومتحققة، بل يكفي افتراضها؛ لأنّ الفرد (المصدق) إذا اتصف بحقيقة المفهوم الكلي - وهي التي نُعبر عنها بالماهية - صحّ إطلاق الكلي عليه نظير الإنسانية، فكّل فرد (إنسان) يولد (جديد) يصحّ أن يُطلق عليه لفظ إنسان؛ لأنّه يحمل حقيقة الإنسانية.

والشعائرية من المفاهيم باعتبار أن لها وجوداً ذهنياً له أفراد بالخارج كالصفا والمروة والبدن، بحسب النص الصريح للقرآن الكريم، وهذا الوجود الذهني موصوف بالكلية لقابليته الانطباق على كثيرين، إلّا أنّ الكثيرين لا يعني ضرورة تشخصهم ووجودهم فعلاً في الخارج، بل يكفي افتراضهم، كما هو الحال في المولود الجديد، فهو قبل ولادته مصداق مفترض لمفهوم الإنسانية الكلي.

فالشعائرية من جهة المفهوم هي معقول ماهوي؛ لأنّها صورة للأشياء في الذهن، ومن جهة أخرى فإنّ تعدد مصاديق هذا المفهوم بحسب النصوص الشرعية دالٌّ على كليته، وهذه الكلية تنطبق على الأفراد أو المصاديق الموجودين والمفترضين على حدٍّ سواء، فعند تحقق حقيقة الشعائرية في المصدق يصحّ إطلاق هذا اللفظ عليه، شأنها شأن مفهوم الإنسانية ومصاديقها.

وحقيقة الشعائرية هي معناها اللغوي الذي ذكرناه، وقد ثبت عدم نقل اللفظ إلى معنى شرعي، غاية الأمر أن الإضافة التي ذكرت في النصوص الشرعية تُفيد التعريف وليس التخصيص، والبيان وليس الحصر، فكلّ مصداق يصحّ أن يكون شعيرة إلهية، أي: أن يكون علامة ودلالة على الله، ووسيلة لإحياء دينه، أو أن يوجد تلك الحالة الوجدانية من الإحساس والتذكير بالله ﷻ أن يُطلق عليه هذا اللفظ، فيكون شعيرة من شعائر الله.

وبعبارة أخرى أصولية: فإنه بعد ثبوت العموم، فالحكم إنّما ينصب على الماهية، أمّا الآثار فتتحقق بالخارج؛ لذلك فإنّ الماهية متى ما تحققت تنجز الحكم ووجدت الآثار. ضرورة أن القرآن الكريم في كلّ مواردّه إنّما يلحظ الموضوع، ثم تأتي السنّة لبيان المصداق، أو أنّ العرف هو الفيصل في تحديد المصداق والموضوع الخارجي، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ...﴾<sup>(١)</sup>، فالقوة التي انصبّ عليها مضمون قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ وهو الحكم، إنّما هي صرف الطبيعة، ولم يُحدد الشارع المقدّس أو يُقيّد هذا الطبيعي، بل إنّ العرف هو الحاكم في تحديد الموضوعات الخارجية أو المصداق، فالقوة في زمن الصدر الأول للإسلام تختلف عن العصر الحاضر، فوسائل الحروب - مثلاً - تختلف أيضاً، وهذا كلّ لا يمنع من شمول الآية لمصداق القوة في زمن النبي ﷺ، أو في زمننا هذا أو المستقبل، وهذا ما تسالم عليه المسلمون بمختلف طوائفهم ومذاهبهم.

ومثله يجري في الشعائر، فمتى ما تحققت الماهية أو الحقيقة الكلية للشعائر المستفادة من معناها اللغوي، في أيّ شيء يمكن أن يكون مصداقاً للمفهوم وفرداً من أفراد العام، يجري عليه ما يجري على المصداق الأخرى من إرادة الشارع، كالتعظيم الوارد في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. ومن جهة أخرى، فإنّ دخول الأفراد تحت حكم العام قد يكون نسبياً، بمعنى أنّ

(١) الأنفال: آية ٦٠.

العام تارةً من صنف النوع، فيستوعب أفراده الموجودين في الخارج، وتارةً هناك عدّة أنواع تقع تحت الجنس، فالحيوان - مثلاً - جنس وهو عام تقع تحته أفراده، وهي من صنف النوع كالطير والإنسان، فالطير نوع يشمل كل ما يصحّ أن يُطلق عليه لفظ طير كالنسر والغراب، والإنسان نوع يقع تحت عنوانه زيد وعمرو وهكذا. فالطير والإنسان يشتركان في الحقيقة الحيوانية ويفترقان بالفصل، وهو أنّ الإنسان حيوان ناطق حسب تعبير المناطقة، فزيد حيوان باعتبار الجنس وناطق باعتبار النوع.

والشعائرية كذلك إن أخذنا بنظر الاعتبار صريح القرآن الكريم في بيان فردين من أفراد الشعائر، وهما: الصفا والمروة، والبدن، فالفارق بين الصفا والمروة من جهة والبدن من جهة أخرى واضح، فهما مختلفان من حيث السنخية، ومن حيث الحكم المتعلّق بهما، فالأولان جبلان معلومان، والثاني حيوان من نوع خاصّ معلوم، وهي الإبل السمينة (البدينة) كما سيأتينا، أمّا من حيث الحكم المتعلّق بهما ففي الأولين (الصفا والمروة) وجوب الطواف، وفي الثاني (البدن) هو الهدى، وهذا بمنزلة النوع والفصل، أمّا من حيث الشعائرية فهما مشتركان؛ لأنّهما يحملان نفس الحقيقة والماهية للشعائر بدليل القرآن الكريم لكونهما ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ وهو الجنس، فكلّ ما من شأنه أن يدخل تحت عنوان الشعائر، فإنّما هو من أفراد الجنس وإن اختلف عن باقي الأنواع من حيث الفصل؛ لأنّ الفصل هو المميّز للنوع وليس للجنس، فإذا صدق عليه عنوان الشعائرية كان فرداً من أفراد العام ومصداقاً من مصاديق المفهوم.

وهذه الأصول العلمية الفلسفية أو المنطقية، تُعتبر قواعد عامّة يُصار إليها في مقام إثبات العموم أو التخصيص والإجمال أو التبيين؛ لأنّ الأصل كما قيل: هو العموم أو الإطلاق إلا أن يرد دليل خاصّ على إرادة التخصيص أو التقييد، بمعنى أنّ أيّ موضوع شرعي ورد بنحو العموم، فهو مستوعب وشامل لجميع أفرادها، ما لم يُخصّص أو يُقيّد بدليل أو قرينة واضحة، وهذه الأصول متّفق عليها بين الأصوليين

أو المفسرين على حدّ سواء. والعام هو نفس الماهية اللُّغوية أو المعنى اللُّغوي للفظ الوارد في لسان الشارع، بعد ثبوت أنّ الشارع جرى مع العرف في استعماله لهذا اللفظ في معناه. أمّا من ناحية اللُّغويين فقد تبين، وأمّا أقوال المفسرين وغيرهم فسيأتي بيانها. وبعبارة أخرى: إنّ إطلاق الشعائر على أيّ ممارسةٍ يُجتمَل دخولها تحت هذا العنوان باعتبارٍ ما، فهو من باب إطلاق الجنس، وقد يُطلق على هذه الممارسة عنوان آخر هو من صنف الأنواع، فلا مشاحة في الاصطلاح بعد ما بيّناه من أنّ الكليات تنقسم إلى جنس ونوع وغير ذلك كما هو مقرّر في علم المنطق.

### المحور الثالث: الشعائرية وموضوع الدين

للعلماء في مقولة الدين تعريفات كثيرة، إلّا أنّنا نكتفي في المقام ببيان ذلك عن طريق التقسيم والتعريف بالقسمة من التعاريف المنطقية السليمة، فتقسيم الدين إلى أصول وفروع كافٍ في بيان معنى الدين، فالأصول هي: التوحيد، والنبوّة، والمعاد (وهو باتفاق علماء المسلمين)، واختلفوا في العدل والإمامة. أمّا فروعها، فهي: الصلاة، والصوم، والزكاة، والحجّ، إلى غير ذلك من الفروع المعلومة بعد غصّ الطرف عن الاختلافات فيها كونها واقعة في التفصيلات. وللعلماء في تعريف الشعائر وصلتها بالدين أقوال:

منها: ما نقله القرطبي: «وقال عطاء بن أبي رباح: شعائر الله جميع ما أمر الله به ونهى عنه. وقال الحسن: دين الله كله»<sup>(١)</sup>.

أمّا الأول المنسوب لعطاء، فيُفهم منه أنها فروع الدين خاصّة، وهذا المعنى يتعارض مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّغَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، فالمجعول ليس هو الطواف الواجب في الحجّ أو الهدي

(١) القرطبي، محمد بن أحمد، تفسير القرطبي: ج ٦، ص ٣٧.

(٢) الحج: آية ٣٦.

- وهما من فروع الدين ومناسك الحجّ - وإنما صرف الصفا والمروة أو البدن كما ترى من صريح الآيات، أمّا حمل الآية على غير معناها الظاهر فهو من التأويل.

نعم، قد يقال: بأنّ البدن حال كونها هدياً تكون من الشعائر كما قال الإصفهاني: **«وَالْبَدَنُ جَعَلْنَهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ»** هو جمع البدنة التي تُهدى<sup>(١)</sup>، إلا أنّ هذا إن صحّ هنا فإنه لا يصحّ في الصفا والمروة وحتى المشعر الحرام، فالشعائرية ثابتة لهما من غير منسكيهما (الطواف والصلاة)، وإلا كان مخالفاً لصريح القرآن، في حين أنّ تصوّر ذلك في البدن ممكن، فسلب الشعائرية عن البدن التي لم يتعلّق بها الهدي ضرورة عقلية، وهو قيدٌ أضافه الراغب في قوله الذي تقدّم: (التي تُهدى) للاحتراز عن غيرها.

وأما قول الحسن البصري من أنّ (الشعائر دين الله كلّ)، فيرد عليه ما ورد على القول الأول؛ لأنّ الصفا والمروة ليستا من أصول الدين أو فروعه، غاية الأمر أنّ هناك أوامر متعلّقة بهما، نعم يمكن القول: إنّ قوله: دين الله كلّ، أراد به تحقّق معنى الشعائرية في أصول الدين وفروعه، بمعنى أنّ كلّ أصلٍ أو فرعٍ إنّما هو بحدّ ذاته علامة ودلالة على الله والتذكير به، عندها يصحّ هذا القول بعد حمل الشعائر على معناها اللُّغوي، وهو العلامة والدلالة على الله وعلى دينه، وقولنا: إنّ للدين علامة، ليس معناه أنّ العلامة شيء والدين شيء آخر، فالصلاة علامة على الدين وهي منه، والحجّ علامة على الدين وهو منه، وقس على ذلك.

فإن قيل: إنّ المجمعول في القرآن هو الصفا والمروة وليس الطواف.

قلنا: إنّ مفهوم الدين يمكن أن يشمل الصفا والمروة أيضاً، والبدن التي تعلق بها الهدي، فتدخل تحت عنوان الدين كدخول الكعبة والمسجد النبوي وغير ذلك من الأماكن في مفهوم الدين، وهو واضح، والقول: إنّ الدين يقتصر على الأصول

(١) الراغب الإصفهاني، الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن: ص ٤٠.

والفروع لا يعني عدم دخول متعلقاتها، كالكعبة بالنسبة للحج، والزيارة بالنسبة لقبر النبي ﷺ وغير ذلك، وهو مرتكز في ذهن المشرّعة ولا خلاف فيه. في حين أن بعض المفسرين خصّصها بمواطن الطاعة، كالشيخ الطوسي بقوله: «الشعائر المعالم للأعمال، فشعائر الله: معالم الله التي جعلها مواطن للعبادة... فشعائر الله: أعلام متعبّداته»<sup>(١)</sup>. فهو قد أجاد الجمع بين معنى الشعيرتين (الصفاء المروءة والبدن) الوارد ذكرهما في القرآن الكريم؛ إذ نفهم من قوله (مواطن العبادة) أن الصفا المروءة موطن الطواف، والبدن موطن الهدى، فهما معلمان للأعمال العبادية التي هي الطواف والهدى، بمعنى أن الشيخ ﷺ يرى أن الشعائر هي غير الدين (الأصول والفروع)، بل هي متعلّقة به على نحو الإعلام والإظهار المرتبط بشيء ما مكاني، أو غيره كالبدن في الهدى على ما يظهر من عبارته. وقلنا في المعنى اللغوي للشعائر: إن المواطن هي المشاعر، وهي أخصّ من الشعائر، فالشعائر هي: كلّ أمرٍ فيه علامة ودلالة على طاعة الله تعالى وإحياء دينه، سواء كان مكاناً، أم فعلاً، أم قولاً، غاية الأمر أنه يُحقّق موضوع الشعائر وماهيتها اللغوية.

ومنها: قول الرازي الذي أطلق في العبارة بناءً على معناها اللغوي بقوله: «وأما ﴿شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ فهي أعلام طاعته، وكلّ شيء جعل علماً من أعلام طاعة الله، فهو من شعائر الله، قال الله تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، أي: علامة للقربة»<sup>(٢)</sup>. فالطاعة المتعلّقة بالشعيرة تختلف باختلاف الشعيرة، ولكنّها - حسب تعبيره - تشترك في كونها علامة للقربة والطاعة لله تعالى، وهو بذلك يترك التمييز بين الدين والشعائر، بل يظهر من قوله: إن كلّ ما من شأنه أن يكون من علامات القرب لله تعالى وعلامة على طاعته، فهو يُعدّ من الشعائر، وهو قد يكون من الدين؛ باعتبار الجنبّة الإعلامية أو خارجاً عنه بعد حصر الدين بالأصول والفروع.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٢، ص ٤١.

(٢) الرازي، محمد بن عمر، التفسير الكبير: ج ٤، ص ١٣٥.

فإن قيل: إنَّ البدن ليس فيها علامة على القربة، بل الهدي المتعلق بها، وكذلك الصفا والمروة، فالمتعلق بها، وهو الطواف، هو علامة القربة والطاعة وليس نفس الصفا والمروة والبدن.

قلنا: إنَّ هذه الشعائر لو لوحظت مستقلة عن الأحكام المتعلقة بها لصحَّ هذا القول، إلَّا أننا يمكن أن نقول: إنَّ الصفا والمروة باعتبار الطواف والبدن باعتبار الهدي، هي التي تكون شعائر الله، وبهذا التقريب يصحَّ ما ذهب إليه الرازي في تفسيره على أن كلَّ شيء جُعِلَ علماً من أعلام الطاعة والقربة لله تعالى يكون شعيرة من شعائر الله تعالى.

وربما قيل: بأنَّ الشعائر تؤدِّي غرضها في الفروع دون الأصول، وأقوال العلماء إنَّها تُريد هذا الجانب دون غيره، ولا مدخلة للأصول في البين؛ لأنَّها محض مفاهيم لا يترتب عليها موقف عملي باستثناء ما كان من مدخولات الفروع.

قلنا: إنَّ هناك جهتين للردِّ على هذه الشبهة:

**الأولى:** إنَّ هذه المقولة منشؤها تعريف الدين على أنَّه الإيمان والعمل الصالح أو أنَّه الأصول والفروع، فهو وإن صحَّ على هذا المعنى إلَّا أنَّه بطبيعة الحال فيه نحو من الإجمال؛ لأنَّ الإيمان يقتضي وجود الموضوع، أي: موضوع الإيمان وهو الله تعالى والأنبياء والملائكة والكتب السماوية، فالدين ليس الإيمان وحسب، بل هو الإيمان المتعلِّق بالله تعالى وأنبيائه عليهم السلام، فالنبي صلى الله عليه وآله من الدين باعتبار نبوته وما تعلَّق بها من الإيمان من جهة الأصول أو الامثال وأمره من جهة الفروع.

**الثانية:** إنَّ النبوة وإن كانت أصلاً من أصول الدين والإيمان بها كذلك، إلَّا أنَّ ذلك لا يعني خروج نفس النبي صلى الله عليه وآله عن دائرة الدين، بعد ملاحظة أنَّ للأصول ناحية نظرية أو مفهومية، وناحية موضوعية خارجية، وهما لا ينفكان إلَّا اعتباراً، فالإيمان بالنبوة تعني الإيمان بها مفهوماً وموضوعاً، والإيمان بالإمامة كذلك من الناحيتين

(الذهنية والخارجية).

أما الشعائر، فبعد أن علمنا أنها علامات الدين، ونعني بالدين أصوله وفروعه على النحو الذي بيناه، فكل ما يرتبط بأصول الدين وفروعه ويكون علامة عليه فهو من شعائر الدين، وهي شعائر الله تعالى، وهذا لا يتنافى والمعنى اللغوي للشعيرة؛ لأن النبي ﷺ أو الإمام علياً هما معلمان من معالم طاعة الله تعالى، قال عز من قائل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَىٰ الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ (١).

بل يمكن القول: إن الأنبياء ﷺ أنفسهم هم من شعائر الله تعالى، باعتبار حالة الوجدان والشعور بالله تعالى، وكونهم معلماً من معالم التذكير بالله تعالى، ولعل هذا المعنى يجري بالمثل على الأئمة عليهم السلام والأولياء الصالحين؛ لأنهم أعلام دين الله تعالى من خلال تضحياتهم في سبيل إعلاء كلمة الله وإحياء دينه، فالأنبياء والأئمة ﷺ والأولياء بما يحملون من رمزية دينية وعلامة حقيقية على الدين من خلال تضحياتهم ودورهم في نشر تعاليم السماء، فإن إحياء ذكراهم والصدع بآثارهم إنما يؤدي نفس الغرض، ويحقق ذات الموضوع الذي أشرنا إليه في تعريف الشعائر وبيان ماهيتها، يقول الشيخ مكارم الشيرازي: «صحيح أن قراءة تاريخ حياة عظماء التاريخ يدفع الإنسان إلى الاقتداء بهم، لكن هناك طريقاً أكثر تأثيراً، وهو مشاهدة المعالم الأثرية التي كافح عليها هؤلاء الرجال، وسجلوا فيها بطولاتهم. هذه المعالم هي في الواقع ليست مثل كتب التاريخ الميَّسة، بل هي تاريخ حيّ ناطق، يستطيع أن يُخلِّق بالإنسان عبر القرون والأعصار؛ ليجعله يعيش مع الحوادث الماضية بكل مشاعره. الأثر التربوي لهذه المشاهدات أعمق بكثير من تأثير الكتب والمحاضرات وأمثالها... فهنا الشعور لا الإدراك، والتصديق لا التصور، والعينية لا الذهنية» (٢).

(١) النساء: آية ٦١.

(٢) الشيرازي، ناصر مكارم، تفسير الأئمة: ج ١، ص ٤٥٢.

## القسم الثاني: الشعائرية في القرآن الكريم

### المحور الأول: الشعائر وأدلتها القرآنية

ورد ذكر الشعائر في القرآن الكريم في عدة موارد، وهي:

١- ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

٢- ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْحُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا أَيْمَانَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْبَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاؤُكُمْ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾<sup>(٣)</sup>.

٤- ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(٤)</sup>.

٥- ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٥)</sup>.

ذكر القرآن الكريم الشعائر في هذه الموارد مبيناً في الأولى والأخيرة أحد مصاديقها، وفي الثانية وردت بصيغة اسم المكان، وفي الثالثة والرابعة بنحو العموم، وللمفسرين في بيان مدلول هذه الآيات أقوال متعددة، نذكر منها ما ذكره الطبري: «فأنزل الله

(١) البقرة: آية ١٥٨.

(٢) البقرة: آية ١٩٨.

(٣) المائدة: آية ٢.

(٤) الحج: آية ٣٢.

(٥) الحج: آية ٣٦.

تعالى ذكره في ذلك من أمرهم: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ يعني: أن الطواف بهما، فترك ذكر (الطواف بهما)، اكتفاء بذكرهما عنه<sup>(١)</sup>.

ومثله ما نقله الآلوسي: «والشعائر - جمع شعيرة، أو شعارة - وهي العلامة، والمراد بهما أعلام المتعبّادات أو العبادات الحجية. وقيل: المعنى أن الطواف بين هذين الجبلين من علامات دين الله تعالى، أو أنّهما من المواضع التي يُقام فيها دينه، أو من علاماته التي تعبد بالسعي بينهما»<sup>(٢)</sup>.

أمّا قول الطبري، فيرد عليه ما ذكرناه سابقاً من أنّه قول مخالف لصريح القرآن، فالآية المتقدمة نصّ في أنّ الصفا والمروة هي من شعائر الله، وليس الطواف بهما، وإنّما الطواف متعلّق بهاتين الشعيرتين، وتأويل الآية - أي: حملها على غير ظاهرها - يتمّ فيما لو تعارض مع ضرورة أخرى، وهو ما لا ملزم له. هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنّ الصفا والمروة - وليس الطواف بهما - هو الشعيرة على أنّه مشعّر، أي: اسم مكان؛ أسوة بالآية التي ذكرت المشعر الحرام، وقد تقدّمت النسبة بين الشعائر والمشاعر، وجاءت تسميتهما من شعائر الله للمناسبة، وهي ما ورد من حرج المسلمين للطواف بهما مع وجود صنمي قريش (يساف ونائلة)، حيث ورد هذا السبب بنصوص العامّة والخاصّة، فكانت المناسبة هي الداعي لذكرهما بالأعمّ (الشعائر) وأنّ المشاعر إنّما هي محالّ مناسك الحج، وهي داخلة تحت عنوان الشعائرية لكونها جنس لها.

إضافة إلى ذلك القول: بأنّ الصفا والمروة تتشابه مع المزدلفة وتماثل بالسنخية؛ لكونهما من المكان، أمّا البدن فتختلف، فحكم المزدلفة يجري على الصفا والمروة، لكن حكم البدن ليس كذلك؛ لتغاير الموضوع. فإذا حملنا قول الإصفهاني - إنّ البدن هي الشعيرة حال تعلّق الهدى بها - على الصحّة هناك، فللخصوصية في البدن دون الصفا والمروة، وآية المشعر الحرام تمنع من شمول الصفا والمروة لنفس تفسير آية البدن.

(١) الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري: ج ٣، ص ٢٣٠ - ٢٣١.

(٢) الآلوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني: ج ١، ص ٤٢٤.

فيكون الأصل في ذلك كَلِّهِ هو علامة الطاعة ودلالته، وهي حقيقة الشعائر ومعناها. بمعنى آخر: أن الشعيرة هي متعلّق الطاعة والامتثال، لا الامتثال نفسه، وهما الصفا والمروة في الطواف، والهدي في البدن، وأنت خبير بأن البدن يُطلق عليها هدياً تسمية بالصفة، وهو صحيح إلا أن ذلك لم يُسمَع من كلام العرب أو المسلمين في الصفا والمروة، فهل سمعنا يوماً جواز تسمية الصفا والمروة طوافاً؟! بل يُطلق ويراد به صرف العبادة، بعكس الهدي فقد يُطلق ويراد به الاثنان، وهما: الطاعة المعلومة في مناسك الحج، ونفس البدن كذلك.

وأما آلوسبي، فنقل القول الذي شابه قول الطبري على نحو التضعيف بين الأقوال الأخرى، على أن قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحِلُّوْا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ...﴾ ظاهر بالمغايرة بين الهدي والشعائر؛ إذ العطف يقتضي المغايرة كما هو معلوم، فإن قيل: إن هذا العطف من باب عطف الخاص على العام وهو شبيه لما ذكره الزركشي: «وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ...﴾<sup>(١)</sup>، فإنّ عداوة الله راجعة إلى عداوة حزبه، فيكون جبريل كالمذكور أربع مرات، فإنّه اندرج تحت عموم ملائكته، وتحت عموم رسله، ثم عموم حزبه، ثم خصوصه بالتنصيص عليه»<sup>(٢)</sup>.

قلنا: إن الإجابة عن ذلك بنحوين:

الأول: إن عطف الخاص على العام يصحّ لو لم يُذكر معه أفراد آخرون مغايرون له في العام، في حين أن الشهر الحرام كان معطوفاً وهو غير داخل في الشعائر، وأما القول بشعائريته فيحتاج إلى دليل، فتكون قرينة السياق مانعة لهذا الاحتمال.

الثاني: لو تنزلنا عن الرد الأول، فإنّه يمكن أن نحتمل ورود لفظ الهدي، والمراد به البدن، من باب تسمية الشيء بصفته، وقد تقدّم، فالبدن حال كونه موصوفاً أنّه هديٌّ يكون شعيرة، وإلا فمع عدم هذا الوصف لا تكون كذلك.

(١) البقرة: آية ٩٨.

(٢) الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن: ج ٢، ص ٤٦٦.

والقول: إن الصفا والمروة هي الشعائر، وإن البدن التي تعلقت بها عبادة الهدي هي الشعائر، يُفهم منه تمييز الصفا والمروة عن البدن، بمعنى أن من الشعائر ما هو ثابت ومنها ما هو متغير (مشر وط)، فالبدن التي يتعلّق بها الهدي تكون شعيرة، في حين أن الصفا والمروة من الشعائر وإن لم يتعلّق بها الطواف كما هو الحال في المشعر الحرام، وهو نظير الواجب التعييني والتخييري، فالأول هو المتعين على المكلف نفسه، وهو الثابت الذي لا بدل له في مقام الامتثال. وأمّا التخييري فهو ما يختاره المكلف من البدائل ويتحقق به الوجوب، فيكون كلّ فرد من أفراد متنجزاً بشرط عدم الإتيان بفرد آخر، ويسقط هذا الوجوب بانتفاء شرطه عند الإتيان بفرد ما، وهذا ما يجري في البدن، فمتى ما تحقق الهدي على بهيمة ما تحققت الشعائرية على تلك البهيمة فعلاً دون غيرها، أمّا في الصفا والمروة فإنّ الطواف وعدمه لا يغيّر في شعائريتها.

ورود أيضاً أنّ الشعائر هي مناسك الحج خاصّة، وهو ما نقله الثعلبي عن ابن عباس ومجاهد: «فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مُجْلُوءَ شَعْبِيرَ اللَّهِ﴾». ابن عباس ومجاهد: هي مناسك الحج<sup>(١)</sup>.

فيمكن الرد عليه من عدّة جهات:

الأولى: إنّ قول ابن عباس فضلاً عن مجاهد يُعدّ من الموقوف، بمعنى أنّه لم يرو عن النبي ﷺ، فهو اجتهاد في فهم النص وليس بحجة على ما تم تحقيقه في الموقوف، وهو الذي ورد عن الصحابة دون رفعه إلى النبي ﷺ.

الثانية: ورد في مسند أحمد: «عن زيد بن خالد الجهني، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلّم): جاءني جبريل عليه السلام فقال: يا محمد، مُر أصحابك فليرفعوا أصواتهم بالتلبية؛ فإنّها من شعائر الحج»<sup>(٢)</sup>.

(١) الثعلبي، أحمد، الكشف والبيان: ج ٤، ص ٨.

(٢) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٥، ص ١٩٢.

فقوله ﷺ من شعائر الحج لبيان النوع وليس الجنس، وقد تقدّم أن النوع يقع تحت عنوان الجنس، إلا أنه يفارق باقي الأنواع المنصوبة تحت الجنس بالفصل، فإضافة الشعائر إلى الحج لبيان النوع، وكانت التلبية أحد مصاديق هذا النوع، وهو من مرويات العامة المرفوعة إلى النبي ﷺ، فهو أثبت في الحجية مما نقل عن ابن عباس. فإن قيل: إن قرينة السياق مخصّصة لمعنى الشعائر.

قلنا: إن الإجابة عن هذا التوهم ناشئة من كون التعظيم منحصرأ فيما ورد عن ابن عباس: «ويُسَنُّ استسمان الأضحية واستحسانها؛ لقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. قال ابن عباس: تعظيمها: استسمانها واستعظامها واستحسانها»<sup>(١)</sup>، بيد أن هذا الأمر لا يجري في الصفا والمروة، بمعنى أن التعظيم بهذا المعنى لا يمكن قبوله في الصفا والمروة وهما من شعائر الله بنص القرآن.

فإن قيل: إن السياق مخصّص للشعائر في موردها هذا، والآية التي تلي آية التعظيم هي قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى نُّزِّلَ عَلَيْهَا مِنَ السَّمَاءِ لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾<sup>(٢)</sup>.

قلنا: إن الآية التي سبقت آية التعظيم هي قوله تعالى: ﴿حُنْفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾<sup>(٣)</sup>، وهي ظاهرة أن التعظيم هو نفي حالة الشرك ومظاهره التي كانت عليها قريش في الجاهلية، وجعل الدين خالصاً لله تعالى، وتطهير القلوب من الرياء والسمعة، وغير ذلك من مظاهر الشرك الجلي أو الخفي، واستشعار حالة العبودية لله تعالى؛ ويؤيد ذلك أيضاً - آخر آية التعظيم - قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾. أما آية المنافع محل البحث، فهي استئناف لقوله تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يَتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، فيكون متعلّق آية المنافع هو الأنعام وليس

(١) ابن قدامة، عبد الله، المغني: ج ١١، ص ٩٨.

(٢) الحج: آية ٣٣.

(٣) الحج: آية ٣١.

(٤) الحج: آية ٣٠.

الشعائر، وإن كانت الأنعام من الشعائر عند هديها وإيصالها إلى البيت، فالسياق لا يخصّص المورد، بل ولا يبيّن حكم الخاصّ (الأنعام)، وإنّما يبيّن حكم العام منه، فأية التعظيم ظاهرة بالإطلاق الشمولي، والسياق لا يخصّص هذا الإطلاق. كذلك يرد على قول ابن عباس أنّ التعظيم إذا كان هو الاستسمان والاستعظام، فإنّ ذلك لا يجري على البدن؛ لأنّها لغة: السمين من الإبل أو البقر على بعض الأقوال، فتعظيمها حكم بلا موضوع؛ لأنّها - أصلاً - عظيمة وسمينة، فأنتى لنا تعظيم العظيم؟! فيظهر أنّ اعتماد هذا المعنى للتعظيم وتطبيقه في آية (البدن) سيكون بدون نتيجة.

### المحور الثاني: الشعائر بين التخصيص والتوقيف

من الإشكاليات الأخرى التي ربّما ترد في هذا الباب: أنّ مبنى الشعائر على التوقيف، وليس لنا أن ندخل تحت هذا العنوان أيّ ممارسة، باستثناء ما ورد ذكره في القرآن الكريم، فهي مخصّصة بالدليل القرآني، وبناءً على المعنى اللُّغوي للشعائر من أنّها معالم وأشياء أعلمها الله تعالى وأشعرها لعباده؛ لتكون محلّ طاعته وامتنال تعاليمه المتعلقة بها، فهي بذلك نظير ما ذهب إليه بعض العامّة على أنّ مبنى الأسماء الإلهية على التوقيف، بمعنى عدم صحة إطلاق غير ما ورد من الأسماء الإلهية في القرآن الكريم على الله تعالى، فتكون الشعائر عموماً مخصّصة بمناسك الحج والعمرة، ومنها: الصفا والمروة والبدن.

وكذلك بضميمة كون الهدي في البدن، والطواف في الصفا والمروة من العبادات، ومبنى العبادات على التوقيف، فلا محيص من عدم إدخال أيّ شكلٍ من أشكال الممارسات تحت عنوان الشعائر، وإنّما هو من الإحداث والبدعة، وهو على ما تعلم حكمه في الإسلام، فهي خاصّة بمناسك الحج والعمرة. أمّا الصفا والمروة والبدن ففيها نصّ صريح. وأمّا سائر المناسك في الحج، فظاهرة من السياق، وقد تقدّم.

ومنشأ هذه الشبهة هو معنى التعظيم الوارد في تفسيرات المتقدمين المستفاد من السياق، وهو على ما علمت من هو انه نضيفُ إلى ذلك النقاط الآتية:

**الأولى:** إنَّ التعظيم لغةً هو التبجيل والتفخيم، قال الزبيدي: «عَظَّمَهُ تَعْظِيماً وَأَعْظَمَهُ إِذَا فَخَّمَهُ وَكَبَّرَهُ وَبَجَّلَهُ»<sup>(١)</sup>، والتبجيل أو التفخيم المتعلق بشعائر الله تعالى ناشئ من قداستها كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَنَارُبُكَ فَالْخَلْعُ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾<sup>(٢)</sup>، فخلعُ النعلين معلولٌ لقداسة المحلِّ، وهو ظاهر بالتبجيل والتفخيم، فيكون معنى التعظيم اختيار السمين والحسن منها، وهذا الاختيار الذي يلائم قدسية وعظمة الشعائر عند الله تعالى؛ لكونها علامة وإشارة على دينه وتعاليمه، التي لا بد أن تظهر بما يلائم عظمتها، وهو نفسه في الصفا والمروة، والمقدَّس هو: الشيء الطاهر، والتقديس هو: التطهير لغةً، حيث قال ابن فارس: «وَمِنْ ذَلِكَ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ هِيَ: الْمُطَهَّرَةُ. وَتُسَمَّى الْجَنَّةُ حَظِيرَةَ الْقُدْسِ، أَي: الطُّهْرِ»<sup>(٣)</sup>. فالتعظيم هو: تطهير وتقديس شعائر الله تعالى من الشرك، وهذا التطهير الذي يجب أن يكون نابعاً من قلب العبد المؤمن؛ لأنه محلُّ نظر الله تعالى، وهذا المعنى ينسجم تماماً مع آية التعظيم، التي بينت أنَّ التعظيم من تقوى القلوب، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، وهو نفس المعنى الذي ذكرناه سابقاً من أنَّ السياق يصرف معنى التعظيم إلى تطهير الشعائر من مظاهر الشرك.

**الثانية:** إنَّ هذا القول يعتمد على مقدماته، فإنَّ صحَّتْ صحَّتْ نتيجتها، وإن لم تصحَّ فالنتيجة كذلك، فالكلام في المقدمات، والقول: إنَّ الصفا والمروة أو البدن من العبادات بناءً على أنَّ العبرة بالطواف والهدي إنَّها هو خلاف ظاهر الآيات، فإنَّ الشعائر ظاهراً إنَّها هي الصفا والمروة والبدن، وإنَّ الطاعات أو الأحكام إنَّها

(١) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ٣٣، ص ١١٠.

(٢) طه: آية ١٢.

(٣) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ج ٥، ص ٦٣.

هي متعلّقة بها، فالتقريب السابق يكون في حالة النظر إليهما كوحدة واحدة لا على نحو الاستقلال، وإلا فإن الأصل بحسب الظهور العرفي أنّ الصفا والمروة والبدن هما الشعيرتان، وهو ما عليه جمع من المفسرين، فضلاً عن مطابقته للمعنى اللغوي بالقول: إنّ الشعائر هي العلامات المقامة من قبل الحق سبحانه، والتي تؤدّي دور الإعلام والإشعار إلى دين الله تعالى.

أمّا شمول الشعائر لسائر مناسك الحج والعمرة بقريّة السياق، فهو لا يمنع من شمول غيره بعد القول: إنّ الشعائر باقية على معناها اللغوي، وأنّ جميع ما ذكر بنحو بيان بعض أفراد العام، ولم يُخصّص هذا العام بدليل خاصّ.

وبعبارة أخرى: إنّ ذكر الصفا والمروة والبدن ومناسك الحج إنّما يكون لبيان بعض أفراد العام، وليس لتخصيصه كما توهم ذلك، ف«إنّ من أنواع البيان المذكورة فيه [القرآن] أن يذكر لفظ عام، ثمّ يُصرّح في بعض المواضع بدخول بعض أفراد ذلك العام فيه، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ شَعِيرَ اللَّهِ﴾ مع تصريحه بأنّ البدن داخله في هذا العموم بقوله: ﴿وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعِيرِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>.

الثالثة: مرّ بنا أنّ الأحكام إنّما تنصبّ على ماهية الشيء وحقيقته؛ وبالتالي فإنّ كلّ فرد يحمل هذه الماهية أو جزءاً منها صحّ دخوله تحت حكم العام، فالملاحظ هنا هو نفس الموضوع، ومن جهة أخرى يلحظ الحكم، فإنّ جريان نفس الحكم إلى موضوع آخر فيه دلالة على أنّ هذا الموضوع (الخارجي) له نفس الماهية والحقيقة، وكما قيل: حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحد، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾<sup>(٢)</sup>، فالآية تأمر في اتخاذ مقام إبراهيم عليه السلام مُصَلِّينَ، بمعنى أنّها تأمر في أن يكون مقامه عليه السلام معلماً من معالم عبادة الله

(١) الشنقيطي، محمد الأمين، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: ج ٣، ص ٢٠٣.

(٢) البقرة: آية ١٢٥.

تعالى ومتعبداً من متعبداته وطاعته، فتساوي الحكم بينه وبين غيره، وانطبق المعنى اللغوي دال على شعائريته وإن لم تُصرح الآية بذلك، ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فالأمر الإلهي بأن تجعل بيوت موسى وأخيه عليهما السلام قبلةً فيه دلالة على أنها معلم من معالم الطاعة وأعلام متعبداته تعالى، فاشترك المصدقين أو المصاديق بنفس الحكم المعلول لماهية الشيء دالٌّ على اشتراكها في نفس الماهية أو جزء منها، والحكم إنما يلحظ تلك الماهية أو ذلك الجزء في مرحلة الجعل.

وهذه الآيات تبين أن القول بتوقيفية الشعائر على المعنى الذي يفهم في أسماء الله تعالى أو العبادات ليس صحيحاً؛ لأنها ظاهرة بتشعير هذه المعالم من قبل الحق تعالى، بمعنى أن الله سبحانه جعلها علامات ومواطن طاعته وعبادته، كما هو الحال في الصفا والمروة والبدن.

ونحن نفهم التوقيف في الشعائر على أنها منسوبة إلى الله تعالى، فلا يمكن أن ننسب شيئاً إلى الله تعالى لم ينسبه إلى نفسه، بل هذا هو سبب التعظيم، وهو أن الشعائر منسوبة إلى الله تعالى ﴿شَعَّرَ اللَّهُ﴾، فكل أمر ليس فيه نسبة إلى الله تعالى لا يمكن أن يدخل تحت عنوان الشعائرية التي ندب الشارع إلى تعظيمها؛ ولذا قلنا: إن الشعائر منها ما يتعلق بالأصول ومنها ما يتعلق بالفروع، وكلاهما من دين الله تعالى، أي: إنها منسوبة إلى الله تعالى، فالأنبياء عليهم السلام ويوتهم منسوبة إلى الله تعالى؛ لأنها مواطن ذكره وتسيبحه، وقد أذن في رفعها وتعظيمها وتقديسها، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾<sup>(٢)</sup>، حيث ورد «عن أنس بن مالك، وبريدة قال: قرأ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هذه

(١) يونس: آية ٨٧.

(٢) النور: آية ٣٦.

الآية: ﴿ فِي بُيُوتٍ ... ﴾ إلخ، فقام إليه (عليه الصلاة والسلام) رجل، فقال: أي بيوت هذه يا رسول الله؟ فقال (صلى الله عليه وسلم): بيوت الأنبياء ﷺ. فقام إليه أبو بكر (رضي الله تعالى عنه) فقال: يا رسول الله، هذا البيت منها لبيت علي وفاطمة (رضي الله تعالى عنهما) قال: نعم، من أفاضلها<sup>(١)</sup>.

وأقرب من ذلك ما نجده في قول أمير المؤمنين ﷺ: «نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب، لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سُمي سارقاً»<sup>(٢)</sup>، كناية على أنهم ﷺ الأقرب إلى رسول الله ﷺ دون سواهم، والشعار هم الخاصة والبطانة، وهذا يُبين منزلة أهل البيت إلى رسول الله ﷺ، والذي يكون بمعنى العلامة والدلالة من جهة، وهم ﷺ يمثلون وجود النبي ﷺ، فالناظر إليهم يشعر بنظره إلى رسول الله ﷺ، والقريب منهم إنما هو قريب من رسول الله ﷺ؛ وبالتالي يستشعر حالة القرب من الله تعالى؛ ولذا قال رسول الله ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط»<sup>(٣)</sup>.

### القسم الثالث

#### المحور الأول: الإمام الحسين ﷺ وأصول الدين

بيننا سابقاً بشيء من الإجمال أنّ الدين هو أصول وفروع وإيمان وعمل، والأصول محلّ خلاف بين المسلمين، فمنهم من قال بالتوحيد والنبوة والمعاد، ومنهم من أضاف العدل إليها، ومنهم - وهو مذهب الإمامية - من أضاف الإمامة، ونحن لا نريد أن نسبر غور هذا الخلاف، غاية الأمر أن نبدأ بالقدر المتيقن عند عامة المسلمين، وما يعيننا في المقام هو النبوة، فسواء قلنا: إنّ الإمامة أصل أصيل، أم أنّها متفرعة عن

(١) الألويسي، محمود، روح المعاني: ج ٩، ص ٣٦٧.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٦، ص ٢٦٦.

(٣) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٤، ص ١٧٢.

أصل النبوة، فإن الإيمان بأصل النبوة يكفي في مقام إثبات ما نريد؛ إذ إن الإيمان بالنبوة تعني الإيمان بالنبى ﷺ، وبأنه ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى، وهو ما وصفه به تعالى في محكم كتابه، وهذا الوصف مطلق وليس خاصاً بالرسالة أو القرآن، بل كل قول وفعل وتقرير للنبى ﷺ حجة بناءً على الإيمان بإطلاق هذا القول، وهو ما يتفق عليه علماء المسلمين بمختلف مشاربهم وطوائفهم، ونحن إذ نتكلم بالعمومات نستغني عن الدليل؛ لأنه سيكون توضيحاً للواضح.

ثم إن النبوة تفرع عنها كتاب الله تعالى، بمعنى أن النبوة هي الأصل، وهذا ما أكده علماء الكلام من أن القرآن لا يمكن أن يكون دليلاً على نبوة الخاتم ﷺ؛ لأنه يلزم الدور؛ إذ تتوقف النبوة على القرآن والقرآن يتوقف على صدق النبوة، وقد استدلوا على أصلها بالأدلة العقلية، ومنها: قاعدة اللطف، ومن النبوة تفرع الإيمان بالقرآن على أنه من الله تعالى على ما فيه من أدلة تُبين إعجازه، وأنه لا يكون إلا من حكيم مقتدر، ومن النبوة تفرعت العترة كما ورد: «عن عطية عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي، الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإتتهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»<sup>(١)</sup>.

فالقول: إن الإمامة متفرعة عن النبوة، يمكن أن يفهم منه أن الإمامة لا تثبت إلا بالنبوة، بمعنى أن النبي ﷺ هو الذي يُنصب الإمام ويُسميه، وهذا معنى الوقف الذي فهمناه سابقاً، وهو الأهم؛ لأن القول بالوقف في أصول الدين أهم منه في فروعه، كيف وأن الأصل هو الأساس الذي يتفرع منه باقي أمور الدين، فإن صحَّ ما بعده والعكس صحيح.

فيكون وجود القرآن والعترة إنما هو وجود للنبى ﷺ، وهو معنى قوله ﷺ: «قد تركت فيكم... الثقلين»، وهما متفرعان عن أصل النبوة ولا يفترقان، فما ورد عنهما

(١) المصدر السابق: ج ٣، ص ٥٩.

فهو عن النبي ﷺ، وما عن النبي ﷺ عن الله تعالى؛ إذ لا ينطق عن الهوى كما هو معلوم، فسواء قلنا: إن الإمامة أصل من أصول الدين، أو إنها متفرعة عن أصل النبوة، فكلاهما متساويان في ترتب الأثر الشرعي على ذلك؛ لأن مخالفتها أمّا مخالفة أصل الإمامة عند القول بأصوليتها، أو أصل النبوة عند القول بتفرعها عنها، والإيمان بالنبوة يعني التصديق بها مطلقاً؛ حيث قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾<sup>(١)</sup>.

وحيث ورد عن رسول الله ﷺ في الحسن والحسين عليهما السلام: «هما سيّدَا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما»، وكذلك قوله ﷺ: «الحسن والحسين إماما حقّ، قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما»<sup>(٢)</sup>.

والقدر المتيقّن من الإمامة هي القيادة الدينية، وهي لا تحصل إلا بالجعل الإلهي المبلّغ عن الله تعالى، إمّا بالوحي فقد قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾<sup>(٣)</sup>، أو عن طريق أنبيائه عليهم السلام كما تقدّم في إمامة الحسن والحسين عليهما السلام بنصّ الرسول ﷺ.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنّ هناك ناحية عملية للأصول، وقد مرّ بيان هذه الجهة، فالناحية العملية تعني تحقق الموضوع الخارجي للأصول، فلا معنى أن يكون هناك إيمان بالنبوة دون الإيمان بنبوة الخاتم ﷺ؛ لكونها تمثّل الموضوع الخارجي للنبوة والمصداق الصحيح لها، كذلك في الإمامة على الفرضين السابقين، فإنّها تستلزم الإيمان بالإمام الموجود في زمانه، وعجيب أمر هذه الأمة التي تخلّت عن قول رسول الله ﷺ: «مَن مات بغير إمام مات ميتة جاهلية»<sup>(٤)</sup>، فبدل أن تسعى إلى معرفة إمام

(١) الحشر: آية ٧.

(٢) القاضي، محمد بن منصور، دعائم الإسلام: ص ٣٧.

(٣) البقرة: آية ١٢٤.

(٤) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٤، ص ٩٦.

زمانها المجعول من قبل الحقّ تعالى، سعت هي إلى أن تختار بنفسها إمام زمانٍ لها براً  
أو فاجراً.

وهذا ما أشرنا إليه من التأكيد على أصول الدين من جهتها العملية أيضاً، وليس  
النظرية وحسب، ولعلّ ما ترمّ به الأمة الإسلامية من ضياع القيم الدينية والأخلاقية  
والفوضى العارمة إنّما حصلت لتخليها عن هذه الناحية، وهذا ما صدعت به  
الزهراء عليها السلام تحذر الأمة وولاتها من مغبة التخلي عن هذا الأصل بقولها عليها السلام:  
«... و طاعتنا نظاماً للملّة، وإمامتنا أماناً من الفرقة، والجهاد عزاً للإسلام، والصبر معونة  
على استيجاب الأجر، والأمر بالمعروف مصلحة للعامة»<sup>(١)</sup>.

فثبوت الإمامة للإمام الحسين عليه السلام، كونها من أصول الدين أو متفرّعة عن النبوة،  
يجعلها موضوعاً للشعائر الدينية، وأنّ كلّ ما تعلق بها إنّما هو من الشعائر؛ لأنّها  
(إمامة الحسين عليه السلام) موقوفة من الله تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وآله، وكلّ فعل من شأنه أن  
يُحيي ذكر الإمام الحسين عليه السلام حياً كان أو ميتاً، إنّما هو إحياء لدين الله وإحياء لأصوله  
المتقدّمة في الأهمية على الفروع، بل كلّ ما يتعلّق به عليه السلام من بيت أو قبر أو فعل أو  
قول، فإنّ إحياءه بطريقةٍ ما إنّما هو فعل متعلّق بأصل من أصول الدين، والإمام أو  
النبي عليه السلام إنّما جعلت محالّ بيوتهم ومواطن قبورهم إعلماً لدين الله وإحياء ذكره.  
نعم، قد يقال: إنّ الأعمال المتعلقة بالحسين عليه السلام وإحياء ذكره مبناها على التوقيف،  
قلنا: إنّ ثبوت دينية كلّ عمل وفعل ومعلم متعلّق بالإمام الحسين عليه السلام إنّما هو من  
شعائر الله تعالى؛ لأنّها تختصّ بأصل من أصول الدين أو متفرّعة عنه، وتوقيف هذه  
الممارسات موضوع آخر يُترك لمحلّه.

### المحور الثاني: المراسم الحسينية تفريع للأصل وتحقق للموضوع

ذكر الأصوليون أنّ الأحكام إنّما تنصبّ على المواضيع، والموضوع هو الماهية،

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٩، ص ٢٢٣.

وهي تتحقق بأيّ فردٍ من أفرادها، فإذا تحققت تنجز الحكم ووجدت آثاره في الخارج، وإن اختلفت هذه الأفراد في بعض لوازمها؛ لأن تحقق الموضوع أو الماهية إنّما يكون بتحقيق الجامع المشترك بين الأفراد، وهذا الجامع المشترك يمثل ماهية الموضوع، نظير الكلمة، فإنّه وإن قيل: إنّها ما كان من حرفين أو أكثر، فإنّ الواضع إنّما وضع الكلمة للجامع المشترك بين أفراد الكلمة المتكوّنة من حرفين فأكثر، على أنّ الحرفين يختلفان من فردٍ لآخر باختلاف حروف اللغة، فتكون الشعائر متحققة بتحقيق ماهيتها في أفرادها وإن اختلفت في بعض أجزائها، فبالنسبة للقرآن الكريم فإنّ الجامع المشترك بين الصفا والمروة من جهة، وبين البدن من جهة أخرى، هو ماهية الموضوع الذي أمر الله تعالى بتعظيمه في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، وقد مرّ أنّ الجامع المشترك أو الماهية بين أفراد جنس الشعائر إنّما هو معناها اللُّغوي المتحقق في الصفا والمروة وفي البدن بتصریح القرآن الكريم على حدّ سواء، وغرض المولى إنّما يكون بتحقيق هذا المعنى وهو الإعلام والتذكير بالله تعالى وبدينه الحنيف، أمّا المراسم الحسينية فهي متعلّقة بأصل مهم من أصول الدين وهو الإمامة، فالإمام الحسين عليه السلام باعتباره يمثل أصلاً دينياً عملياً، فإنّ كلّ ما يرتبط به ويؤدّي غرض المولى سبحانه وتعالى من الشعائر، فإنّه يكون بذلك قد حقّق موضوع الشعائرية أو ماهيتها في الخارج، فالشعائر بمختلف صورها وتعدد أفرادها إنّما تتعدد وتتفرّع تبعاً للمناسبة ومتعلّقتها، فالشعائر المتعلّقة بالحج لها صور مختلفة كالطواف بين الصفا والمروة، وهدي البدن، والتلبية على ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي بالتالي متعلّقة بفرع من فروع الدين وهو الحج، أمّا المراسم الحسينية، فهي شعائر متعلّقة بأصل من أصول الدين، وهو الإمام الحسين عليه السلام، وإحياء ذكرى الفاجعة الأليمة التي حدثت له ولأهل بيته عليهم السلام وأصحابه.

وبعبارة أخرى: إنّ الشعائر تنفرّع إلى أشكال وصور مختلفة بحسب متعلّقتها، والمراسم الحسينية إنّما تُحقّق ذات الموضوع والماهية الشعائرية، وهي تلتقي مع

مناسك الحج في الجامع المشترك بينها، وهو الإعلام والدلالة على دين الله تعالى، وإحياء تعاليمه وأصوله من جهة، ومن جهة أخرى فهي تخلق تلك الحالة الوجدانية في نفوس المؤمنين من الشعور والتذكير بالله تعالى، والذي يكون مدعاة إلى التمسك بدينه وتعاليمه لنيل سعادة الدارين من جهة، وتحمل المسؤولية أمام الله ورسوله والمؤمنين في الدعوة إلى الدين والالتزام بتعاليمه ومبادئه من جهة أخرى، وهذا من أهم ما أنتجته فاجعة الطف الأليمة، التي كان لإحيائها الدور البارز في توجه الكثير ممن لهم جذور دينية في الرجوع إلى الدين والتمسك به وترك الخوض مع السلطات الحاكمة الظالمة، التي اتخذت من الدين شعاراً مزيفاً لتحقيق مطامعها، يقول السيد محمد سعيد الحكيم حول النتائج الدينية للمحمة كربلاء: «الشعور بتدهور المجتمع الإسلامي وابتعاده عن الدين، وتقصيره في أمره بنحو يستوجب تأنيب الضمير على ذلك، خصوصاً بعد أن ركّز أهل البيت (صلوات الله عليهم) وشيعتهم على عظم الجريمة، واهتموا بإحيائها والتذكير بها بإقامة المآتم وزيارة قبر الإمام الحسين (صلوات الله عليه) وراثته وما يجري مجرى ذلك؛ حيث يكون رد الفعل المناسب لذلك من كثير ممن لهم جذور دينية، هو ترك السلطة ومن يتنازع عليها جانباً، والرجوع للدين والتعرف عليه والتمسك به»<sup>(١)</sup>.

وربما يصل المرء إلى أن يكون بنفسه شعاراً لدين الله تعالى، بمعنى أن يكون علماً هادياً مهدياً لطريق الحق، كما ورد عن طريق العترة الطاهرة في تأويل قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَتْ وَيَالْتَجِمُ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾<sup>(٢)</sup>، روى الشيخ الكليني: «عن معلى بن محمد، عن الوشاء قال: سألت الرضا عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَتْ وَيَالْتَجِمُ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، قال: نحن العلامات، والنجم رسول الله صلى الله عليه وآله». هذا كله من جهة تحقق نفس الموضوع والماهية اللغوية في الشعائر.

(١) الحكيم، محمد سعيد، فاجعة الطف: ص ٣٩٠.

(٢) النحل: آية ١٦.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ١، ص ٢٠٧.

ومن جهة أخرى، فإن الاستدلال على الموضوع تارةً بما ورد صراحةً أو ضمناً في لسان الدليل، وتارةً يكون بمرادفه الذي يشترك معه ويجانسه في الماهية، فأية التعظيم دالة على قداسة الشعائر وعظمتها، والله تعالى أمرنا بتعظيمها، أي: إظهار هذه العظمة، كما في قولك: الله أكبر، فالله تعالى كبير وهذا القول إنما لإظهار هذا المعنى ونشره، كذلك في التعظيم، فيكون المعنى إظهار هذه القدسية للشعائر؛ لكونها مرتبطة بالله تعالى، ودليل ارتباطها إضافتها إليه سبحانه، وكلّ مقدّس إنّما كان لارتباطه بالله تعالى ويجب تعظيمه كما في آية الوادي المقدّس الذي كان محلّ كلام الله تعالى مع موسى عليه السلام، والقدسية هي الطهارة كما تقدّم لُغويّاً - بمعناها العام وليس الفقهي - فكلّ ما هو طاهر فهو مقدّس ويجب تعظيمه، فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾<sup>(١)</sup>، دليل على قدسية أهل البيت عليهم السلام ويركتهم وارتباطهم بالله تعالى؛ فلذا وجب تعظيمهم، فيكون هذا التعظيم متفرّع عن الأصل وهو تعظيم الشعائر، بعد فرض أنّ سبب التعظيم إنّما هو قدسيّتها ونسبتها إلى الله تعالى كما هو حال الوادي المقدّس، بمعنى أنّ الملحوظ في الشعائر هو كلّ ما كان مقدّساً ومرتبّطاً بالله تعالى ومعلماً من معالم دينه الحنيف، وبناءً على هذه المعاني ينصبّ حكم التعظيم ويتفرّع من هذا الأصل أهل البيت عليهم السلام؛ لثبوت طهارتهم بالنص القرآني، وكونهم علامة على دين الله الحنيف ومواطن عبادته كما ورد: «عن علقمة، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: النظر إلى وجه علي عبادة»<sup>(٢)</sup>، وهو يجري على الإمام الحسين عليه السلام للاشتراك مع أبيه في آية التطهير، فإذا كان أمير المؤمنين عليه السلام موطن طاعة الله تعالى بمجرد النظر، فما بالك بإحياء أمره وسيرته وأقواله وغير ذلك من المراسم المعروفة، والأمر نفسه كذلك بالنسبة إلى الإمام الحسين عليه السلام.

(١) الأحزاب: آية ٣٣.

(٢) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ١٠، ص ٧٧.

### المحور الثالث: الشعائرية والمراسم، انطباق المفهوم على المصداق

إنّ الحكم على المراسم الحسينية أنّها من الشعائر أشبه بالقضية الحملية، بمعنى إثبات شيء لشيء أو نفيه عنه، على أنّ المراسم هي الموضوع والشعائر هي المحمول؛ لأنّ المحمول شرطه أن يكون عرضاً، أي: إنّ صفة عارضة على الشيء، وهو ما ثبت في علم الصرف أنّ الشعيرة صفة مشبهة بالفعل ولا بدّ للصفة من موصوف. وبين الموضوع والمحمول إمّا الاتحاد بالماهية وهو الحمل الأولي، أو الاتحاد بالمصداق وهو الشايح الصناعي، أمّا الأولي - وهو الاتحاد بالمفهوم - فالواقع الخارجي والشاهد الوجداني كفيل ببيان معنى المراسم الحسينية، وهي أنّها ممارسات الغاية منها إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام؛ وبالتالي إحياء أمر الدين؛ لأنّهم تركة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى هذه الأمة مع كتاب الله عز وجل، وكلّ أمر مرتبط بهم عليهم السلام إنّما هو من أجل إحياء الدين، فهذه الممارسات ليس الغاية منها تعظيم شخوصهم وذواتهم وحسب، بل بما تحمله هذه الهياكل الإلهية من روح وإيمان عميق بالله تعالى، ودورهم في تحمّل أعباء مسؤولية الدين الحنيف بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، هذا الدور الذي جاءنا بجعل إلهي مبلّغ عن طريق نبيه المصطفى صلى الله عليه وآله، بل يُضاف إليه إحياء دين الله تعالى ونشر مبادئه وقيمه.

أمّا من الناحية الخارجية، فإنّ هذه الممارسات وإن اختلفت وتباينت وتنوعت، إلّا أنّها تلتقي بذلك الجامع، نظير شعائر الحج وما بيّناه من الفرق الواضح بينها، إلّا أنّها تشترك في نفس الماهية والموضوع، فضلاً عن القول: إنّ هناك بيانات قرآنية ظاهرة بأن تكون بيوت الأنبياء عليهم السلام ومقاماتهم مواطن لتعبّد الناس، وهي بذلك تشترك من هذه الجهة، كذلك إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام وبيان فضائلهم، ودورهم الرسالي في الحفاظ على الدين وبيان تعاليمه الحقّة، فإنّ هذه المصداق تشترك مع غيرها بنفس الموضوع، وإن اختلفت صورها وتعدّدت حيثياتها.

أما من جهة توحيد هذه العناوين الفرعية تحت عنوان الشعائر، وجواز إطلاقه على المراسم الحسينية، فنقول: إن الكليات مقسمة إلى: ذاتي، وعرضي. والذاتي إلى: فصل، ونوع، وجنس. والجنس إلى: جنس قريب، وبعيد. بمعنى أن الشعائر إذا لوحظت جنساً بعيداً فإن المراسم الحسينية هي جنس قريب، وإن لوحظت الشعائر جنس قريب فإن المراسم نوع قد يكون لها فصل يميّزها عن باقي الأنواع المشتركة معها بالجنس كمناسك الحج، فالمراسم الحسينية إنما هي شعائر من جهة النوع، بمعنى أنّها نوع تندرج تحت الجنس، وهو (الشعائر) الذي تشارك به مع مناسك الحج. وبعبارة أخرى: إن الجنس هو أن تكون أفراده متكررة في الحقيقة والعدد، والنوع هو أن تكون أفراده متفقة في الحقيقة ومتكررة بالعدد، فعلى هذا نفهم أن القول بشعائرية المراسم الحسينية وإن قيل: إنّها تختلف في الحقيقة عن مناسك الحج مثلاً، إلا أن هذا القول مدفوع بأن الشعائر إنّما هي من صنف الجنس الذي تقع تحته الأنواع، وهي تشارك (الأنواع) بنفس حقيقة الجنس، مضافاً إليها الفصل الذي يفصل النوع عن باقي الأنواع الأخرى، والنوع كما أن له أفراداً كثيرة إلا أن نفس أفراده إنّما هي أفراد الجنس. فكل ممارسة دينية من شأنها أن تُحقق الغرض الإلهي وتُحيي دين الله بأصوله وفروعه، وتكون ممارسة إعلامية داعية إلى الله تعالى وإلى دينه، ومعلماً من معالم الطاعة والإيمان والعمل الصالح الذي يُعتبر جوهر الدين، وهي في ذات الوقت تُحيي قلوب المؤمنين بذكر الله تعالى، والتوكّل عليه والإحساس بالقرب المعنوي، يصحّ أن يُطلق عليها عنوان الشعائرية من جهة انطباق المفهوم على المصداق، وهو على ما تقدّم صحيح في انطباقه على المراسم الحسينية.

## الخاتمة

مما تقدّم ننتهي إلى نتيجة مفادها: أن الشعائر وردت في لسان الشارع بنفس المعنى العرفي اللغوي، ولم يستعملها في حقيقة شرعية؛ وبناءً على هذا القول صحّ التمسك

بالإطلاق واستيعاب الشعائر كل فردٍ يتحقق فيه موضوع الشعائر وماهيتها. وأما ما ذهب إليه المفسرون، فهو مع أنهم فسروا معنى الشعائر بالمعنى اللُّغوي إلا أنهم خصَّصوها في مناسك الحج، والحق أن هذا التخصيص لا يصمد أمام دراسة النصوص بمجموعها، وبيان أن ما ورد من ذكره في الآيات إنما هو من باب ذكر بعض أفراد العام، واللطيف في المقام أن الفردين المذكورين في القرآن يمكن لكلِّ باحثٍ أن يصل منهما إلى الجامع المشترك الذي لحظه الشارع وصبَّ الحكم عليه في آية تعظيم الشعائر، ومن جهة أخرى فإن هذا التعميم أدخل في مضمونه كل ما تعلق بالدين بنحو تحقق موضوع الشعائرية من أصول الدين وفروعه، والمسلم يعلم أهمية الأصول على الفروع من ناحية نشر الدين وإحياء تعاليمه، والذي انطبق على المراسم الحسينية كونها متعلقة بأصل من أصول الدين وهو الإمامة، أو ما تفرَّع عن أصل النبوة لتضافر الأخبار على إمامته وشموله في آية التطهير، والذي يُعتبر (الطهارة والقدسية) سبباً في حكم التعظيم على الشعائر، كما في آية الوادي المقدس الواضحة الدلالة على هذا المعنى، وحديث رسول الله ﷺ حول النظر إلى وجه علي عليه السلام، فضلاً عن القواعد العلمية (الفلسفية والمنطقية) التي كانت من الأسس التي اعتمدها، مضافاً إلى بيان مضامين الآيات القرآنية التي ذكرت صراحة بعض أفراد عموم الشعائر، والتي كانت مؤكدة بمجموعها على صحّة حمل الشعائرية على المراسم الحسينية، وكون الأخيرة إحدى مصاديقها.



## أهمية الزيارة في الشعائر الحسينية

الباحث: حسن جميل الربيعي\*

### معنى الشعائر وشعائر الله

لو أردنا البحث عن لفظة (الشعائر) لوجدناها وردت في أربعة مواضع من القرآن الكريم، وكلها في سياق آيات الحج، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا مُجْلُوا شَعِيرِ اللَّهِ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّن شَعِيرِ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

ولكن ورود هذه اللفظة في سياق آيات الحج لا يعني أنها مختصة بالحج فقط كما يُظن؛ وذلك بدليل أنها جاءت - في آيتين - مسبوقه بـ (من التبعية)، أي: إن معالم الحج هي بعض شعائر الله، وبالتالي توجد شعائر أخرى غير تلك المعالم. والدليل الثاني أن لفظة (الشعائر) - في جميع الآيات المتقدمة - جاءت مضافة إلى لفظ الجلالة (الله)، أي: إن معناها أوسع من معنى الحج، بل هو معنى ينطبق على كل المعالم التي يتعبد بها الإنسان المؤمن لله تعالى، والحج من أبرزها.

\* باحث إسلامي، من العراق.

(١) البقرة: آية ١٥٨.

(٢) المائدة: آية ٢.

(٣) الحج: آية ٣٢.

(٤) الحج: آية ٣٦.

ولتأكيد هذا المعنى لا بد من الرجوع إلى المعجم اللغوي الذي يُبين لنا أصل هذه المفردة، فهذه المفردة مشتقة من الجذر (شعر)، وهو يدل على أصلين كما نصّ عليه ابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، فقال: «يدلّ أحدهما على نبات، والآخر على علمٍ وعلمٍ»<sup>(١)</sup>. وهذه المفردة مشتقة من الأصل الثاني الذي يدلّ على الإدراك والعلم والعلامة، قال الزمخشري (ت ٥٣٨هـ): «والشعائر: جمع شعيرة، وهي العلامة»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ): «مادة شعر، أي: أدرك وعلم، وتقول العرب: بيتنا شعار، أي: علامة»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ): «والشعائر جمع شعيرة، بفتح الشين، وشعارة بكسر الشين بمعنى العلامة، مشتق من شعر إذا علم وفطن، وهي فعيلة بمعنى مفعولة، أي: معلم بها»<sup>(٤)</sup>.

إذن؛ تبين لنا من التعريف اللغوي أنّ الأصل الذي جاءت منه مفردة الشعائر هو العلم البارز الذي يظهر في أمر ما، ومنه الحجج؛ لأنّه يشتمل على أعلام معيّنة كالطواف، والسعي، والوقوف و...

أمّا معنى (الشعائر) مضافة إلى لفظ الجلالة (الله)، فهو معنى واسع شامل للأحكام الإلهية، ولمواطن عبادة الله تعالى، وعلى هذا يكون حج بيت الله الحرام أحد مصاديقه، فهو يشمل الدين كلّه، قال الزجاج (ت ٣١١هـ): «يعني بها جميع متعبّداته التي أشعرها الله، أي: جعلها أعلاماً لنا، وهي كلّ ما كان من موقف، أو مسعى، أو ذبح، وإنما قيل: شعائر لكل علم مما تعبّد به؛ لأنّ قولهم: شعرت به: علمته؛ فلهذا سُمّيت الأعلام التي هي متعبّدات الله تعالى شعائر»<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن فارس، أحمد، معجم مقاييس اللغة: ص ٥٠٦، مادة (شعر).

(٢) الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف: ج ١، ص ٢٠٨.

(٣) الأندلسي، أبو حيان، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط: ج ١، ص ٦٤٧.

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، تفسير التحرير والتنوير: ج ٢، ص ٦٠.

(٥) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ١٢، ص ١٩١.

وقال الهروي في تفسيرها: «سمعت الأزهري يقول: هي العلائم التي ندب الله إليها، وأمر بالقيام بها»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الطائفة الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) في تبيانه: «والشعائر: المعالم للأعمال، فشعائر الله: معالم الله التي جعلها مواطن للعبادة، وهي أعلام متعبداته من موقف، أو مسعى، أو منحرف، وهو مأخوذ من شعرت به: أي: علمت. وكلّ معلم لعبادة من دعاء، أو صلاة، أو أداء فريضة، فهو مشعر لتلك العبادة»<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ): «والشعائر جمع شَعيرة أو شِعارة، أي: قد أشعر الله أنّها حدّه وطاعته، فهي بمعنى معالم الله... قال الحسن: دين الله كلّه يعني شرائعه التي حدّها لعباده، فهو عامّ في جميع تكاليفه تعالى»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ): «فكلّ ما أمر الله به بزيارته، أو بفعل يوقع فيه، فهو من شعائر الله، أي: ممّا أشعر الله النَّاسَ، وقرّره، وشهره»<sup>(٤)</sup>.

وجاء في المعجم الوسيط في معنى (الشعيرة): «ماندب الشرع إليه، وأمر بالقيام به»<sup>(٥)</sup>. وبناء على ما تقدّم يكون معنى (شعائر الله) كلّ ما أمر الله به، وجعله علماً للناس. وقد جعل الله تعالى تعظيم شعائره من تقوى القلوب، وهذه مرتبة سامية عالية لا يصل إليها إلا من جدّ واجتهد والتزم بأحكام دينه، وتعظيمها؛ لذلك قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾<sup>(٦)</sup>، وقد ورد في معناها: «شعائر الله: دين الله كلّه، وتعظيمها: التزامها»<sup>(٧)</sup>، ولكي يزيد الباري سبحانه وتعالى

(١) الأندلسي، أبو حيان، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط: ج ١، ص ٦٤٧.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج ٢، ص ٤٢.

(٣) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط: ج ٣، ص ٥٨٥.

(٤) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، تفسير التحرير والتنوير: ج ١٧، ص ١٨٥.

(٥) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط: ص ٤٨٥.

(٦) الحجّ: آية ٣٢.

(٧) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٧، ص ١٣٣.

من أهمية (شعائر الله) وكونها من تقوى القلوب، أكد الكلام ونبه عليه بلفظة (ذلك) التي بدأت بها الآية؛ لكي يلفت انتباه السامع، فالقصد من الإتيان باسم الإشارة هنا «هو التنبيه على الاهتمام بما سيذكر بعده، فالإشارة مرادٌ بها التنبيه»<sup>(١)</sup>.  
وقد أفاد العلامة حسن المصطفوي (ت ١٤٢٦ هـ) في هذا المجال، فقال في تحقيقه لهذه المفردة: «ولازم أن تعظم شعائره، ويهتم في حفظها، ويتوجه إلى تحققها بأحسن أنحاءه. وهذا المعنى إنما يتحقق إذا تحقق حق التقوى في القلب، فإن التقوى هو حفظ النفس والمراقبة عليها، وصيانتها عن أي خلاف وانحراف، حتى يتحصل حق التوجه والخلوص، وكلما ازداد التوجه والخلوص يزداد التوجه والعلاقة إلى تنظيم شعائره تعالى، فيصح لنا أن نفسر الشعائر: بأنها علائم لطيفة، وآيات دقيقة، وشواهد رقيقة تُدرك حول مقاماته وكبريائه وعظمته»<sup>(٢)</sup>.

### الشعائر الحسينية

بعد أن تبين معنى الشعائر ننتقل إلى المحطة الثانية في البحث، وهي ارتباط لفظة (الشعائر) بلفظة (الحسينية)، فنقول: إن وصف الشعائر بالحسينية هو وصف عالٍ جداً، خصّص لفظ الشعائر، وأكسبه صفة المدح والثناء، فقد ذهب النحاة إلى أنّ النعت يُفيد عدّة فوائد، منها: التخصيص والثناء<sup>(٣)</sup>.

فحينما نقول: (الشعائر الحسينية) فنحن نخصّص لفظة الشعائر، ونقصد بها الجانب المتعلق بالإمام الحسين عليه السلام، وننتقل من هذا الجانب إلى الله تعالى، طالبين رضاه؛ فالحسين عليه السلام حجة من حجج الله تعالى على خلقه، وسيّد شباب أهل الجنة، ومصباح الهدى وسفينة النجاة، وهو عليه السلام أسّ الإسلام، وخازن الكتاب، ونظام المسلمين كما جاء في إحدى الزيارات: «السلام عليك يا خازن الكتاب المشهور،

(١) ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، تفسير التحرير والتنوير: ج ١٧، ص ١٨٢.

(٢) المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم: ج ٦، ص ٧٦.

(٣) أنظر: الرضي الأسترآبادي، محمد بن الحسن، شرح الكافية: ج ٢، ص ٢٣١.

السلام عليك يا أُسَّ الإسلام الناصر لدين الله، السلام عليك يا نظام المسلمين»<sup>(١)</sup>.

والحسين عليه السلام يمثل روح الإسلام وجوهه بثورته التي رفض بها الظلم والجور، وطلب بها الإصلاح في أُمَّة جدّه؛ لكي يُرجع الأُمَّة إلى مسارها الصحيح بعد أن أراد بنو أُمّية أن يحرفوها باتجاه إسلامهم الذي يُريدونه.

إذاً، فنحن نضع لفظ (الحسين) في هذا المجال؛ لأنه مشهد ومعلم بارز من مشاهد (شعائر الله) ومعالمه، فإنَّ الحسين عليه السلام في كلِّ حَرَكَة من حركاته، وسَكَنَة من سكناته، كان يطلب رضوان الله تعالى، وكان يطلب هداية الناس إلى شرعة الله سبحانه وتعالى؛ لذا كان دائم التذكير والنصح والإرشاد والهداية لهم حتى ساعة استشهاده مضرّاً جداً بدمائه الزكيّة.

وبهذا المعنى «فإنَّ الشعائر الحسينية تكون أحد مصاديق شعائر الله التي يجب أن يعظّمها المسلمون؛ وذلك لأنّها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بروح الإسلام وجوهه، ومنه تستمدّ معيّناتها، وعلى أساسه يقوم بناؤها»<sup>(٢)</sup>.

وهي أحد أشكال الانتماء الحقيقي إلى الله تعالى، وإلى جبهة الحقّ ورفض الظلم، قال المرحوم آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي رحمته الله (ت ١٤٣٦ هـ): «والشعائر الحسينية هي تعبير عن هذا الانتماء إلى جبهة الحقّ وجبهة التوحيد؛ ووسائل التعبير مختلفة مثل الزيارات، والاحتفالات، وإقامة مجالس العزاء، والنياحة، والهيئات الحسينية، والمواكب الحسينية... تأتي في هذا السياق، وهي في نفس الوقت تعبير عن تبني قيم التوحيد، وإباء الضيم، ورفض الظلم»<sup>(٣)</sup>.

لذا؛ فإنَّ كلَّ تعبير عن الشعائر الحسينية يجب أن يتناسب مع ثورة الحسين عليه السلام وأهدافه التي ضحّى من أجلها، وهي أهداف إلهية يريد بها وجه الله تعالى. ورحم

(١) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٤٣٠.

(٢) الربيعي، جميل، الإمام الحسين عليه السلام شمس لن تغيب: ص ٣٩٠.

(٣) الآصفي، محمد مهدي، الشعائر والشعارات الحسينية: ص ٤٤.

الله الشهيد مرتضى مطهري (ت ١٣٩٨ هـ) إذ تحدّث عن الوسائل التي يُعبّر بها الموالون عن عزائهم بسيد الشهداء عليه السلام قائلاً: «إنّ البكاء والحزن والنواح على الحسين أمرٌ جيّد للغاية... إنّ النواح، واللّطم، والضرب بالسلاسل، كلّ هذه الأعمال، أوافق عليها شخصياً، لكنني أقول شرط أن تكون شعاراتنا في هذا المجال، شعارات حسنيّة، وليس شعارات نابعة من عنديّاتنا... فشعارات الحسين من نوع آخر متميّز»<sup>(١)</sup>.

فالشعائر الحسينية هي استذكار للحسين عليه السلام، وتطبيق لأحكام الله سبحانه وتعالى، بل هي امتداد لثورة الحسين عليه السلام، وإبراز لجوانبها الرّبانية التي جسّدها الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه (سلام الله عليهم) منذ خروجهم من مكّة إلى ساعة استشهادهم في رمضاء كربلاء، وأكملها من بعدهم سبانيا آل محمد إلى حين وصولهم إلى مدينة جدّههم رسول الله صلى الله عليه وآله.

إذاً؛ فعلى المؤمن الموالي الذي يقوم بالشعائر الحسينية أن يستحضر أهداف الثورة الحسينية المباركة؛ لكي يعمل وفقها، ولا أظن أنّنا بحاجة إلى تحليل الكتاب والمفكرين الإسلاميين وغيرهم لبيان هذا الهدف - مع احترامنا وإجلالنا لما بذلوه من جهود قيّمة في هذا المجال - مع وجود نصّ صريح في هذا المجال من قائد النهضة سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ قال في البيان الأول لثورته المباركة حين خرج: «وإني لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي صلى الله عليه وآله، أريد أن أمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي، وأبي علي بن أبي طالب، فمن قبلني بقبول الحقّ، فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ، وهو خير الحاكمين»<sup>(٢)</sup>.

فالهدف الحسيني من الخروج والثورة على بني أميّة الذين أفسدوا وطغوا في البلاد هو الإصلاح، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والالتزام بخطّ الإسلام

(١) مطهري، مرتضى، الملحمة الحسينية: ج ٢، ص ١٩٤.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٣٢٩.

الأصيل، وإحياء الإسلام الذي أرادوا دفينه، الإسلام المتمثل بخط محمد ﷺ وعلي ﷺ والعترة الطاهرة ﷺ، الذين مثلوا الإسلام قولاً وفعلاً في إطار أخلاقي تربوي كامل يقتضي: الصبر، والتحمل، وعدم الجزع إلى أن يحكم الله تعالى، دون جبر أو إكراه لأحد على هذه الثورة، «من لحق بي منكم استشهد، ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح»<sup>(١)</sup>.  
وبعبارة أخرى: هدف الحسين ﷺ من ثورته المباركة هو إحياء الإسلام بمنظومته الكاملة، تشريعياً، وعقائدياً، وأخلاقياً؛ لتغيير حال الأمة إلى الحال الأمثل الذي يُريده الله سبحانه وتعالى ليسير بها إلى ما فيه خيرها وسعادتها.

ولهذا؛ ورد التأكيد من أئمة أهل البيت ﷺ على إقامة مجالس العزاء الحسيني، وكانوا ﷺ يحضرونها بأنفسهم، ويكون فيها، ويطلبون من الشعراء إنشاد الشعر، وإبكاء الناس، وقد وردت عشرات الروايات المؤكدة على أهمية هذا الأمر، سواء كان مجالس حسينية، أو بكاءً على الحسين ﷺ، أو إظهار الجزع والحزن لتلك المصائب الأليمة.

### الزيارة وأهميتها

لعلّ أهم ما ركّز عليه أهل بيت العصمة والطهارة ﷺ في هذا المجال هو الزيارة، التي هي من أهم الشعائر الحسينية التي مارسها أهل البيت ﷺ بأنفسهم، وحثوا أصحابهم على الالتزام بها، وأرشدوهم إلى الطريق الأصحّ فيها، فما أن تُذكر زيارة سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين ﷺ حتى ترد على ذهن الإنسان المحبّ والموالي عشرات بل مئات من الروايات الواردة عنهم ﷺ في فضلها، وثوابها، واستحبابها في كلّ آن وزمان، بل وردت بعض الروايات المصّرة بوجوب الزيارة؛ وبذلك تكون من مواطن العبادة لله تعالى، والتي حثّ عليها المعصوم بنفسه، وأداها بقوله وفعله، فتكون مظهرًا من أهم مظاهر شعائر الله التي يجب تعظيمها لتحصيل تقوى القلوب.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٢٩.

فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: «مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين عليه السلام، فإن إتيانه مُفترضٌ على كلِّ مؤمنٍ يقرُّ للحسين عليه السلام بالإمامة من الله عز وجل»<sup>(١)</sup>.

وفي حديث آخر عن أمِّ سعيد الأحمسيّة، عن أبي عبد الله عليه السلام، قالت: «قال لي: يا أمِّ سعيد، تزورين قبر الحسين؟ قالت: قلت: نعم. فقال: زوريه، فإن زيارة قبر الحسين واجبة على الرجال والنساء»<sup>(٢)</sup>.

وفي رواية ثالثة عنه عليه السلام، قال: «لو أنّ أحدكم حجّ دهره، ثم لم يزر الحسين بن علي عليه السلام، لكان تاركاً حقّاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ حقّ الحسين عليه السلام فريضةٌ من الله واجبة على كلِّ مسلم»<sup>(٣)</sup>.

وبقراءة بسيطة لهذه الروايات نراها تنطبق على مفهوم شعائر الله؛ لأنّ الزيارة واجبٌ شرعيٌّ، وحكمٌ من أحكام الله تعالى، وأداء حقٍّ من حقوقه عز وجل، وفي هذا المجال قال العلامة المرحوم السيّد محمد جعفر المروّج (ت ١٤١٩ هـ) في حديثه عن الزيارة - بعد أن يأتي بأحاديث عدّة في أهميّة الزيارة -: «يفهم من هذه الرواية ونظائرها أنّ التمسك بحبل ولايتهم، والإيمان بإمامتهم، لا يتمّ إلا بزيارتهم (صلوات الله عليهم)، فلا يكون أحدٌ إمامياً إلا بالاعتقاد الجناني بإمامتهم، والإقرار اللساني بها، والحضور بالبدن العنصري عند قبورهم. فالزيارة هي الجزء الأخير لسبب اتّصاف المسلم بكونه إمامياً، وتركها كفقدان سابقها يوجب الرفض المبعد عن رحمته الواسعة - أعاذنا الله تعالى منه - فالإمامة التي هي من أصول الدين يتوقّف التدين بها على زيارتهم؛ فلها دخل في تحقق هذا الأصل الأصيل الذي هو أساس الدين»<sup>(٤)</sup>.

أمّا إذا أردنا قراءة الروايات التي تؤكّد استحباب زيارة الحسين عليه السلام فهي كثيرة جداً، ونقرؤها في بطون الكتب قديمها وحديثها، ونسمعها من رواد المنابر الحسينية

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٢٣٦.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٣٧.

(٣) المصدر السابق: ص ٢٣٨.

(٤) المروّج، محمد جعفر، منتهى الدراية في شرح الكفاية: ج ٦، ص ٦٣٧-٦٣٨.

التي تصدح ليل نهار في شرق الأرض وغربها، كلها تحث على زيارة سيّد الشهداء عليه السلام في كلّ زمان ومكان، صباحاً ومساءً، وفي كلّ يوم وكلّ ليلة، وعند الخوف والظلم، وعند الفسحة والحرية، وفي كربلاء وغيرها، بل ومن أبعد نقطة في الأرض، كلّها تحث على زيارة المولى أبي عبد الله عليه السلام، وتبيّن لنا عظيم الثواب والأجر للزائر.

## الزيارة بالمأثور

من الأمور المهمّة في الزيارة ومن آدابها هو الدعاء بالمأثور، والسلام على المعصومين بما جاءنا من زيارات رُويت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، ودونها أصحاب المصنّفات الحديثية، ابتداءً من أصحاب الكتب الأربعة ومن تلاهم، ثمّ اللاحق فاللاحق، بل اختصت بعض الكتب بنقل الزيارات فقط، من قبيل: كتاب (كامل الزيارات) للعلامة ابن قولويه القمي، و(المزار) للشيخ المفيد، و(المزار الكبير) للمشهدى، كما ذُكر في ترجمة شيخ الطائفة الطوسي أنّ له كتاباً مفقوداً جمع فيه الزيارات، وغيرها من الكتب، وصولاً إلى ساعة كتابة هذه السطور، بل وما قد سيأتي في قابل الأيام.

وقد ورد التأكيد الكبير على الزيارة بالمأثور في بعض النصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، فإنهم عليهم السلام كانوا إذا أوصوا شخصاً بزيارة الحسين عليه السلام يعلمونه كيفية الزيارة من خلال قراءة النصوص المذكورة في كلّ مكان، بل أحياناً يؤكّدون تأكيداً بالغاً أن تكون الزيارة بهذا النص بالدقّة، كقول أبي عبد الله الصادق عليه السلام للمفضّل: «يا مُفضّل، إذا أتيت قبر الحسين بن علي عليه السلام فقفّ بالباب، وقل هذه الكلمات، فإنّ لك بكلّ كلمة كفالاً من رحمة الله...»<sup>(١)</sup>.

ولذلك؛ كان أصحاب الأئمة يعرفون أهميّة النصوص؛ فكانوا يطلبون منهم أن يعلموهم كيفية الزيارة، فقد ورد في زيارة عاشوراء أنّ علقمة سأل الإمام الباقر عليه السلام قائلاً: «علّمني دعاءً أدعوه به ذلك اليوم إذا أنا زرتّه من قرب، ودعاءً أدعوه به إذا لم أزره

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٧٥.

من قرب، وأومات من بُعد البلاد، ومن داري بالسلام إليه...»، فعلمه الإمام عليه السلام دعاء الزيارة، وقال له بعد أن أتمّ الزيارة: «إن استطعت أن تزوره في كل يوم بهذه الزيارة من دارك فافعل»<sup>(١)</sup>.

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام في الزيارة نفسها أنه قال لعلقمة: «تعاهد هذه الزيارة، وادع بهذا الدعاء، وزر به؛ فإني ضامن على الله تعالى لكل من زار بهذه الزيارة، ودعا بهذا الدعاء من قُربٍ أو بُعِدٍ أن زيارته مقبولة، وسعيه مشكور، وسلامه واصل غير محجوب، وحاجته مقضية من الله بالغا ما بلغت، ولا يُحْيِيه، يا صفوان، وجدت هذه الزيارة مضمونةً بهذا الضمان عن أبي، وأبي عن أبيه علي بن الحسين عليهما السلام مضموناً بهذا الضمان، والحسين عن أخيه الحسن مضموناً بهذا الضمان، والحسن عن أبيه أمير المؤمنين مضموناً بهذا الضمان، وأمير المؤمنين عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مضموناً بهذا الضمان، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه السلام مضموناً بهذا الضمان، وجبرئيل عن الله عز وجل...»<sup>(٢)</sup>.

ومما تقدّم يتبيّن أنّ الزيارات لا بدّ أن تُقرأ بنصّها؛ لأنّ أيّ تغيير فيها - وإن كان بسيطاً - هو تغيير لمعنى من المعاني المقصودة في الزيارة، «فيعلم إذن أنّ لعين الألفاظ خصوصيّة»<sup>(٣)</sup> فيها؛ ولذلك قال الشيخ عبد النبي العراقي (ت ١٣٨٥ هـ) عن زيارة عاشوراء: «إنّ زيارة عاشوراء المعروفة بكلام الله تعالى، ولا يمكن تغيير ألفاظها، ويجب أن تُقرأ بالألفاظ الواردة عينها، لترتب آثار دنيوية وأخروية، وضعية وتكليفية عليها، وتغييرها اجتهاد في مقابل النص، بل هو تجرّ على أحكام الله تعالى، وحرمان من آثار وخواص العبادة بسبب ترك شروطها»<sup>(٤)</sup>.

وقد يكون السبب من هذا التأكيد على نصوص الزيارات هو أنّها ترسم صورة كاملة لشرائع الإسلام أصولاً وفروعاً، وتعطي صورة كاملة للمزور، «بل هي نصّ

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهجد وسلاح المتعبّد: ص ٧٧٣ - ٧٧٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٧٨١ - ٧٨٢.

(٣) العراقي، عبد النبي، الكنز المخفي.. دراسة في زيارة عاشوراء: ص ٢١٠.

(٤) المصدر السابق: ص ٢٠٧.

لمعرفة المزور والعلم بمنزلته... وفي هذه الزيارات تكرر نغوت المزور حين السلام عليه، ولا يكتفى بذكر الاسم؛ وذلك لأجل كشف مرتبة المزور لدى الزائر، وليعرف مدى ما تحمّله معشوقه ومحبوبه من مشاق في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، وإقامة الصلاة، وأداء الزكاة، وإحياء الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتلاوة كتاب الله و...»<sup>(١)</sup>.

وتأسيساً على ما تقدّم فإن هذا الثواب كلّ، وهذا الأجر كلّ، وهذه البركة كلّها، وهذا التأكيد كلّ على زيارة الحسين عليه السلام، ليس عملاً شكلياً يفعل الزائر، بالوصول إلى القبر وقراءة النصّ المأثور ثم ينتهي الأمر، بل إنّها تتطلب أموراً مهمّة، تستوجب منه الالتزام بها قرأه في نصّ الزيارة، وما قاله في مقام سيّد الشهداء عليه السلام، سيّد شباب أهل الجنّة، وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، خصوصاً ونحن نعتقد أنّ الإمام عليه السلام يسمع كلامنا، ويردّ سلامنا، ويشهد مقامنا، فالزيارة وفق النصوص الواردة فيها تكون تعهداً بالتمسك والالتزام بها عاهد به الزائر الإمام عليه في حضرته الشريفة، وفي تلك البقعة المباركة التي تحفّها الملائكة.

وبناءً على هذا فالزيارة نصّ عباديّ نتعبّد به إلى الله تعالى بأداء ما ورد فيه من تعاليم تبني شخصية الإنسان المؤمن، وترشده إلى الصراط القويم، وتهديه إلى تعاليم الإسلام العظيم، بل هي تمثّل منهجاً إسلامياً متكامل الأركان في أصوله وفروعه، وفي عقائده وأحكامه، وفي آداب التعامل الاجتماعي وغيرها.

هذا الأمر يتأكد إذا تذكّرنا أنّ نصوص الزيارات لم تكن من إنشاء أيّ شخص، بل إنّ أغلب الزيارات الواردة - إن لم نقل: كلّها - صادرة من الأئمة المعصومين كالباقر، والصادق، والكاظم، والرضا عليهم السلام، وصولاً إلى صاحب العصر والزمان عليه السلام، فهي وثائق نورانية، نلتزم بها ونتمسك بمفاهيمها؛ لأننا أقرنا بها على أنفسنا حين تعبّدنا لله تعالى بها في المشاهد المطهّرة.

(١) الآملي، عبد الله جوادي، أدب فناء المقرّين.. شرح زيارة الجامعة الكبيرة: ج ١، ص ٣٤.

وبالتأكيد أن هذه الزيارات أثراً في مسيرة الثورة الحسينية، وفي إظهار مفهوم الشعائر الحسينية بإعلاء كلمة الله عالياً، ورفض الظلم والظالمين، ورفع كلمة الحق، ونصرة الإسلام العزيز.

ولنتقل إلى نصوص الزيارة لنلاحظ أثرها في إحياء مفهوم الشعائر الحسينية في النقاط الآتية:

### ١. الزيارة تفاعل إيجابي في النفوس

في أكثر نصوص الزيارة نجد دعاء الزائر لنفسه بالتوفيق، والمغفرة، والرحمة، وقد تتعدى لتصل إلى الأمور المادية التي تعينه على قضاء حوائجه كسعة الرزق وغيرها، وهذه الأمور كلها ترك أثراً إيجابياً في نفس الزائر المؤمن، وبالخصوص إذا تفاعل بروحه وقلبه مع هذا النص الذي يقرؤه، فيحاول أن يجسد ما قرأه عملياً بعد أن ينتهي من الزيارة، وبالخصوص إذا عرف أن الإمام عليه السلام حيٌّ يسمعه، ويشهد مقامه، ويزداد هذا الأمر إذا كان عارفاً بمقام الإمام الحسين عليه السلام ودوره في صناعة التاريخ، من خلال الأخبار والروايات الواردة في خصوص زيارته عليه السلام، إضافة إلى أن زيارته هي من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام، فقد روي عنهم عليهم السلام: «إِنَّ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ حَقَّ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَحَقَّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَقَّ فَاطِمَةَ عليها السلام؛ فَلْيَزِرْ الْحُسَيْنَ عليه السلام يَوْمَ عَاشُورَاءَ»<sup>(١)</sup>.

فإذا عرف هذا كله، وعاشه بروحه وقلبه، تنطلق روحه، وتهيم به في عالم العشق الإلهي؛ لتحلّق في سماء المعرفة والعلم والنور، وحينئذٍ يخرج من ذاته لينطلق إلى تصحيح مساره بما ينطبق مع مبادئ الإسلام، ويسعى أن يجسدها قولاً وفعلاً، بعد أن توسّل بالله تعالى أن يوفّقه لها، وهذا هو الهدف الأعلى المراد من الشعائر الحسينية. ونجد هذا المعنى في الأمثلة الآتية من الزيارة:

(١) الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ١٠، ص ٣٧٣.

«اللهم حَبِّبني إلى خلقك، وأفض عليّ من سعة رزقك، ووفّقني للقيام بأداء حقك،  
برحمتك ورضوانك ومنك وإحسانك يا كريم»<sup>(١)</sup>.

«اللهم ثبّتي على محبة أوليائك، ولا تقطع أثري عن زيارتهم، واحشرنِي في زمرتهم،  
وادخلني الجنة بشفاعتهم»<sup>(٢)</sup>.

فإذا ما رُزق الإنسان حبّ الخلائق، وتوسّع رزقه، وتوفّق لأداء حقّ الله تعالى،  
وحقّ رسوله وآل رسوله ﷺ، سوف يعمل على ما يقربه إلى الله، ويزيد في عمله،  
رجاء مغفرته، وجزيل إحسانه؛ لينال رضا الله بشفاعتهم، والحشر في زمرتهم. وهذا  
ما حتّ عليه الإسلام في رسالته الخالدة، وجسّده الإمام الحسين ﷺ الذي خرج  
لنشر رسالة الإسلام الحقيقية.

ويتبيّن هذا الأثر والتفاعل الإيجابي في نصّ آخر من الزيارة بصورة أوضح:  
«انقلبتُ يا سيّدي عنكما تائباً، حامداً لله، شاكراً، راجياً للإجابة، غير آيسٍ، ولا قانطٍ»<sup>(٣)</sup>.

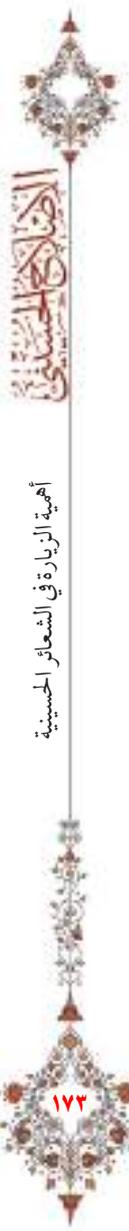
فلنتصوّر ما هو الأثر الطيّب، والإحساس الجميل الذي سيشعر به الزائر الحقيقي  
وهو يقرأ هذا النصّ، ويحاول أن يطبّقه حقيقة على نفسه في حياته العملية، وما يترك  
هذا التفاعل الإيجابي على روحه التي ستتعلّق بالله تعالى أكثر وأكثر، وتجعله يسرح  
في رحاب العشق الإلهي، فالزيارة «ليست مجرد عمل تكريمي، احتفالي، يقوم به إنسان  
حيّ، لتكريم إنسان ميّت، فإنّ الشيعي حين يقوم بالزيارة، يكون قد جدّد صلته بالإسلام  
ككل، وعاهد الله على التمسك به، والحفاظ عليه، وتطبيقه في حياته»<sup>(٤)</sup>، وهذا المعنى  
سيؤدّي إلى إصلاح النفس التي تؤدّي إلى إصلاح المجتمع بالتدرّج، فالنفس هي  
الميدان الأول للإصلاح، فإذا قدر عليها الإنسان كان على غيرها أقدر، وهذا بالتأكيد  
من أهداف ثورة الحسين ﷺ الذي ثار لأجلها، وهو هدف من أهداف الشعائر

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ١٠١، ص ٢٣٢.

(٢) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ص ٤١٨.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتهدّد وسلاح المتعبّد: ص ٧٨٠.

(٤) شمس الدين، محمد مهدي، واقعة كربلاء في الوجدان الشعبي: ص ٦١.



الحسينية؛ إذ ستحوّل بهذا المفهوم إلى مدرسة إلهية لتغيير المجتمع نحو الأحسن انطلاقاً من تغيير الفرد.

## ٢. الزيارة تبعث الجذوة الإيمانية في النفس

هناك كثير من نصوص الزيارات توقد الجذوة الرسالية، وتبعث روح الثورة في نفس الإنسان المؤمن؛ لينطلق حاملاً مشعل الإيمان ضدّ الظلم والظالمين، رافضاً الواقع الفاسد الذي تمرّ به الأمة في كلّ وقت، ليحاول أن يُغيّر ويُصلح، ويجدّد ويُعمّر ما فسد من أمور الدين والدنيا.

فإذا وعى ما يقرأ من نصوص، وتمثّل موقف سيّد الشهداء في رمضاء كربلاء، وهو يسطّر بدمه أروع ملحمة عرفها التاريخ ليس لشيء إلا ليحيي الإسلام الأصيل في النفوس، فإذا وعى المرء هذا كله، وتأصل في نفسه، انطلق ثائراً ضدّ كلّ ظلم وفساد، أينما حلّ وارتحل؛ ومن هنا كان الحسين عليه السلام مثلاً للثائرين في أغلب الثورات حتى عند غير المسلمين، فهذا غاندي ونظراؤه من الثوار غير المسلمين استلهموا من الحسين عليه السلام رفض الظلم والطغيان، وفي تاريخنا الإسلامي كثير من الأمثلة على استلهم روح الثورة من الحسين عليه السلام، كثورة التوابين والمختار الثقفي وغيرهما، وسيبقى هذا الخط يتجدّد كلّ يوم حتى ظهور الحجة المنتظر عليه السلام، الذي سيكون شعاره: (يا لثارات الحسين).

ونحن نلاحظ هذا المعنى في عدد من نصوص الزيارات الواردة؛ إذ جاء فيها على سبيل المثال لا الحصر:

«أشهد أنّك صادقٌ صدّيقٌ، صدقت فيما دعوت إليه، وصدقت فيما أتيت به، وأنك ثار الله في الأرض، من الدّم الذي لا يدرك ثأره من الأرض إلا بأوليائك»<sup>(١)</sup>.

فالزائر المؤمن حين يقرأ هذا النصّ، ويتفاعل معه تعود الجذوة الحسينية إليه،

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٥٨.

وهو يطلب أن يكون ممن يُدرك هذا الثأر مع إمام منصور بالعدل؛ ليأخذ بثأر الحسين الشهيد في تحقيق أهدافه التي ضحى بالغالي والنفيس من أجلها، وهكذا يكون قامعاً للظالمين، ناصراً للمؤمنين، ساعياً لإقامة دولة العدل الإلهي التي سعى إليها كل الأنبياء والمرسلين على طول خطّ الرسالة الإلهية، وهذا ما كان يصبو إليه الحسين الشهيد عليه السلام حين خرج ثائراً بوجه يزيد.

ونقرأ في زيارة أخرى: «أشهد أنك كنت على بينة من ربك، قد بلغت ما أمرت به، وقمت بحقه، وصدقت من كان قبلك، غير واهن ولا موهن، صلى الله عليك وسلم تسليماً، فجزاك الله من صديقي خيراً عن رعيتك. أشهد أن الجهاد معك جهاد، وأن الحق معك وإليك، وأنت أهله ومعدنه، وميراث النبوة عندك وعند أهل بيتك عليهم السلام»<sup>(١)</sup>.

فهذا النص يطلق الدافع النفسي للثورة ضدّ الظالمين ورفضهم؛ لتغيير الواقع الفاسد إلى واقع سليم، وهذا ما كان الحسين عليه السلام يهدف إليه في ثورته المباركة، إذ وقف بين تلك الجموع، وخطب فيهم قائلاً: «أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: من رأى سلطاناً جائراً مُستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مُخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعلٍ ولا قولٍ، كان حقاً على الله أن يدخله مُدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غير...»<sup>(٢)</sup>.

فالزائر حين يتمثّل هذا الموقف وغيره من مواقف الطفّ، وهو يتأمّل هذه النصوص التي تشعّ ثورةً وانتفاضةً، ضدّ الباطل يحاول أن يتأسّى بالحسين عليه السلام، ويقتدي بنهجه، خصوصاً وأنّ الحسين قدوةٌ وأسوةٌ منذ قدم الزمان، فعن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ إسماعيل الذي قال الله عزّ وجلّ في كتابه: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ

(١) المصدر السابق: ص ٣٧٢.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤٠٣.

**صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا** ﴿١﴾، لم يكن إسماعيل بن إبراهيم، بل كان نبياً من الأنبياء بعثه الله ﷻ إلى قومه، فأخذوه، فسلكوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك، فقال: إن الله (جلّ جلاله) بعثني إليك، فمُرني بما شئت. فقال: لي أسوة بما يُصنع بالحسين ﴿٢﴾.

وقد أخبر أمير المؤمنين ﷺ الإمام الحسين ﷺ بأنه الأسوة والقدوة؛ فقد روي عن الإمام الصادق ﷺ أنه قال: «قال علي ﷺ للحسين: يا أبا عبد الله، أسوة أنت قُدماً. فقال ﷺ: جعلت فداك، ما حالي؟ قال ﷺ: علمت ما جهلوا، وسيستفجع عالم بما علم، يا بُني، اسمع وأبصر من قبل أن يأتيك، فوالذي نفسي بيده، ليسفكن بنو أمية دمك، ثم لا يُزيلونك عن دينك، ولا يُسنونك ذكر ربك. فقال الحسين ﷺ: والذي نفسي بيده حسبي، أقررت بما أنزل الله، وأصدق قول نبي الله، ولا أكذب قول أبي» ﴿٣﴾.

ومن النصوص التي تُصعد الروح الثورية للإنسان المؤمن الزائر، ما جاء في إحدى الزيارات لعلي بن الحسين ﷺ: «بأي أنت وأمي من مذبح ومقتول من غير جرم، وبأي أنت وأمي دمك المرتقى به إلى حبيب الله، وبأي أنت وأمي من مُقدم بين يدي أبيك، يحتسبك ويكي عليك، مُحرقاً عليك قلبه، يرفع دمك بكفه إلى أعنان السماء لا ترجع منه قطرة، ولا تسكن عليك من أبيك زفرة، ودّعك للفراق، فمكانكما عند الله مع آبائك الماضين، ومع أمهاتك في الجنان مُنعمين، أبرأ إلى الله ممّن قتلك وذبحك» ﴿٤﴾.

فهذا النص وما فيه من تصوير فني بديع للمصائب التي حدثت على آل الرسول ﷺ تصعد في نفس الموالى الحقيقي روح الثورة ضد من ينتهج أسلوب قتلة الحسين في كل زمان؛ إذ إن قتلة الحسين يتجددون في كل عصر، فالمنهج واحد، والأشخاص متغيرون، وما نراه اليوم من حرب في عدد من بلدان العالم كالعراق، وسوريا، واليمن، ولبنان، ونيجيريا، ضد المنهج الحسيني، هو امتداد لمنهج بني أمية

(١) مريم: آية ٥٤.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج ١، ص ١٣٥-١٣٦.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٥٠.

(٤) المصدر السابق: ص ٤١٥-٤١٦.

في إسكات صوت الحق، ولكن يُريدون ويُريد الله، ويمكرون ويمكر الله، قال تعالى:  
﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي هذه النصوص بُعدٌ سياسي لا يخفى على المتأمل فيها، فهذا البعد الثوري هو ما كان يُقلق الظالمين منذ أيام مقتل الحسين عليه السلام وإلى يومنا هذا؛ لذا نراهم قد حاربوا الحسين عليه السلام وقتلوه، ولم يفهم هذا الأمر فقط، بل ظلّوا يحاربون الحسين عليه السلام وهو في قبره، فمرة يحرثون القبر، ويخفون معامله، وأخرى يمنعون الزائرين، ويقتلونهم، ويقطعون أيديهم وأرجلهم، حتى وصل بهم مستوى الإجرام في عصرنا الحاضر إلى التفخيخ والتفجير، والضرب بالأسلحة الحديثة.

فنداء الحسين عليه السلام باقٍ ومتجدّد عبر العصور، يهزّ عروش الظالمين ما دام المؤمن الموالي يقرأ في الزيارة: «أشهد أنك قتلت مظلوماً، وأن الله مُنجزٌ لكم ما وعدكم، جنتك يا بن أمير المؤمنين وafdأ إليكم، وقلبي مُسلمٌ لكم وتابعٌ، وأنا لكم تابعٌ، ونصرتي لكم مُعدّة، حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين، فمعكم معكم لا مع عدوّكم، إني بكم وبإيابكم من المؤمنين، وبمن خالفكم وقتلكم من الكافرين، قتل الله أمةً قتلتكم بالأيدي والألسن»<sup>(٢)</sup>.

وما دام الزائر يقرأ ويتمثل الموقف: «السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور... فلعن الله أمةً قتلتك، ولعن الله أمةً ظلمتك، ولعن الله أمةً سمعت بذلك فرضيت به»<sup>(٣)</sup>.

«السلام عليك يا حجة الله وابن حجته، السلام عليك يا قتيل الله وابن قتيله، السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره، السلام عليك يا وتر الله الموتور في السماوات والأرض، أشهد أنّ دمك سكن في الخلد، واقتشعرت له أظلة العرش، وبكى له جميع الخلائق، وبكت له

(١) التوبة: آية ٣٢.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ٦، ص ٦٦.

(٣) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المهجّد وسلاح المتعبّد: ص ٧٢٠.

السموات السبع والأرضون السبع، وما فيهنّ وما بينهنّ...»<sup>(١)</sup>.  
 إنّ هذه المضامين - الواردة في الزيارة - كان يتوخّاها الحسين عليه السلام في ثورته، وقد جسّدها بنفسه، فكان الأنموذج الأعلى للتضحية والفداء في تاريخ البشرية؛ إذ ضحّى من أجل مبدئه العظيم، مبدأ الإسلام؛ فإذا تمثّلها الزائر الحقيقي ووعاها بدقّة، ووعى السبب الذي جعل الحسين عليه السلام يضحّي بدمائه الزكية من أجلها، فسوف يحاول أن يسير عليه، ويرفض كلّ ظلم، حتى وإن أدّى به ذلك إلى القتل، أو السجن، أو التشريد، أو غيرها. وقد أبرز لنا التاريخ كثيراً من الأسماء التي سارت على نهج الحسين عليه السلام على الرغم من المصائب التي جرت عليهم، مستمدّين ذلك من شعيرة زيارة الحسين عليه السلام، فكانت هي المحرّك الأساس لتعبئة «الجمهير نفسياً ومادياً لعملية التغيير والتضحية، وهذا ما حدث في كثير من مواسم الزيارات التي كانت الشرارة الأولى لتغيير حكم الطواغيت والجبابة، كما حدث في ثورة التوابين قديماً، وثورة صفر في العراق عام (١٩٧٧م)، وما بينهما، وما بعد ذلك من تاريخ طويل عريض من الثورات والانتفاضات»<sup>(٢)</sup>.

### ٣- الزيارات تعمّق المفاهيم الإسلامية في النفوس

كان الإمام الحسين عليه السلام - كما أسلفنا - يريد تجسيد الإسلام بشكله الحقيقي، فجاهد وقدم نفسه من أجل هذا المبدأ، (والجود بالنفس أقصى غاية الجود).  
 وإذا انتقلنا إلى نصوص الزيارة نرى أنّها تجسّد للواقع الإسلامي الصحيح أصولاً وفروعاً.

ففي أصول الدين وفي البعد التوحيدى يقول الزائر في بداية الزيارة: «الله أكبر كبيراً، وسُبْحان الله بكرةً وأصيلاً»<sup>(٣)</sup>، فيكون مفتاحُ الزيارة توحيد الله تعالى. ونقرأ في

(١) الكليني، محمد بن يعقوب، الأصول من الكافي: ج ٢، ص ٥٧٦.

(٢) الكروي، محمد، الشعائر الحسينية.. آثار ونتائج، مجلة الإصلاح الحسيني: العدد ١٣، ص ٨١.

(٣) المشهدي، محمد بن جعفر، المزار الكبير: ج ٤، ص ٣٠.

نصوص أخرى من الزيارة: «الحمد لله الواحد المتوحد بالأمر كلها، خالق الخلق، ولم يعزب عنه شيء من أمورهم، وعلم كل شيء بغير تعليم... لا إله إلا الله في علمه منتهى علمه، لا إله إلا الله بعد علمه منتهى علمه، لا إله إلا الله مع علمه منتهى علمه... لا إله إلا الله تهليلاً لا يُحصيه غيره، قبل كل أحد، وبعد كل أحد، ومع كل أحد، وعدد كل أحد...»<sup>(١)</sup>.

وفي مقام النبوة نرى تأكيداً كثيراً على نبوة رسول الله ﷺ، فما أن يدخل الزائر في رحاب المشهد الشريف حتى يُصلي على النبي ﷺ، ويشهد له بالرسالة، وفي كثير من نصوص الزيارة - إن لم نقل: كلها - شهادة من الزائر برسالة الرسول: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، «جتتك يا بن رسول الله»، «السلام عليك يا بن رسول الله...». وكذلك الأمر في مقام الإمامة والولاية إذ نقرأ: «وأشهد أنك الإمام البرّ التقي الرضي الزكي الهادي المهدي، وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى، وأعلام الهدى، والعروة الوثقى، والحجة على أهل الدنيا»<sup>(٢)</sup>.

ولعل من نصوص الزيارة ما جمع عدداً من الاعتقادات، فقد ورد في إحدى الزيارات: «اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيداً، فاشهد لي أنني أشهد أنك حق، وأن رسولك حق، وأن قولك حق، وأن قضاءك حق، وأن قدرك حق، وأن فعلك حق، وأن جنتك حق، وأن نارك حق، وأنك مُميت الأحياء، وأنك مُحيي الموتى، وأنك باعث من في القبور، وأنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه، وأنك لا تُخلف الميعاد»<sup>(٣)</sup>.

فهذا النصّ يجمع أصول الدين التي يعتقد بها المؤمن الموالي، وهذا ما كان الحسين عليه السلام يريد من ثورته، إذ كان يوحد الله وهو في ميدان الحرب، وكان يؤمن بقضاء الله وعدله ومعاده، وهو ما يريد منّا ونحن نقوم بالشعائر المقامة باسمه،

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٩٨-٣٩٩.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح التهجد وسلاح المتعبّد: ص ٧٢١.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٠٠.

لنراه عليه السلام وهو في آخر لحظات حياته المباركة يرفع رأسه إلى السماء قائلاً: «صبراً على قضائك يا رب، لا إله سواك، يا غياث المستغيثين، مالي رب سواك، ولا معبود غيرك، صبراً على حُكمك، يا غياث مَنْ لا غياث له، يا دائماً لا نفاذ له، يا مُحيي الموتى، يا قائماً على كلِّ نفسٍ بما كسبت، احكُم بيني وبينهم، وأنت خير الحاكمين»<sup>(١)</sup>.

ففي كلِّ كلمة من كلمات الحسين عليه السلام مدرسة تربوية وعقدية كاملة تُمثل جانباً من جوانب ثورته الإصلاحية، وهذا ما يجب أن نتأمله في كلِّ ممارسة شعائرية نقوم بها؛ لكي يتحقق الهدف الأسمى من الشعائر، وهو إحياء أمر الله تعالى.

هذا في جانب أصول الدين، وهناك جانب آخر في فروع الدين أكّده الزيارات أيضاً: «أشهد أنك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر»<sup>(٢)</sup>، وهذه جملة من فروع الدين التي كان الحسين عليه السلام مثالاً أعلى في تطبيقها. ولا بدّ لنا ونحن نشهد للحسين عليه السلام بهذه الشهادة أن نطبّقها قولاً وفعلاً، ونجسّد لها حقيقة؛ إذ هذه الشهادة لنا وليست للحسين عليه السلام، فيصبح هو عليه السلام شهيداً علينا، وقد استنتج هذا المعنى - من عدّة آيات من القرآن الكريم - آية الله المرحوم الشيخ محمد مهدي الآصفي رحمته الله (ت ١٤٣٦ هـ) في بحث له عن الزيارة، فقال: «فينقلب الزائرون من موقع الشاهد إلى المشهود، وينقلب الذين نقصدهم بالزيارة، ونشهد لهم بالصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والجهاد من موقع المشهود له إلى موقع الشاهد»<sup>(٣)</sup>.

وهذا المعنى أيضاً من تعاليم الإسلام، فالرسول وآله الأطهار عليهم السلام هم شهداء على الأمة، وقد وردت عدّة أحاديث عنهم عليهم السلام أنّهم شهداء على الناس، وأعمال الإنسان تعرض عليهم، فإذا أحسّ الإنسان بهذه الشهادة العظيمة عليه من قبل أعظم الخلق،

(١) المقرّم، عبدالرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٩٧.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٣٧١، وص ٣٧٦، وص ٣٧٨، وص ٣٧٩، وص ٣٨٠، وص ٤٠٢.

(٣) الآصفي، محمد مهدي، في رحاب عاشوراء: ج ٤، ص ٢٣١.

سيسعى إلى تحسين حاله، والالتزام بأوامر الإسلام، وهذا ما أراده الحسين عليه السلام.

وقد كان الحسين عليه السلام يطبق فروع الدين التي وردت في نص الزيارة في ساحة المعركة، فهذا هو يطلب من القوم أن يؤخروا القتال في اليوم التاسع؛ لكي يُصلي لربه، ويقرأ القرآن، ويطلب أن يتوقف القتال أثناء المعركة لكي يؤدي صلواته، وها هو يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويُصرح بهذا الفرع من فروع الدين في أول بيان لثورته المباركة.

ومن فروع الدين الأخرى التي وردت في الزيارة: الولاء والبراءة، وهما من أعظم فروع الدين، فقد ورد التأكيد والحث عليهما في الزيارة، ففي إحدى الزيارات: «أشهد الله وأشهدكم أي مؤمن بكم وبما آمنتُم به، كافرٌ بعدوكم، وبما كفرتم به، مُستبصر بشأنكم وبضلالة من خالفكم، موالٍ لكم ولأولياءكم، مُبغضٌ لأعدائكم، ومُعادٍ لهم، سلمٌ لمن سالككم، [و] حربٌ لمن حاربكم، مُحققٌ لما حققتُم، مُبطلٌ لما أبطلتم»<sup>(١)</sup>.

وفي نص آخر: «اللهم إنا أتينا مؤمنين به، مُسلمين له، مُعتصمين بحبله، عارفين بحقه، مُقرّين بفضله، مُستبصرين بضلالة من خالفه، عارفين بالهدى الذي هو عليه. اللهم إني أشهدك وأشهد من حضر من ملائكتك أي بهم مؤمن، وأني بمن قتلهم كافر»<sup>(٢)</sup>. وفي نص ثالث: «لُعنت أمة قتلتكم، وأمة خالفتكم، وأمة جحدت ولايتكم، وأمة ظهرت عليكم، وأمة شهدت ولم تُستشهد»<sup>(٣)</sup>.

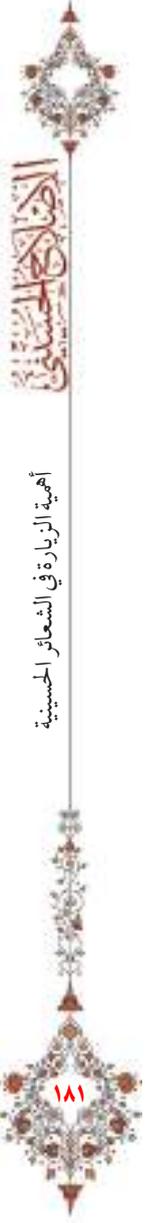
وهكذا يتبين الولاء الذي هو من أساسيات الدين، وتبين البراءة التي هي مكملّة للولاء.

إذاً؛ هكذا تتبين أصول الدين وفروعه في الزيارات وتظهر بأجلى وأوضح صورها، مُبيّنة الإسلام بصورته الحقيقية التي نهض الحسين عليه السلام من أجلها.

(١) الصدوق، محمد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦١٤.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤١٧.

(٣) الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي: ج ٤، ص ٥٧٧.



وبهذا الفهم لشعيرة الزيارة فإنها تكون امتداداً لنهضة الحسين عليه السلام، ومكملة لها، فثورته هي الإسلام، والزيارة توضح معالم الإسلام بمنظومة متكاملة تبين الشريعة والعقيدة والأخلاق، وترسم لنا صورة الحسين الشهيد في ذلك الموقف المهول، فهي وثيقة ربّانية نتعبّد بها إلى الله، ووثيقة تاريخية تُدين بها الظلم والظالمين.

وبهذا الفهم للزيارات نستطيع فهم معنى الروايات الكثيرة الواردة في فضل زيارة الحسين عليه السلام، وأنها تعدل الحجّ والعمرة ...

وقد أجاد العلامة المرحوم الشيخ باقر شريف القرشي رحمته الله (ت ١٤٣٣ هـ) إذ سمّى كتاباً له كتبه في آخر عمره باسم (زيارات الإمام الحسين عليه السلام نصرٌ للإسلام)، وقال فيه: «لقد اهتمّ أئمة الهدى عليهم السلام بزيارة سيّد الشهداء عليه السلام، وذكروا الأجر الجزيل الذي يحظى به الزائر، كما ذكرنا أخبارهم، ولعلّ السبب فيما نحسبه أنّ بقاء الإسلام يبقىاء ذكرى الحسين عليه السلام؛ لأنّ فيها التضحية الخالصة لوجه الله تعالى، وإقامة الإسلام، وأنّ القضاء عليها وعلى مجالس العزاء قضاء على مبدأ أهل البيت عليهم السلام، الذين يمثلون الإسلام بجميع مقوماته»<sup>(١)</sup>.

فإذا وعى الزائر هذه المعاني وغيرها مما احتوتها الزيارات المقدّسة كان زائراً حقيقياً يهدف إلى تخليد ثورة الحسين عليه السلام، والسير على نهجها عملياً، وإذا جسّدها حقاً كان من الذين يُحيون أمر أهل البيت عليهم السلام، ويرفعون مفهوم (شعائر الله)، ويحصلون على تقوى القلوب، ومنّ أحيى هذا الأمر استحقّ دعوة المعصوم عليه السلام: «رحم الله من أحيى أمرنا»<sup>(٢)</sup>، وبذلك يكون من الفائزين في الدنيا والآخرة.

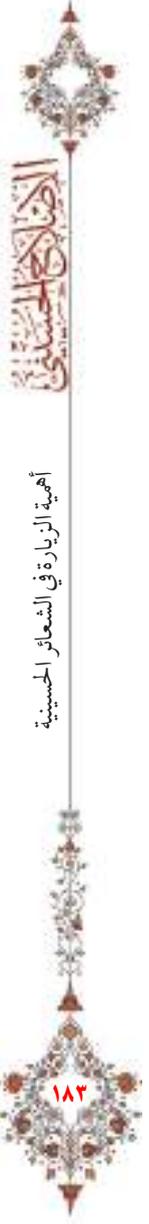
نسأل الله أن يوفّقنا لما يحبّ ويرضى، ويجعلنا وجميع المؤمنين ممّن وعى ثورة الحسين عليه السلام بوعي الإسلام في أصلاته، وحركيته، وواقعيته، وإنسانيته، وممّن يسبّرون

(١) القرشي، باقر شريف، زيارات الإمام الحسين عليه السلام نصرٌ للإسلام: ص ٧٢.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج ١٠، ص ٩٢.

على نهجه، وينظرون إلى كلّ جانب من جوانب الشعائر الحسينية ومنها الزيارة على  
أتمّ امتداد وتخليد لتلك الثورة الخالدة لإحياء الإسلام، ونشر العدل والقسط،  
ورفض الظلم والظالمين، وتربية النفس، والتضحية بكلّ غالٍ ونفيس لأجل المبدأ  
المقدّس.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيّبين  
الطاهرين.





# كَمَّالَاتُ الْحُسَيْنِيَّةِ

◆ الركائز الأساسية لوعي نهضة الإمام الحسين عليه السلام

◆ سيرة ثائر (سليمان بن سرد الخزاعي)

◆ المعنى اللغوي لـ (سكينة): الجارية الخفيفة الروح

◆ مصرع عبد الله الرضيع .. رؤية تحليلية

◆ أثر الشعائر الحسينية في نشر فكر أهل البيت عليهم السلام في القارة الإفريقية (نماذج مختارة)



## الركائز الأساسية لوعي نهضة الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ جميل الربيعي\*

### تمهيد

لا يختلف اثنان أن النهضة الحسينية نهضة إسلامية شكلاً ومضموناً، قلباً وقالباً، في أهدافها ومبادئها وأساليبها وشعاراتها ونتائجها، وجميع منطلقاتها؛ ولذلك لا يمكن لأحدٍ مهماً أوتي من عمقٍ فكري، وغزارة علمية، وقدرة تحليلية، أن يفهم ويعي هذه الحركة الكونية، ما لم يفهم ويعي الإسلام فهماً ووعياً شمولياً أصيلاً بجميع أبعاده العقائدية، أو الحكمية التشريعية، فقد انطلق الحسين عليه السلام للإسلام وبالإسلام، وجسد جميع مبادئه، وأحكامه، وأخلاقياته في كل خطوة خطاها، منذ أن خرج وإلى لحظة استشهادهِ؛ ولذلك بقيَ صوته مدوّياً على طول حركة التاريخ، وسوف يستمر إلى يوم الظهور الشامل للإسلام، وسيطرته على جميع مواقع الحياة، رافعاً راية التوحيد بيد خليفة الحسين عليه السلام بقية الله الأعظم عليه السلام، بل إلى يوم القيامة، يوم يحشر الله الخلائق بين يديه: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾<sup>(١)</sup>.

وتأسيساً على ذلك، لا بدّ أن نحدد الركائز الأساسية لوعي هذه الحركة الإسلامية،

فنذكر منها:

### الركيزة الأولى: الوعي الصحيح للإسلام

لا بدّ من الوعي الصحيح الشامل للإسلام بكل متبنيّاته الفكرية، والعقائدية،

\* باحث وكاتب إسلامي، من العراق.

(١) النجم: آية ٣١.

والحكمة، والأخلاقية السلوكية، وبكل ما تشتمل عليه من تفاصيل تلك الحقائق الأساسية التي تجسدت في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، والأئمة من ذريته الطاهرين ﷺ، فكما لا يمكن أن نطلق صفة الإيثار بكتاب الله على شخص يؤمن ببعضه ويكفر ببعضه الآخر، كذلك لا يمكن أن نطلق صفة الولاء السليم على شخص يؤمن بالحسين ﷺ في جانب من جوانب الولاء، وينكر أو يتجاهل الجوانب الأخرى، سواء كانت على المستوى الفكري، أم العاطفي، فلا يمكن أن يكون التواصل مع الحسين ﷺ تواصلاً سليماً ما لم يشمل جميع جوانب الوعي الإيماني والعملي على مستوى الأفكار، والمفاهيم، والأحكام، بل حتى العواطف من الحب والبغض، والقبول والرفض.

وبناءً على ذلك، إذا أردنا أن نربط المسيرة الإنسانية بمسيرة الإمام الحسين ﷺ؛ ليبقى محرّكاً لعجلة التغيير من الواقع الفاسد إلى الواقع السليم، فلا بد أن نعيد للإنسانية الفهم والوعي الصحيح للإسلام أصالةً، وعمقاً، وشموليةً، وواقعيةً، وإنسانيةً؛ لأن أعداء الإسلام قد بذلوا أقصى جهودهم لتغيير مفهوم الإسلام عن مساره الصحيح، الموافق لكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وأوصيائه المعصومين من بعده ﷺ، حين عجزوا عن مواجهة امتداده بالتصفية الجسدية على طول التاريخ، وأيقنوا أن المواجهة المباشرة بالحرب العسكرية أو المواجهة الفكرية والعلمية مع الإسلام لا تزيد المسلمين إلا إصراراً على التمسك بمبادئه السماوية، وثباتاً على عقائده وأحكامه.

ولذلك انتهجوا مناهج مختلفة لتشويه صورته، منها: دعواهم أنه ليس إلا علاقة فردية بين العبد وربّه، بعيداً عن شؤون الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية؛ ولذلك قالوا: إن الإسلام دين سماوي عبادي قيم، ولكن لا علاقة له بالاقتصاد، والسياسة، والاجتماع، ومن هنا طرحو فكرة عزل الدين عن الدولة، وعن السياسة، وعن الاجتماع، وحبسوه في قمقم محكم؛ ليعيش فيه المسلم منعزلاً، لا شأن له بالعالم

من حوله، وراح أولئك يؤكّدون أنّ الإسلام لا علاقة له بشؤون الحياة الأخرى، وإنما يجب أن تُترك لأهلها العالمين بها، يقول أحد فقهاءنا العظام في ذلك: «رسموا له [أي للإسلام] صورة مشوّهة في أذهان العامّة من الناس، وعرسوها حتى في المجمع العلمية، وكان هدفهم من وراء ذلك إخماد جذوته، وتضييع طابعه الثوري الحيوي، حتى لا يفكّر المسلمون في السعي لتحرير أنفسهم، وتنفيذ أحكام دينهم»<sup>(١)</sup>.

وخلاصة القول: إذا أردنا للمجتمع الإنساني أن يعي نهضة الحسين عليه السلام ليُصلح بها ويتغير بواسطتها - فهي نهضة إصلاح وتغيير، وتركيز لإرادة التغيير والإصلاح في نفوس المسلمين - فلا بدّ أن تُركّز على الفهم السليم للدين والإسلام، وأنّه دين الله الذي أراد إنقاذ البشرية من بؤسها وشقائها، وأنّ «الدين ليس كلمات جامدة ترددها الشفاه، ولا طقوساً تقليدية تؤذيها العضلات، وإتّما هو عقيدة، وكيان، ومنهج في التفكير»<sup>(٢)</sup>، وأنّ الإسلام: «عقيدة معنوية وخلقية، ينبثق عنها نظام كامل للإنسانية، يرسم لها شوطها الواضح المحدّد، ويضع لها هدفاً أعلى في ذلك الشوط، ويعرّفها على مكاسبها منه»<sup>(٣)</sup>.

فإذا وعى المسلم أنّ الإسلام يلامس كلّ جزئيات حياته الفكرية والأخلاقية، والاجتماعية والسياسية، وأنّه حركة في المجتمع تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتنشر مبادئ الحق والعدل والجمال، ونظام ومنهج ينظّم مسيرته في الحياة الدنيا من ساعة مولده في الدنيا إلى ساعة مغادرته لها، بل وما بعد الدنيا أيضاً، حينئذٍ يمكن أن يفهم ويعي نهضة الحسين عليه السلام، ويترسّم كلّ خطواتها، ويعيشها منهجاً تغييرياً وإصلاحياً نابضاً بالحيوية والحركة التي لا تقف متفرّجة على الواقع الفاسد، بل تعمل على تغييره إلى الواقع الأسلم، أو تصعقه صعقة توقظ إحساسه ومشاعره،

(١) الإمام الخميني، روح الله، الحكومة الإسلامية: ص ٨.

(٢) الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية: ص ٣٦٤.

(٣) الصدر، محمد باقر، فلسفتنا: ص ٥٩.

وتبعث فيه روح الثورة والنهوض ضدَّ كلِّ ما يخالف مبادئ الإسلام وأحكامه، ولعلَّ هذا ما أَرادَه الحسين عليه السلام حين خاطبه مروان ودعاه لبيعة يزيد قائلاً: «يا أبا عبد الله، إنِّي لك ناصح، فأطعني تُرشد، فقال الحسين عليه السلام: وما ذاك، قل حتى أسمع؟ فقال مروان: إنِّي أمرُك ببيعة يزيد بن معاوية؛ فإنَّه خيرٌ لك في دينك ودنياك، فقال الحسين عليه السلام: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام، إذ قد بُليت الأُمَّة براعٍ مثل يزيد، ولقد سمعتُ جدِّي رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الخلافة محرمة على آل أبي سفيان»<sup>(١)</sup>.

ونحن نستوحي من ردِّ الحسين عليه السلام على الرجس مروان، حالة الأسى والحزن على ما وصلت إليه الأُمَّة من الفهم المتدنِّي للإسلام؛ لذا نراه يسترجع بحزن عميق، كما أنَّ قوله عليه السلام: «وعلى الإسلام السلام...» يوحي بأنَّ الأُمَّة إذا انحرف فهُمُّها للإسلام، فالخطر يكون محققاً بالإسلام بالذات؛ إذ سيكون في مهب رياح الأهواء السياسية التي تعصف به، ولهذا كان رد الحسين عليه السلام لمروان عنيفاً جداً، إذ قال - حين طال إلحاح مروان عليه -: «ويحك، أتأمرني ببيعة يزيد وهو رجل فاسق؟! لقد قلت شططاً من القول، يا عظيم الزلل، لا ألومك على قولك؛ لأنك اللعين الذي لعنك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنت في صلب أبيك الحكم بن أبي العاص؛ فإنَّ من لعنه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن له، ولا منه [إلا] أن يدعو إلى بيعة يزيد. ثمَّ قال: إليك عني يا عدوَّ الله، فإنَّا أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والحقُّ فينا، وبالحقِّ تنطق ألسنتنا»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يتضح لنا أنَّ الحسين عليه السلام أراد من ثورته إرجاع الأُمَّة إلى أصالة الإسلام المتجسِّدة في الكتاب والسنة، كما أراد أن يوضِّح للأُمَّة أنَّ هؤلاء الذين تستموا عرش الخلافة بالإسلام ليسوا من الإسلام بشيء، فإسلامهم مزيف بعيد عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فمن أراد أن يضع الناس على خطى الحسين عليه السلام ومنهجه، فعليه أن ينهج بهم

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٩٨-٩٩.

(٢) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح: ج ٥، ص ١٧.

منهج الإسلام الحقيقي؛ ليعبروا عن ولائهم تعبيراً حضارياً في تطبيق شعائر الله الحسينية... فلا يمكن للإنسان أن يُعبر عن ولائه لله ولرسوله ﷺ ولأهل البيت ﷺ ما لم يع حقيقة الولاية بكل أبعادها الفكرية، والسياسية، والاجتماعية، ليكون تعبيره صادقاً حين يقف على أرض كربلاء مخاطباً سيّد الشهداء ﷺ وأبنائه الطاهرين: «إني سلمٌ لمن سالمكم، وحربٌ لمن حاربكم، وعدوٌّ لمن عاداكم»<sup>(١)</sup>، ويشعر بمعيتته الصادقة والدائمة والمتواصلة والشاملة حين يقول: «معكم معكم لا مع عدوكم»<sup>(٢)</sup>، تلك المعية التي تربطه برتل النبوة الصاعد من خاتم الرسل إلى آدم (صلوات الله عليهم أجمعين)، وتُشعره أنه حلقة من هذا الرتل النبوي الرسالي، قائلاً: «السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله...»<sup>(٣)</sup>.

وأخيراً، لا يمكن للإنسان أن يعيش هذه الحقائق روحياً وفكرياً وأخلاقياً، إذا لم يع الإسلام وعياً عميقاً شاملاً لجميع جوانب الحياة.

### الركيزة الثانية: إدراك ووعي موقع الإمام الحسين ﷺ في حركة التاريخ الرسالي

حين نتأمل في سيرة الرسول الأكرم ﷺ مع الحسين ﷺ منذ ولادته وفي جميع مراحل حياته، نجد حالات قد تبدو غريبة وعجيبة لمن لم يدرك التخطيط النبوي لمستقبل الرسالة الإسلامية، وتفكير الرسول الأعظم ﷺ ببقائها على أصالتها الإلهية، واستمرارية حركتها على طول خط التاريخ، وترسيخها في أعماق وجدان الإنسانية؛ لتبقى منارةً تهتدي به البشرية إلى يوم القيامة.

فالنبي ﷺ وكذلك أمير المؤمنين ﷺ في تعاملهما مع السبط الشهيد، كأنهما استشرفاً لمستقبل الإسلام، وبقاءه حياً متحرّكاً، نابضاً بالحياة، ومقوماً لمسيرة الإنسانية، وهذا المعنى نستوحيه من السيرة النبوية العطرة، إذا عرفنا أنّ الرسول الأعظم ﷺ وأهل

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، مصباح المتعجب: ص ٧٧٤.

(٢) الشهيد الأوّل، محمد بن مكي، المزار: ص ١٦٥.

(٣) المصدر السابق: ص ١٥٦.

بيته عليه السلام، لا تحركهم العواطف وحسب، فهم في كل حركة لهم وموقف وكلام، إنَّما يقصدون تجسيد الحقائق الإلهية، وتعميق مبادئها في الضمائر الحيَّة، والفطر السليمة، فما معنى أن يبكي النبي صلى الله عليه وآله بكاءً حاراً حين يحتضن الحسين عليه السلام في أول يوم من ولادته، ويدعو على قتلته، ويلعنهم لعناً وبيلاً، وهو النبي الحكيم الذي قال الله تعالى في حقِّه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(١)</sup>، وهل ذلك إلا تنبيه منه صلى الله عليه وآله إلى أهمية هذا الوليد، ودوره الخطير في مستقبل الإسلام.

روى الصدوق رحمته الله عن صفية بنت عبد المطلب أمها قالت: «لما سقط الحسين عليه السلام من بطن أمه، وكنت وليتها، قال النبي صلى الله عليه وآله: يا عمَّة، هلمِّي إليَّ ابني. فقلت: يا رسول الله، إنَّا لم ننظفه بعد. فقال صلى الله عليه وآله: يا عمَّة، أنتِ تنظفينه؟! إنَّ الله تبارك وتعالى قد نظَّفه وطهره»<sup>(٢)</sup>. وفي رواية أخرى أنَّ النبي صلى الله عليه وآله جاء إلى بيت فاطمة عليها السلام، فقال لأسماء بنت عميس: «يا أسماء، هلمِّي ابني. فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأدَّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ووضعها في حجره فبكي، فقالت أسماء: بأبي أنتِ وأمي ممَّ بكائك؟ قال: على ابني هذا. قلت: إنَّه ولد الساعة يا رسول الله! فقال: تقتله الفئة الباغية بعدي، لا أنا لهم الله شفاعتي، ثمَّ قال: يا أسماء، لا تُخبري فاطمة بهذا، فإنَّها قريبة عهد بولادته»<sup>(٣)</sup>.

أقول: ما هو السرُّ في هذا الإجراء من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؟ هل هو مجرد عاطفة أبوية لا غير؟ إنَّ ذلك لا يعقل أن يصدر من سيِّد حكماء البشر، الذي عصمه الله من كل ما ينافي عقيدته وشريعته، أو ليس هذا إلا بياناً لما سوف يقوم به الحسين عليه السلام من دور فعَّال في مستقبل الرسالة الإلهية، وإيضاحاً لدوره العظيم في حركة التاريخ؟!

ولم يكتفِ النبي صلى الله عليه وآله بهذا، بل راح يُبيِّن لأهل بيته ولأصحابه في معظم المناسبات والمواقف، ما سوف يمرُّ به الإمام الحسين عليه السلام من مواقف عظيمة لها الدور الفعَّال في

(١) النجم: آية ٣-٤.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الأمالي: ص ١٩٨-١٩٩.

(٣) الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ٢، ص ٢٩.

حياة رسالته الخالدة، نذكر من هذه المواقف:

ما روته أم المؤمنين أم سلمة، قالت: «كان النبي ﷺ جالساً ذات يوم في بيتي، فقال: لا يدخلن عليّ أحد. فانتظرتُ فدخل الحسين، فسمعت نسيح النبي (صلى الله عليه) وسلم) يبكي، فاطلعتُ، فإذا الحسين في حجره، أو إلى جنبه يمسح رأسه وهو يبكي، فقلت: والله، ما علمت به حتى دخل. فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): إن جبريل كان معنا في البيت، فقال: أتُحبه؟ فقلت: أما من حبّ الدنيا فنعلم. فقال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها: كربلاء، فتناول جبريل من ترابها فأراه النبي (صلى الله عليه وسلم)»<sup>(١)</sup>. وهكذا كان رسول الله ﷺ يقرأ لأصحابه مستقبل الحسين عليه السلام وحركته أينما حلّ، وأينما ارتحل، فقد روى ابن عباس: «لما أتت على الحسين من مولده ستتان كاملتان خرج النبي ﷺ في سفر له، فلما كان في بعض الطريق وقف، فاسترجع ودمعت عيناه، فسُئِلَ عن ذلك، فقال: هذا جبريل يُخبرني عن أرض بشاطئ الفرات يقال لها: كربلاء، يُقتل بها ولدي الحسين ابن فاطمة، فقيل: مَنْ يقتله يا رسول الله؟ فقال: رجل يقال له يزيد، لا بارك الله له في نفسه، وكأني أنظر إلى مصرعه ومدفنه بها، وقد أُهدي برأسه، ووالله ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه. قال: ثم رجع النبي ﷺ من سفره ذلك مغموماً، ثم صعد المنبر فخطب ووعظ، والحسين بن علي بين يديه مع الحسن، قال: فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن، واليسرى على رأس الحسين، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: اللهم، إنّي محمد عبدك ونبيك، وهذان أطايب عترتي، وخيار ذريتي، وأرومتي، ومن أُخلفهم في أمتي، اللهم، وقد أخبرني جبريل بأنّ ولدي هذا مقتول مخذول، اللهم، فبارك له في قتله، واجعله من سادات الشهداء، إنك على كلّ شيء قدير، اللهم، ولا تبارك في قاتله وخاذله. قال: وضعّ الناس في المسجد بالبكاء، فقال النبي ﷺ: أتبكون، ولا تنصرونه! اللهم، فكن أنت له ولياً وناصرًا»<sup>(٢)</sup>.

(١) المتقي الهندي، علي، كنز العمال، ج ١٣، ص ٦٥٦.

(٢) الكوفي، أحمد بن أعثم، الفتوح، ج ٤، ص ٣٢٥.

أقول: ما هذه البركة التي طلبها النبي ﷺ من ربّه؟ وكيف يكون قتل الحسين ﷺ بركة لرسول الله ﷺ؟

لا شك أنّها بركة بقاء الإسلام الذي سقاه الحسين ﷺ بدمه وبتضحياته بكلّ غالٍ ونفيس.

ولهذا بقيت تلك المواقف حيّة نابضة أبد الأبدين، لم يستطع أحدٌ أن يُطفئ هذه الجذوة المباركة، رغم كلّ المحاولات التي بُذلت من قبل دول كبرى، وبكلّ إمكانياتها المالية والإعلامية والفكرية؛ لتُسكت صرخة الحسين ﷺ، وآتى لها ذلك والحسين ﷺ سكن القلوب والضامير، وأصبح قوّة محرّكة تتحدّى الظالمين على طول حركة التاريخ إلى يوم القيامة، تلك هي بركة دم الحسين ﷺ التي صدح بها رسول الله ﷺ على رؤوس الأشهاد.

وما أن رحل رسول الله ﷺ عن هذه الدنيا قاتلاً: «حسين مّي وأنا من حسين»<sup>(١)</sup>، والحسين ﷺ على صدره يودّعه بالدموع الحارة، حتى واصل أمير المؤمنين ﷺ مسيرة رسول الله ﷺ في بيان أهميّة موقع الإمام الحسين ﷺ في مستقبل الإسلام، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: «عن نجّي الحضرمي، أنّه سار مع عليّ عليه السلام - وكان صاحب مطهرته<sup>(٢)</sup> - فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفّين، فنادى عليّ: اصبر أبا عبد الله، اصبر أبا عبد الله، بشط الفرات. قلت: وما ذاك؟ قال: دخلت على النبي ﷺ ذات يوم، وإذا عيناه تذرّفان، قلت: يا نبي الله، أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبريل ﷺ قبلُ، فحدّثني أنّ الحسين يُقتل بشط الفرات. قال: فقال: هل لك أن أشمك من تربته؟ قلت: نعم. قال: فمدّ يده، فقبض قبضةً من تراب، فأعطانيها، فلم أملك عينيّ أن فاضتا. رواه أحمد، وأبو يعلى، والبزار، والطبراني، ورجاله ثقات، ولم ينفرد نجّي بهذا»<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١١٦.

(٢) المطهرة: إناء من الأدم يتخذ لحفظ الماء. أنظر: الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج ٤، ص ١٩.

(٣) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج ٩، ص ١٨٧.

وفي رواية أخرى: «عن شيبان بن محرم - وكان عثمانياً - قال: إني لمع علي عليه السلام إذ أتى كربلاء، فقال: يُقتل بهذا الموضع شهداء ليس مثلهم شهداء إلا شهداء بدر. فقلت: بعض كذباته. وثمَّ رجل حمارٍ ميتٍ، فقلت لغلّامي: خذ رجل هذا الحمار فأوتدها في مقعده وغيّبها، فضرب الدهر ضربة، فلما قُتل الحسين بن علي عليه السلام انطلقتُ ومعني أصحاب لي، فإذا جثة الحسين بن علي عليه السلام على رجلٍ ذلك الحمار، وإذا أصحابه ربضة حوله»<sup>(١)</sup>.

هذا غيظٌ من فيض الروايات التي رُويت في كتب المسلمين من السنة والشيعة، في ذكر واقعة الحسين عليه السلام قبل حدوثها بعدة عقود من الزمن، وما ذكرنا هذه الأحاديث والروايات إلا لبيان حقيقة نهضة الحسين عليه السلام، وأنها نهضة لا تنحصر في مكان ولا زمان، وإثما هي لكل زمان ومكان، وكأتمها مصداق للقول المشهور: «كلَّ يومٍ عاشوراء، وكلَّ أرضٍ كربلاء»<sup>(٢)</sup>.

كلُّ ذلك تأكيدٌ لبيان دور الحسين عليه السلام في حركة التاريخ، ولهذا ينبغي لمن أراد أن يضع الناس على جادة الإسلام الأصيل، الذي تجسّد بالحسين عليه السلام في جميع جوانبه الروحية والفكرية والأخلاقية، أن يُعمّق هذا الموقع في العقول والقلوب والضمائر؛ ليبعث فيها روح الثورة التغييرية والإصلاحية، ذلك ما نعنيه بمعرفة وإدراك موقع الحسين عليه السلام في حركة التاريخ البشري على طول الزمن.

وما أجمل قول سيّد قطب: «فما من شهيد في الأرض تهتز له الجوانح بالحبّ والعطف، وتمفوله القلوب، وتجيّش بالغيرة والفداء كالحسين (رضوان الله عليه)، يستوي في هذا المتشيعون وغير المتشيعين من المسلمين، وكثير من غير المسلمين.

وكم من شهيد ما كان يملك أن ينصر عقيدته ودعوته ولو عاش ألف عام، كما نصرها باستشهاده، وما كان يملك أن يودع القلوب من المعاني الكبيرة، ويحفّز الألوّف

(١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٣، ص ١١١.

(٢) الجلالى، السيّد محمد رضا، الإمام الحسين عليه السلام سماته وسيرته: ص ١٩٩.

إلى الأعمال الكبيرة، بخطبة مثل خطبته الأخيرة التي يكتبها بدمه، فتبقى حافظاً محرّكاً  
للأبناء والأحفاد، وربّما كانت حافظاً محرّكاً لخطى التاريخ كلّ مدى أجيال...»<sup>(١)</sup>.

### الركيزة الثالثة: معرفة سرّ الخلود في نهضة الحسين عليه السلام

لعلّ من أوضح الظواهر التي أبرزتها نهضة الإمام الحسين عليه السلام هي ظاهرة  
الخلود، وبقاء جذوتها وحرارتها متّقدة على طول الزمن لم تبرد أبداً، بل تزداد اتّقاداً  
كلّما تقادم بها الزمن، وهي تصارع قوى الضلال التي تحاول إخماد جذوتها، وصدّد  
إشعاعها، فهي تتصاعد كلّما ازدادت التحدّيات الفكرية والسياسية والاجتماعية،  
هذه التحدّيات التي تقودها دول تمتلك كلّ الإمكانيات المالية والإعلامية، إلّا أنّها  
لم تستطع أن تصدّد التيار الحسيني المتصاعد في جاذبيته للقلوب، إذ يوقد فيها حرارة  
إيمانية تجرف ما يقف أمامها من عقبات، ولعلّ هذا ما أشار إليه الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله  
بقوله: «إنّ لقتل ولدي الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً»<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا ينبغي لنا السعي لإدراك أسرار الخلود والبقاء والاستمرار في هذه  
الحركة الإلهية، ولكن مهما أوتي المفكّر من عمق في التفكير، وقوّة في التحليل، فلن  
يستطيع أن يقف على كلّ أبعادها، وإنّما قد يكتشف بعض أسرارها من خلال التأمل  
في حركتها، وكيفية امتلاكها للقلوب والضائر، وحركتها في شدّ الجماهير بقوة جاذبة  
قد لا تستطيع أن تفلت منها، وهذا ما لا تدركه إلّا العقول الكبيرة الذائبة في حبّ  
الله ورسوله صلّى الله عليه وآله، ولعلّه لهذا كان جواب الحسين عليه السلام عن علّة خروجه - لمّن اعترض  
على مسيرته مشفقاً خائفاً على مصيره من القتل والإبادة - قوله عن رسول الله صلّى الله عليه وآله:  
«فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً»<sup>(٣)</sup>، وعن علّة اصطحابه لنسائه قوله: «إنّ الله قد شاء

(١) سيّد قطب، إبراهيم بن حسين، في ظلال القرآن: ج٧، ص١٨٩-١٩٠.

(٢) البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج١٢، ص٥٥٦.

(٣) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٤٠.

أن يراهنَّ سبايا»<sup>(١)</sup>.

نعتقد - والله العالم - أن الحسين عليه السلام أجاب بهذا الجواب المبهم؛ لأنَّ العقول والقلوب لا تستطيع وعيه واستيعابه، فهو عليه السلام ينظر إلى مستقبل الرسالة الإسلامية في عمق الزمن إلى يوم القيامة، وأمَّا المشفقون فينظرون إلى حياة الإمام أو موته، فكأنَّه يقول لهم: إنَّ الله تعالى أراد بإقدامي على هذه الخطوة الصعبة المستصعبة أن يبعث الحياة في رسالته، ويسقي شجرتها بدمي، وأنا أقف بين حياة الإسلام، وبين حياتي، فحياتي الحقيقية باقية ببقائه، وموته يعني موتي الأبدى، وهذا ما لا يمكن أن أختره، ولعلَّ هذا مدلول قول جدِّه عليه السلام: «حسين منِّي وأنا من حسين»<sup>(٢)</sup>، فرسول الله صلى الله عليه وآله من الحسين عليه السلام؛ لأنَّ دينه بقي حيًّا نابضاً متحرِّكاً بشهادة الحسين وسبي عترته الطاهرة. ولنعد إلى سرِّ خلود هذه النهضة المباركة، فنقول: «أمَّا سرُّ الخلود، فمما لا شكَّ فيه أنَّ المشيئة الإلهية هي التي رسمت هذا المسار، حتى تجلَّت فيها سنن الله بأجل صورها في واقعة الطفِّ، وتجلَّت إرادة الله تعالى فيها: (شاء الله أن يراني قتيلاً) و(إنَّ الله شاء أن يراهنَّ سبايا)؛ ليكون الأنموذج الذي يُقتدى به في الكدح إلى الله»<sup>(٣)</sup>.

أمَّا من الناحية التحليلية، فإنَّ الأمور إمَّا أن تشتمل على الزيف والباطل والضلال، ولكنه مغلف بغلاف من الحقِّ؛ ليُخفي ما فيه من الزيف والباطل، وهذا النوع سرعان ما ينكشف ما فيه من عيوب ونواقص، وحينئذٍ يلفظه الناس، ويرمونه في مزبلة التاريخ، ويُمحى من قاموس حياتهم، ومن ذاكرة التاريخ. وإمَّا أن يكون (الأمر) محدوداً بحدود زمانية، أو بقعة جغرافية محدودة وُلد فيها، فحركته تكون بمقدار تلك الحدود ولا يتعدّها.

وإمَّا أن يكون (الأمر) مشتملاً على الحقيقة كاملة ناصعة مطلقة، لا تحدُّ بحدود

(١) المصدر السابق: ١٢٨.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١١٦.

(٣) الربيعي، جميل، الإمام الحسين عليه السلام شمسٌ لن تغيب: ص ٤٤٠.

الزمان والمكان، ولها ارتباط وثيق بالتكوين العقلي والوجداني للإنسان، فهذه الحقيقة تكون خالدة مع عمر الإنسان، ومسيرتها تبقى تزوّد بالطاقة الحركية والقوة الفكرية، فلا يستطيع الإنسان أن ينفصل عنها... وثورة الحسين عليه السلام من النوع الثالث في قوة مبادئها وشعاراتها، ووسائلها وأهدافها<sup>(١)</sup> المستمدّة من روح الرسالة الإلهية؛ ولذلك ترسّخت في القلوب والضمائر، فهي تُغذيها بروح الوفاء، والتحدّي، والتّضحية، والصبر، والفداء في البأساء والضراء، وهكذا أصبحت معلماً يرشد المسيرة، ويهدّب النفوس، ويظهر القلوب، ويربيّ العواطف، ويولّد الأفكار السليمة... وبذلك أضحت النهضة الحسينية تياراً إسلامياً، ثورياً، حماسياً، متصاعداً لا يتوقف إلا عند حدود الشرع المقدس.

ولعلّ هذا ما أشارت إليه الحوراء زينب عليها السلام، وهي تسير في أصعب مسيرة عرفتها البشرية، انطلقت لتجسّد تلك الحقائق بصواعقها الثورية، وهي واقفة على جسد أخيها الحسين عليه السلام حين مرّوا بها على أجساد الشهداء في ميدان الطفّ، فخاطبت الإمام زين العابدين عليه السلام لتُسمع الحاضرين، ولتوصلها إلى الأجيال القادمة، ولتبقى مناراً يهتدي به الأنام إلى يوم القيامة، قالت عليها السلام: «ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدّي وأبي وإخوتي... لا يجوز عنك ما ترى، فوالله إنّ ذلك لعهد من رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى جدك وأبيك وعمّك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأُمّة، لا تعرفهم فراعنة هذه الأُمّة، وهم معروفون في أهل السماوات، إنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرّقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرّجة، وينصبون لهذا الطفّ علماً لقبر أبيك سيّد الشهداء، لا يُدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كروور الليالي والأيام، وليجتهدنّ أئمّة الكفر، وأشياع الضلالة في محوه وتطميمه، فلا يزداد أثره إلا ظهوراً، وأمره إلا علواً»<sup>(٢)</sup>.

(١) أنظر: المصدر السابق.

(٢) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٤٥.

قالت هذا في ساعة بكت السماء فيها دماً، واهتزت الأرض خشوعاً، وما قلب حجر إلا وُجد تحته دم عبيط كما حدثنا التاريخ الصحيح<sup>(١)</sup>، فإذا حدث كل ذلك في جميع أنحاء الكون، فهل يمكن أن يُمحي من ذاكرة الزمن، ولو بعد آلاف السنين هيهات هيهات!

هذا المعنى الذي نقصده بالخلود والبقاء والاستمرار، ولذا ينبغي أن نعمل على ترسيخه في القلوب والعقول؛ ليبقى قوة تستمد منها الأجيال طاقاتها الحركية، وأفكارها السليمة، وعواطفها المتفجرة، رغم كل ما يمرّ به الموالمون من صعاب ومرارات وعقبات، رافعين شعارات النهضة المتفجرة على طول الزمن، والتي انطلقت على لسان شريكة الحسين عليه السلام في أخرج المواقف، متحدية طاغية الكوفة ابن زياد: «ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتحاجّ وتحاصم، فانظر لمن الفلج يومئذٍ، هبلك أمك يا بن مرجانة»<sup>(٢)</sup>.

وبقيت كلماتها ترن في أذن الزمن حين خاطبت الطاغية يزيد (لعنه الله) قائلة: «فكّد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا نُميت وحيناً، ولا تُدرِك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين»<sup>(٣)</sup>.

ومن خلال تلك المواقف المتفجرة على أيدي ثوار الطفّ، قبل شهادة الحسين عليه السلام وبعدها يتضح لنا أهمية معرفة سر الخلود في واقعة الطفّ، وأهمية التركيز عليه؛ ليبقى حافزاً يربط آخر المسيرة بأولها.

(١) أنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ١٤، ص ٢٢٩-٢٣٠. ابن حجر الهيتمي، أحمد، الصواعق المحرقة: ص ١٩٣.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ٢٠١.

(٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٣٥، ص ١٣٥.

وختاماً: إذا أردنا معرفة قوة النهضة الحسينية، فلا بدّ أن نمرّ على التحديات التي واجهتها من قبل طغاة بني أمية وبني العباس ومن جاء بعدهم إلى اليوم، وما يُحاك لها في كواليس الظلام، ودهاليز الاستخبارات العالمية؛ لتشويه المسيرة، أو احتوائها، أو إيقافها، فلا بدّ من المرور سريعاً على تلك التحديات، ومنها:

١- في العصر الأموي كانت هناك محاولات كبيرة لإطفاء مفعول النهضة، وقد سُخِّرَت لذلك إمكانات الدولة الاقتصادية، والإعلامية، والسياسية، ومن تلك المحاولات محاولة تبرئة رأس النظام الأموي - أعني يزيد بن معاوية - من جريمة قتل الحسين عليه السلام، وإلقاء التبعة على ابن زياد، ولكن الأحداث التاريخية أبطلت تلك الفرية، كما أكدت ذلك المصادر التاريخية، ففي خبر (مسافر بن شريح اليشكري) الذي ورد في أكثر من مصدر تاريخي ما يؤكد ذلك<sup>(١)</sup>.

٢- حاول الإعلام الأموي، وأتباعه من ذلك الحين وإلى اليوم تشويه أهداف النهضة، فراحوا يصوّرون أنّ خروج الحسين عليه السلام إنّما كان لطلب الملك والرئاسة، واختلقوا أكاذيب مفتعلة، كالخبر الذي يُنسب للحسين عليه السلام بأنّه قال لعمر بن سعد: «... وإمّا أن أضع يدي في يد يزيد بن معاوية، فیری فيما بيني وبينه رأيه...»<sup>(٢)</sup>.

ولكن كل الأحداث والوقائع تكذب هذه الفرية الصلعاء، فالطبري نفسه الذي يروي هذه الأكذوبة، يروي عن (عقبة بن سمرعان) - وهو الرجل الذي صحب الحسين عليه السلام من المدينة إلى كربلاء، وسَلِمَ من القتل - أنّه قال: «صحبتُ حسيناً، فخرجتُ معه من المدينة إلى مكّة، ومن مكّة إلى العراق، ولم أفارقه حتى قُتل، وليس من مخاطبته الناس كلمة بالمدينة، ولا بمكة، ولا في الطريق، ولا بالعراق، ولا في عسكر، إلى يوم مقتله، إلّا وقد سمعتها، إلّا والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون؛ من أن

(١) وهو قول عبيد الله بن زياد مخاطباً مسافر بن شريح: «أما قتلي الحسين، فإنّه أشار عليّ يزيد بقتله أو قتلي، فاخترت قتله». ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٤، ص ١٤٠.

(٢) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٣٨٩.

يضع يده في يد يزيد بن معاوية، ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين، ولكنه قال: دعوني فلاذهب في هذه الأرض العريضة حتى ننظر ما يصير أمر الناس»<sup>(١)</sup>، لكنهم مع ذلك لم يدعوه.

٣- حاول الإعلام الأموي إعطاء صورة مشوّهة للثورة وأنصارها، فصوّروهم على أنهم خوارج حرورية، وأتهم خارجون على أحكام الشرع المقدّس، وقد شقّوا عصا المسلمين، وفرّقوا صفوفهم؛ ولذلك فإنّ الإجراء الذي اتّخذ بحقهم هو إجراء شرعي، حتى قيل: «إنّ الحسين قُتل بسيف جدّه»<sup>(٢)</sup>. وزعم أموي آخر أنّه ما خرج إلى الحسين عليه السلام أحد إلا بتأويل، متمسكاً بأحاديث موضوعة منها حديث (عرفجة بن شريح)، حيث يقول: «إنّه ستكون هنات وهنات، فمن أراد أن يفرّق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان، [فقل تعقيباً على ذلك الحديث]: فما خرج الناس إلا بهذا وأمثاله»<sup>(٣)</sup>.

٤- جعلوا يوم العاشر من المحرمّ يوم عيد وسرور وبهجة، وقد وضعوا الأحاديث في فضله، قال الإمام الصادق عليه السلام: «لما قُتل الحسين عليه السلام تقرب الناس بالشام إلى يزيد، فوضعوا له الأخبار، وأخذوا عليها الجوائز من الأموال، فكان ممّا وضعوا له أمر هذا اليوم، وأنّه يوم بركة، ليعدل الناس فيه من الجزع والبكاء، والمصيبة والحزن، إلى الفرح والسرور، والتبرك والاستعداد فيه، حكم الله بيننا وبينهم»<sup>(٤)</sup>.

٥- حاولوا إسقاط القيمة الثورية والسياسية والأخلاقية للثورة ورجالها وأنصارها، من خلال الإقدام على قطع الرؤوس وسحق الأبدان، وسبي الأطفال والنساء،

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٥، ص ٤١٣-٤١٤.

(٢) قال الألوسي: «وأبو بكر بن العربي المالكي (عليه من الله تعالى ما يستحق) أعظم الفرية، فزعم أنّ الحسين قُتل بسيف جدّه (صلى الله عليه وسلّم)، وله من الجهلة موافقون على ذلك، ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾. الألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني: ج ٢٦، ص ٧٣.

(٣) ابن العربي، محمد بن عبد الله، العواصم من القواصم: ص ٢٤٤-٢٤٥.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٤، ص ٢٧٠.

جهلاً منهم بدور هؤلاء في نهضة الطفّ؛ ولكن انقلب السحر على الساحر، فتحوّلت تلك الأفاعيل الإجرامية إلى إدانة تاريخية وأخلاقية لبني أمية، وأما للحسين عليه السلام وأهل بيته، فتحوّلت إلى وثيقة تُدان بها تلك الأعمال المخالفة للعقل والشرع. ٦- هدموا قبر الحسين عليه السلام مرّات متعددة، وقطعوا السدرة التي كانت بجانبه، ففي رواية يحيى بن المغيرة الرازي، قال: «كنت عند جرير بن عبد الحميد إذ جاءه رجل من أهل العراق، فسأله جرير عن خبر الناس، فقال: تركت الرشيد، وقد كرب قبر الحسين عليه السلام، وأمر أن تُقطع السدرة التي فيه، فُقطعت. قال: فرجع جرير يده، فقال: الله أكبر جاءنا فيه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: لعن الله قاطع السدرة ثلاثاً، فلم نقف على معناه حتى الآن؛ لأنّ القصد بقطعه تغيير مصرع الحسين عليه السلام حتى لا يقف الناس على قبره»<sup>(١)</sup>.

وفي سنة (٢٣٦هـ) «أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي عليه السلام، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يُبذّر، ويُسقى موضع قبره، وأن يُمنع الناس من إتيانه، فنادى [عامل صاحب الشرطة] بالناس في تلك الناحية: مَنْ وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسنائه في المُطَبِّق! فهرب الناس، وتركوا زيارته، وخرب وزرع»<sup>(٢)</sup>.

وقد هُدم بأيدٍ يهودية، إذ بعث المتوكل «برجل من أصحابه يقال له: الديزج - وكان يهودياً فأسلم - إلى قبر الحسين عليه السلام، وأمره بكرب قبره ومحوه، وإخراجه كلّ ما حوله، فمضى لذلك وخرب ما حوله، وهدم البناء، وكرب ما حوله نحو مائتي جريب، فلمّا بلغ إلى قبره لم يتقدّم إليه أحد، فأحضر قوماً من اليهود [لعنهم الله] فكربوه، وأجرى الماء حوله، ووكل به مسالح، بين كلّ مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلا أخذوه، ووجّهوا به إليه»<sup>(٣)</sup>.

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، الأمالي: ص ٤٨٤.

(٢) ابن الأثير، علي بن أبي الكرم، الكامل في التاريخ: ج ٧، ص ٥٥.

(٣) أبو الفرج الإصفيهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٤٧٨ - ٤٧٩.

واستمر هذا العمل إلى العصور المتأخرة على أيدي الوهابيين، يقول الشيخ الأمينى رحمته الله في ذلك: «ثم جاء سعود بن عبد العزيز بإيعاز من أبيه، فباغت كربلاء المشرفة، وهاجمها في ذي الحجة صبيحة يوم الغدير سنة (١٢١٦هـ)، فورد عليها على حين غفلة من أهلها ومعه (١٢٠٠)، فأغاروا عليها، ونهبوا ما وصلوا إليه، وأزهقوا النفوس، وهتكوا الحرم، ولم يرقبوا للمؤمنين إلاّ ولا ذمة، وأباحوا القتل فيها ست ساعات من النهار، قُتل فيها سبعة آلاف من العلماء والفضلاء، والأكابر والأشراف، والملوك والسوقة... وقد انتهكوا حرمة رسول الله بتوهين الحرم القدسي، وهُدّ أركانه، ونهب نفائسه»<sup>(١)</sup>.

واستمر هذا العمل على أيدي طغاة العصر، وكان آخرها رميه بالمدافع الثقيلة، بل وقصف كربلاء بالأسلحة الكيماوية من قبل أوباش البعث سنة (١٩٩١م - ١٤١١هـ)<sup>(٢)</sup>.

فلله درُّك يا أبا عبد الله، يخافك الطغاة، وأنت راقد في ضريحك الشريف، تمدنا بالقوة والثبات والاستقامة، ولله درُّ زينب عليها السلام شريكة الحسين بقولها: «وليجهدنَّ أئمة الكفر، وأشياح الضلالة في محوه وتطميمه، فلا يزداد أثره إلاّ ظهوراً، وأمره إلاّ علواً»<sup>(٣)</sup>، فكل الوقائع على طول التاريخ صدّقت هذا القول الشريف.

فيا لله ويا للعجب، كيف صارع الإمام الحسين عليه السلام الباطل في حياته، وبعد شهادته، وهذا هو سرُّ الخلود؛ ولذا على الخطباء والعلماء، والكتّاب المعلمين في مدرسة الحسين عليه السلام، أن يعمّقوا ذلك في الوجدان الجماهيري بكلّ ما أوتوا من قوة في القلم، واللسان، والعقل؛ ليبقى الحسين عليه السلام ثورة في قبره لا تنطفئ ولا تتوقف، بل ولا تنتهي إلى يوم قيام قائم آل محمد عليه السلام، ليشفي صدور المؤمنين.

(١) الأمينى، عبد الحسين، شهداء الفضيلة: ص ٢٩٤.

(٢) أنظر: موقع /almasalah.com/ar/news/70958.

(٣) ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ٤٤٥.

## الركيزة الرابعة: وعي متطلبات الزمان

إنّ التواصل مع حركة الحسين عليه السلام لا يُكتفى فيه بطرح فكرة أو إثارة عاطفة، وإنّما يعني طرح أهداف النهضة الحسينية في كلّ أبعادها الفكرية، والسياسية، والاجتماعية، والتفاعل معها، ولما لم يكن هذا الطرح ترفاً فكرياً، وإنّما هو مواجهة الواقع الاجتماعي في كلّ سلبياته وإيجابياته؛ ولأجل إصلاح السلبيات وتقويم وإسناد الإيجابيات لا بدّ من فهم الواقع الاجتماعي الذي نطرح تلك الأفكار فيه، علماً أنّ هذه الأطروحات لم تكن هدفاً لذاتها، وإنّما هي وسيلة لتغيير هذا الواقع بوصفها علاجاً مستوحى من المنهج الإلهي الذي بذل الحسين عليه السلام كلّ غالٍ ونفيس من أجله.

فمَنْ أراد أن يُصلح المجتمع البشري وفق المنهج الحسيني، لا بدّ أن يعرف طبيعة المجتمع الذي يخاطبه بهذا الفكر النير، من حيث حاجاته الفكرية، وأخلاقياته، وعاداته، وما يدور فيه من تيارات على مختلف الصعد، كما أنّ من الأمور الأساسية كذلك التعرّف بدقة على طبيعة ارتباط الناس بالحسين عليه السلام، وهل هو ارتباط فكري سليم، أم ارتباط عاطفي ناضج، أم ارتباط رسالي يحمل بذور الوعي والحركة والثورة؟ ليستطيع أن يخاطبهم باسم الحسين عليه السلام بما يُثير فيهم العواطف النبيلة والأفكار السليمة، ويفتح من خلالها القلوب على النهضة الإسلامية الحسينية..

ولا شك أنّ فتح القلوب أصعب كثيراً من فتح القلاع والمدن؛ ولذا فمَنْ استطاع أن يفتح القلوب على منهج الحسين عليه السلام استطاع أن يحرك المخاطبين باتجاه نهضة الحسين عليه السلام المستمرة على طول الزمن.

وخلاصة الكلام: أنّ من الركائز الأساسية للثائر الحسيني لا بدّية فهم العصر والزمان، وما فيه من ملابسات وصعوبات وعقبات؛ ليستطيع أن يعالج الأمراض النفسية، والانحرافات الفكرية، والتيارات السياسية، وهذا ما يعبر عنه السيّد الشهيد الصدر بالوعي السياسي، حيث يقول: «ولا بدّ من وعي سياسي صحيح ينبثق عن مفاهيم حقيقية للحياة، ويتبنى القضية الإنسانية الكبرى، ويسعى إلى تحقيقها على

قاعدة تلك المفاهيم، ويدرس مسائل العالم من هذه الزاوية، وعند اكتمال هذا الوعي السياسي في العالم، واكتساحه لكل وعي سياسي آخر، وغزوه لكل مفهوم للحياة لا يندمج بقاعدته الرئيسية، يمكن أن يدخل العالم في حياة جديدة، مشرقة بالنور، عامرة بالسعادة. إن هذا الوعي السياسي العميق هو رسالة الإسلام الحقيقي في العالم، وإن هذه الرسالة المتقدمة هي رسالة الإسلام الخالدة، التي استمدت نظامها الاجتماعي - المختلف عن كل ما عرضناه من أنظمة - من قاعدة فكرية جديدة للحياة والكون»<sup>(١)</sup>.

### الركيزة الخامسة: الهدفية الواضحة والوسيلة الجاذبة

إن وضوح الهدف في أي عمل كان، أمر لا يمكن أن يُستغنى عنه، فما لم يحدد العامل ماذا يريد أن يعمل؟ ولماذا يعمل؟ وكيف يتوصل إلى إنجاز هذا العمل؟ لا يمكن أن ينجز عمله أبداً، فالهدفية الواضحة البناء تضع الإنسان على جادة الصواب، وتجعله يتحرك بدقة واتزان دون تحبط أو تردد؛ ولذلك لا بدّ للمصلح الحسيني أن يعرف لماذا يرتبط بالحسين عليه السلام؟ وكيف يتواصل معه؟ وكيف يشدّ الناس إليه؟ فإذا اتضح له ذلك جيداً استطاع أن يبتكر الوسائل السليمة في التعبير عن إيمانه بخط الرسالة، وولائه لأهل بيت العصمة عليهم السلام، والعكس صحيح.

وتأسيساً على ذلك، ينبغي لكل مصلح أن يختار الأسلوب الأمثل، والوسيلة الأكثر جاذبية، بحيث لا يخرج عن أحكام الشرع المقدّس في كل كلمة يقولها، وكل خطوة يخطوها، وكل مظهر يبرزه، وهذه الخطوات جميعاً برزت في واقعة الطفّ في سلوك الحسين عليه السلام، وأهل بيته وأصحابه، ولعلّ من أهمّ الأمور التي يجب أن تُدرس بدقة وعمق - بناءً على ما تقدّم - هو كيفية انشداد الناس في مختلف مستوياتهم الفكرية والاجتماعية لثورة الحسين عليه السلام؛ لكي نعرف كيف تُوجه هذه الجماهير للتفاعل مع منهج الإصلاح.

نحن نلاحظ بدقة أن ارتباط الناس بالحسين عليه السلام يتنوع بتنوع أفكارهم ومستوياتهم

(١) الصدر، محمد باقر، فلسفتنا: ص ٣٩.

وثقافتهم، فمن الناس مَنْ يرتبط بالحسين عليه السلام طلباً للثواب، ومنهم مَنْ يجده عادات وتقاليد اعتاد عليها، وجرفه العقل الجمعي دون أن يعي من نهضة الحسين عليه السلام شيئاً، ونرى البعض من الناس يندفع بشدة لإقامة هذه الشعائر مع أن سلوكه يتناقض مع منهج الإسلام شكلاً ومضموناً، فارتباطهم بالحسين عليه السلام ارتباط موسمي، فإذا انتهى الموسم الحسيني تخلّى عن جميع لوازمه ومقتضياته الروحية، والفكرية، والأخلاقية، ومن الناس مَنْ يرتبط بالحسين عليه السلام حباً وعاطفة وشوقاً إلى المنهج الذي ضحّى عليه السلام من أجله؛ ولذا تراه الأنموذج الحسيني الأمثل الذي يُذكر بالحسين عليه السلام في سلوكه قبل كلامه، ولعلّ هذا ما أراده الإمام الحسين عليه السلام بقوله: «أحبونا بحبّ الإسلام، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لا ترفعوني فوق حقي، فإنّ الله تعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني رسولاً»<sup>(١)</sup>.

وعلى العكس من هذا الصنف هناك مَنْ يبذل المال والجهد والوقت في إقامة الشعائر الشرعية إلا أنّ سلوكه يعطي مردوداً سلبياً بالنسبة إلى المسيرة الحسينية، ولعلّ هذا ما قصده الإمام زين العابدين عليه السلام بقوله: «أحبونا حبّ الإسلام، فإنّه ما برح بنا حبّكم حتى صار علينا عاراً»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية أخرى: «فما برح بنا حبّكم من غير التقوى حتى صار علينا عاراً»<sup>(٣)</sup>، وفي رواية: «حتى بغضتمونا إلى الناس»<sup>(٤)</sup>.

وخلاصة الكلام: ينبغي لمن يحمل راية الإصلاح الحسيني أن يعرف ماذا يريد؟ ولماذا يريد؟ وكيف يتوصل إلى تحقيق ما يريد؟

وأعلى الأهداف في هذا المنهج هو أن يقصد المصلح الحسيني - وفي جميع المستويات الفكرية، والجهادية، والسياسية، والاجتماعية - وجه الله في كلّ خطوة يخطوها، وفي كلّ كلمة يكتبها أو يقولها، ويجعل رضوان الله تعالى غاية في كلّ عمل يقوم به، وهذا هو منهج الحسين عليه السلام في كلّ حركة تحركها إلى ساعة استشهاده (صلوات الله عليه).

(١) الهيثمي، علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد: ج ٩، ص ٢١.

(٢) ابن شهر آشوب، محمد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج ٣، ص ٣٠٠.

(٣) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة لذوي القربى: ج ٣، ص ١٥٥.

(٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٩، ص ١٢٢.

## الركيزة السادسة: العمل الجاد على نشر المعارف الحسينية

وهذه الركيزة تحتاج إلى تعريف الملاءم بها بدقة وشمولية، ونقصد بالمعارف الحسينية ما أفاضه الله على لسان الحسين عليه السلام من بيانات معرفية، طرحها على كل من التقاهم، وكل موقف جسّد عليه السلام فيه الأخلاق الإسلامية، فإنّ معارف الحسين عليه السلام هي المعارف الإسلامية بكلّ أبعادها العقائدية، والحكومية، والسياسية، والأخلاقية، بل يمكن القول: إنّ الحسين عليه السلام جسّد الإسلام قولاً وفعلًا في أحلك الظروف، وأصعب المواقف، ونكتفي بذكر بعض بياناته التي كان يواصل طرحها على كل من يلتقيه، ونركّز على الجانب العقائدي التوحيدي، الذي طالما ذكّر الناس به وأكد عليه، وجانب التقوى، وأثرها في الإصلاح.

ففي عصر التاسع من عاشوراء، والعطش يفتت كبده وأكباد أهل بيته، وقوى الضلال تزحف إليه، في هذا الموقف الحرج يرفع يديه مناجياً ربّه قائلاً: «اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب، ورجائي في كلّ شدة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك، رغبة منّي إليك عمّن سواك، ففرجته وكشفته، وأنت ولي كلّ نعمة، وصاحب كلّ حسنة، ومنتهى كلّ رغبة»<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الدعاء ركّز عليه السلام دعائم التوحيد، وجسّد روح الانقطاع التام إليه تعالى دون سواه، وتلك هي أمّ المعارف والعمود الفقري للفكر الإسلامي بكلّ أبعاده الفكرية، والروحية، والأخلاقية.

وفي موقف آخر نجده يخاطب الناس بمعارف التوحيد الخالص، فقد خرج على أصحابه - كما روى الإمام الصادق عليه السلام - وقال: «أيها الناس، إنّ الله (جلّ ذكره) ما خلق العباد إلاّ ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه»<sup>(٢)</sup>.

(١) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٦.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، علل الشرائع: ج ١، ص ٩.

وإذا تأملنا في هذا النص نجد أن الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يُركّز روح التوحيد في القلوب، ويرسم خط الوصول إليه، ويوضح النتائج الباهرة فيه، وفي أغلب النصوص التي خاطب فيها أصحابه، أو ردّ على خصومه، كان يُذكر بتوحيد الله، وكأنّه يقول: إن هذه المواقف المتخاذلة هي نتيجة الجهل بحقيقة التوحيد، وعدم نضجه في نفوس المتخاذلين عن نصرته، فتراه في كتابه لِمَن دعاه إلى الخروج يقول: «فلعمري، ما الإمام إلا العامل بالكتاب، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله، والسلام»<sup>(١)</sup>.

ولو تأملنا في قوله: «والحابس نفسه على ذات الله» فقط، لوجدنا أنّه قد وضح جوهر التوحيد، وذكر حقيقته في التقوى بأخصر عبارة وأقصرها. وفي دعاء عرفة نجد من المفاهيم التوحيدية تلك الصور الرائعة التي تأخذ بمجامع القلوب، وتطهرها من رين الذنوب، وتضعها على جادة الصواب، قال عليه السلام: «أنت الذي أشرقت الأنوار في قلوب أوليائك حتى عرفوك ووحدوك، وأنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبائك حتى لم يحبوا سواك، ولم يلجؤوا إلى غيرك، أنت المونس لهم حيث أوحشتهم العوالم، وأنت الذي هديتهم حيث استبانتم لهم المعالم، ماذا وجد من فقدك، وما الذي فقد من وجدك، لقد خاب من رضي دونك بدلاً، ولقد خسر من بغى عنك متحولاً»<sup>(٢)</sup>.

وفي مقطع آخر من مقاطع دعاء عرفة يُعمّق عليه السلام حقيقة التوحيد بوجود الله وظهوره للعقول النيرة، ولطفه للقلوب الزكية، قال عليه السلام: «كيف يُستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عين لا تراك، ولا تزال عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦٢.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٩٥، ص ٢٢٦.

تجعل له من حبك نصيباً»<sup>(١)</sup>.

ولو تأملنا قليلاً في هذا النص لوقفنا على معارف جمّة لا تحدّ بحدود، واسعة بسعة رحمة الله عزّ وجلّ، فما أحوجنا اليوم للتأمل في تلك المعارف.

وكما يركز دعائم التوحيد والعدل، نراه عليه السلام يحذّر من تلبّس بالتوحيد كذباً وزوراً أو خداعاً كالمجبرّة، والمجسّمة، والمشبّهة، فيقول عليه السلام: «أيها الناس، اتقوا هؤلاء المارقة الذين يشبّهون الله بأنفسهم، يضاهاؤون قول الذين كفروا من أهل الكتاب، بل هو الله ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير. استخلص الوجدانية والجبروت، وأمضى المشيئة، والإرادة، والقدرة، والعلم بما هو كائن، لا منازع له في شيء من أمره، ولا كفؤ له يعادله، ولا ضدّ له ينازعه، ولا سميّ له يشابهه، ولا مثل له يشاكله، لا تتداوله الأمور، ولا تجري عليه الأحوال، ولا تنزل عليه الأحداث، ولا يقدر الواصفون كنه عظمته، ولا يختر على القلوب مبلغ جبروته؛ لأنّه ليس له في الأشياء عدل، ولا تدركه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكير بتفكيرهم؛ إلاّ بالتحقيق إيقاناً بالغيب؛ لأنّه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين، وهو الواحد الصمد، ما تصوّر في الأوهام فهو خلافه»<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يواصل (صلوات الله عليه) دعوته إلى تعميق الأسس المبدئية للإسلام في كلّ حركة يتحرّكها، وفي كلّ نفس يتنفسه، يدعو إلى الله وهو في مجالس الظالمين، مخاطباً للوالي الأموي قائلاً: «نحن أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، وقاتل النفس، ومثلي لا يبايع لمثله»<sup>(٣)</sup>.

وفي نص آخر يضع الناس على جادة التقوى، ويوضح لهم أهميتها وأبعادها وآثارها، ويؤكد أنّ السعادة الحقيقية، والنجاة في الدنيا والآخرة لا تتحقق إلاّ بالتقوى والورع عن محارم الله تعالى، فيقول: «أوصيكم بتقوى الله، فإنّ الله قد ضمن

(١) الفيض الكاشاني، محمد محسن، الوافي: ج ١، ص ٤٤٨.

(٢) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ٢٤٤.

(٣) ابن نهار، جعفر بن محمد، مثير الأحران: ص ١٤.

لِمَنْ اتَّقَاهُ أَنْ يُحَوِّلَهُ عَمَّا يَكْرَهُ إِلَىٰ مَا يَحِبُّ، وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ، فَإِنَّكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَخَافُ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَيَأْمَنُ الْعَقُوبَةَ مِنْ ذَنْبِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُجْدِعُ عَنْ جَنَّتِهِ، وَلَا يَنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»<sup>(١)</sup>.

ومن النصوص التي وُضِّحَ فيها (صلوات الله عليه) قيمة التقوى، وسبل الحصول عليها، قوله عليه السلام في دعاء عرفة وعيناه تسيل بالدموع: «اللهم، اجعلني أخشاك كَأَنِّي أُرَاكَ، وَأَسْعِدُنِي بِتَقْوَاكَ، وَلَا تَشْقِنِي بِمَعْصِيَتِكَ»<sup>(٢)</sup>.

ففي هذا النص بَيْنَ عليه السلام أَنْ التَّقْوَى - وهي الكرامة الإلهية العظمى، وميزان التفاضل البشري - لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِخَشْيَةِ اللَّهِ وَحُبِّهِ وَرَجَائِهِ، وَأَنَّ السَّعَادَةَ وَالتَّكَامُلَ الْإِنْسَانِي لَا يَحْصُلَانِ إِلَّا بِهَا.

ومن النصوص الرائعة التي جُمِعَ فيها جميع أبعاد نهضته، وأكد الحقيقة المعرفية التي تحرك من أجلها، ووضّح بكلِّ غَالٍ وَنَفِيسٍ لِأَجْلِ تَحْقِيقِهَا، وَأَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ لِإِنْفَاسِ طُلَّابِ الْحُكْمِ، أَوْ يَصَارِعَ لِأَجْلِ الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا كَانَ هَدَفُهُ إِعْلَاءَ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَإِظْهَارَ الْحَقِّ، وَدَحْضَ الْبَاطِلِ، فيقول مناجياً ربه: «اللهم، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنَّا تَنَافُسًا فِي سُلْطَانٍ، وَلَا تَتَمَسَّأَ مِنْ فَضُولِ الْحَطَامِ، وَلَكِنْ لِنُرِي الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ، وَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَيُعْمَلَ بِفَرَائِضِكَ وَسُنَنِكَ وَأَحْكَامِكَ، فَإِنْ لَمْ تَنْصُرْنَا وَتَنْصِفْنَا قَوِي الظلمة عليكم، وعملوا في إطفاء نور نبيكم، وحسبنا الله، وعليه توكلنا، وإليه أنبنا، وإليه المصير»<sup>(٣)</sup>.

وكما كان يركّز في النفوس دعائم الحق والعدل، كان يوضح الصفات والخلال التي يتحلّى فيها المؤمن، فيقول: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ اتَّخَذَ اللَّهُ عَصْمَتَهُ، وَقَوْلُهُ مِرْآةً، فَمِرَّةٌ يَنْظُرُ فِي نَعْتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَارَةً يَنْظُرُ فِي وَصْفِ الْمُتَجَبَّرِينَ، فَهُوَ مِنْهُ فِي لَطَائِفٍ، وَمِنْ نَفْسِهِ فِي

(١) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ٢٤٠.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، إقبال الأعمال: ج ٢، ص ٧٨.

(٣) ابن شعبة الحراني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص ٢٣٩.

تعارف، ومن فطنته في يقين، ومن قدسه على تمكين»<sup>(١)</sup>.

ومن روائع معارفه هو جوابه لرجل سأله أن يعظه، فأجابه: «من حاول أمراً بمعصية الله، كان أفوت لما يرجو، وأسرع لما يجذر»<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا النص الشريف يعالج عليه السلام مرضاً من أمراض النفوس، وهو مرض التبرير الذي طالما وقع فيه كثيرون، وخسر كثير منهم حياتهم الروحية، والفكرية، والأخلاقية، حين برّروا قعودهم عن نصره الحق وأهله، وعلّلوا عصيانهم ومخالفاتهم، حتى جرّهم إلى التنازل عن كثير من مبادئهم، والانجرار وراء أهوائهم، فصاروا يحاولون أن يوفّقوا بين شخصيتين في ذاتهم؛ شخصية المتدين الملتزم، وشخصية الخاضع لشهواته، وهذا ما يُعبر عنه: (ازدواج الشخصية)، ومن المعلوم أنّ الإنسان المزدوج الشخصية هو «الذي تعيش في نفسه قوى متصارعة، ليس لأحدها الغلبة على الأخرى، هو هذا الإنسان الذي ساعة لربه، وأخرى لقلبه، ويمارس في الساعة التي لقلبه ألواناً من الفجور، والمحارم، والشبهات، هو هذا الإنسان ذو العاطفة الدينية التي تستنفر في لحظات خاصة... فعن طريق الخداع، خداع الذات والتبرير، يستطيع أن يقضي هذا الإنسان على الصراع النفسي بين قوتين نفسيّتين، ودافعين متقاربين في درجة التآصل في النفس، إذ تتحايل إحدى القوتين - وهي هنا القوة الشهوية - على القوة الأخرى، وتحقق له راحة التوافق، والانسجام الداخلي، وتجنبه آلام الصراع والتناحر الذاتي»<sup>(٣)</sup>.

ولذا نجد في بعض الأحاديث المروية عنه عليه السلام دلائل حق ونجاة، تضع الناس على جادة الحق، وتقودهم إلى ساحل النجاة، فقد ورد عن كتاب (أسرار الحكماء) لياقوت المستعصمي: «لا تتكلّف ما لا تطيق، ولا تتعرّض لما لا تُدرِك، ولا تعتد بما لا تقدر عليه، ولا تنفق إلاّ بقدر ما تستفيد، ولا تطلب من الجزاء إلاّ بقدر ما صنعت، ولا

(١) المصدر السابق: ص ٢٤٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) معن، حسن، نظرات حول الإعداد الروحي: ص ٢١٨-٢٢٠.

تفرح إلا بما نلت من طاعة الله، ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك له أهلاً»<sup>(١)</sup>.  
 هذه شذرات من المعارف الإلهية التي صدرت عن الإمام الحسين عليه السلام تُنبئ عن  
 أهمية المعرفة في حركة الإصلاح والتغيير.  
 وختاماً نقول: إنَّ مما يُؤسف له أن هذه المعارف قد وضعت على الرفوف في بطون  
 الكتب، ولا تكاد تذكر إلا أقل من القليل، وهذا ما يجعل ارتباط كثير من الناس  
 بمنهج الحسين عليه السلام عملية انجذاب عاطفي في أكثر الأحيان، خالياً من المحتوى  
 الرسالي، مع أنه قد ورد عنهم عليهم السلام في رواية عن جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن  
 علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام، قال: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله،  
 أوصى إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان فيما أوصى به أن قال له: يا علي، مَنْ  
 حفظ من أمتي أربعين حديثاً يطلب بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة، حشره الله يوم  
 القيامة مع النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً»<sup>(٢)</sup>.  
 إذن، إذا أردنا تحريك عجلة الإصلاح الحسيني، فعلينا نشر المعارف الحسينية،  
 وتركيزها في الأذهان، وتمثيلها في السلوك.

(١) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ١، ص ٦٢١، نقلاً عن المستعصي، ياقوت، أسرار الحكماء.

(٢) الصدوق، محمد بن علي، الخصال: ج ٢، ص ٥٤٣.

## سيرة تائر سليمان بن صرد الخزاعي

السيد محمد الشوكي\*

فجرت ثورة الإمام الحسين عليه السلام بركاناً ثورياً عارماً في الأمة، فبدأت الثورات تتوالى بعدها كما تتوالى الارتدادات بعد الهزات الأرضية الشديدة، فكأنّ ثورته عليه السلام كانت صيحة أيقظت الأمة من سبات طويل، ودفعتها لتتحرك باتجاه التمرد على النظام الأموي الجائر.

لقد كان للقيم التي حملها الحسين عليه السلام، ورفها شعاراً، وجسدها بمواقفه في الطفوف، أثر كبير في ذلك، يوازيها في التأثير المأساة التي حدثت في كربلاء، فهزّت الضمير الإسلامي هزاً عنيفاً تفجّر عبر ثورات عديدة، كانت منها ثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي.

لقد برز اسم سليمان بن صرد الخزاعي بروزاً واضحاً من خلال ثورة التوابين، غير أنه لم يكن خافياً قبل ذلك، بل نلمحه في كثير من المواقف والمنعطفات التي مرّت بها الكوفة في تاريخها المثير.

هذه المقالة هي محاولة لتسليط الضوء على هذه الشخصية الثورية التي لا تخلو من الجدل في صفوف الدارسين للتاريخ.

### الهوية الشخصية

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: «سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون بن منقذ ابن ربيعة بن أصرم الخزاعي.. يكتنى أبا مطرف. كان خيراً فاضلاً له دين وعبادة، كان

\* خطيب وباحث إسلامي، من العراق.

اسمه في الجاهلية يساراً، فسماه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سليمان، سكن الكوفة، وابتنى داراً في خزاعة، وكان نزوله بها في أول ما نزلها المسلمون، وكان له سن عالية وشرف وقدر وكلمة في قومه. شهد مع علي صفين، وهو الذي قتل حوشباً ذا ظليم الألهاني بصفين مبارزة.

وكان فيمن كتب إلى الحسين بن علي عليه السلام يسأله القدوم إلى الكوفة، فلما قدمها ترك القتال معه، فلما قُتل الحسين ندم هو والمسيب بن نجبة الفزاري وجميع من خذله؛ إذ لم يقاتلوا معه، ثم قالوا: ما لنا من توبة مما فعلنا إلا أن نقتل أنفسنا في الطلب بدمه. فخرجوا فعسكروا بالنخيلة، وذلك مستهل ربيع الآخر سنة خمس وستين، وولّوا أمرهم سليمان بن صرد، وسمّوه: أمير التوايين، ثم ساروا إلى عبيد الله بن زياد، فلحقوا مقدمته في أربعة آلاف عليها شربيل بن ذي الكلاع، فاقتتلوا، فقتل سليمان بن صرد والمسيب بن نجبة بموضع يقال له: عين الوردة.

وقيل: إنهم خرجوا إلى الشام في الطلب بدم الحسين عليه السلام، فسّموا التوايين، وكانوا أربعة آلاف، فقتل سليمان بن صرد، رماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم فقتله، وحمل رأسه ورأس المسيب بن نجبة إلى مروان بن الحكم أدهم بن محيرز الباهلي، وكان سليمان يوم قُتل ابن ثلاث وتسعين سنة<sup>(١)</sup>.

### صحبته

المعروف بين المؤرخين وأصحاب التراجم أنه من الصحابة، وقد نصّ غير واحد على صحبته، غير أن السيد الخوئي رحمته الله ذهب إلى أنه من التابعين، قائلاً: «ثم إن ما ذكره الشيخ من كون سليمان بن صرد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلعله مأخوذ من كتب العامة، وإلا فقد صرح الفضل بن شاذان بأنه من التابعين»<sup>(٢)</sup>.

غير أنه لا يمكن الجزم باستفادة ذلك من كلام الفضل بن شاذان، فعبارته هي:

(١) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج ٢، ص ٦٤٩-٦٥٠.

(٢) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج ٩، ص ٢٨٤.

«فمن التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم جندب بن زهير قاتل الساحر، وعبد الله بن بديل، وحجر بن عدي، وسليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، وعلقمة، والأشتر، وسعد ابن قيس، وأشباههم، أفناهم الحرب ثم كثروا بعد، حتى قُتلوا مع الحسين عليه السلام وبعده»<sup>(١)</sup>.  
 فيمكن أن لا يريد من التابعين المصطلح المعروف في ترتيب الطبقات، وإنما مَنْ تابع علياً عليه السلام وشايعه، كيف وعبد الله بن بديل المذكور في العبارة السابقة من الصحابة المتفق على صحبتهم، وقد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، وهذا هو ما تبناه السيد الخوئي رحمته الله في موضع آخر في ترجمته لعبد الله بن بديل، فقال: «الظاهر أن الفضل أراد بقوله: ومن التابعين.. مَنْ تابع علياً وشايعه، والقرينة على ذلك قوله: أفناهم الحرب حتى قُتلوا مع الحسين عليه السلام وبعده، وإلا فهو من الصحابة كما ذكره الشيخ رحمته الله»<sup>(٢)</sup>.  
 لم يذكر المؤرخون سنة إسلامه، ولكن يظهر من بعض الأخبار أنه كان حاضراً في معركة الأحزاب، وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا»<sup>(٣)</sup>، وكانت غزوة الأحزاب في السنة الخامسة للهجرة، مما يدل على أنه كان قد أسلم قبلها.

### تشيّعه

نصّ غير واحد من المؤرخين وأصحاب التراجم على تشيّعه، قال الذهبي: «من شيعة علي، ومن كبار أصحابه»<sup>(٤)</sup>.

وقد وصفه رفاعة بن شدّاد بأنه «شيخ الشيعة، وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم»<sup>(٥)</sup>.  
 وقد ورد في الكتاب الذي كتبه الشيعة إلى الإمام الحسين عليه السلام وكتب بأمر سليمان:

(١) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال النجاشي): ج ١، ص ٢٨٦.

(٢) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج ١١، ص ١٢٦.

(٣) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري: ج ٥، ص ٤٨. الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج ٨، ص ١٣٦.

(٤) الذهبي، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، تاريخ الإسلام: ج ٥، ص ٤٦.

(٥) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٤٢٧.

«من سليمان بن صرد، والمسيّب بن نجبة، وحبیب بن مظاهر، ورفاعة بن شدّاد، وعبد الله بن وال، وجماعة شيعته من المؤمنين»<sup>(١)</sup>.

وقال الشيخ المفيد رحمته الله: «ومن يلحق منهم بالذكر من أوليائهم وعلية شيعتهم وأهل الفضل في الدين والإيمان والعلم والفقه والقرآن، المنقطعين إلى الله تعالى بالعبادة والجهاد والتمسك بحقائق الإيمان: محمد بن أبي بكر ربيب أمير المؤمنين عليه السلام وحببيه، ومحمد بن أبي حذيفة... وسليمان بن صرد الخزاعي»<sup>(٢)</sup>.

وقال السيد شرف الدين رحمته الله في المراجعات: «سليمان بن صرد الخزاعي الكوفي، كبير شيعة العراق في أيامه، وصاحب رأيهم ومشورتهم»<sup>(٣)</sup>.  
وقال السيد الخوئي رحمته الله: «أقول: لا ينبغي الإشكال في جلالة سليمان بن صرد وعظمته؛ لشهادة الفضل بن شاذان بذلك»<sup>(٤)</sup>.

### بيعته لأمر المؤمنين عليه السلام

ينقل الشيخ المفيد رحمته الله أن سليمان بن صرد الخزاعي كان في المدينة بعد مقتل عثمان ابن عفان وبيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وبايع أمير المؤمنين عليه السلام في جملة المبايعين، فذكر رحمته الله جملة من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وذكر فيهم سليمان بن صرد، وقال بعد ذكر أسمائهم: «وأطبّقوا على الرضا بأمر المؤمنين عليه السلام، فبايعوه على حرب من حارب، وسلم من سالم، وأن لا يولوا في نصرته الأدبار»<sup>(٥)</sup>.

### موقفه في حرب الجمل

ذكر نصر بن مزاحم في كتابه (وقعة صفين) أن سليمان بن صرد الخزاعي كان من المتخلفين عن جبهة أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل، وأنه لما رجع عليه السلام من البصرة

(١) الكوفي، ابن أعثم، أحمد، كتاب الفتوح: ج ٥، ص ٢٨.

(٢) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الجمل: ص ٥٢.

(٣) شرف الدين، عبد الحسين، المراجعات: ص ١٣٠.

(٤) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج ٩، ص ٢٨٤.

(٥) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الجمل: ص ٥٢.

جاء إليه سليمان معتذراً، فأثبه عليه السلام على تخلفه، قال: «عن سيف، قال: حدثني إسماعيل ابن أبي عميرة، عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود، أن سليمان بن صرد الخزاعي دخل على علي بن أبي طالب بعد رجوعه من البصرة، فعاتبه وعذله، وقال له: ارتبت وتربّصت وراوغت، وقد كنت من أوثق الناس في نفسي، وأسرعهم فيما أظن إلى نصرتي، فما قعد بك عن أهل بيت نبيك؟ وما زهدك في نصرتهم؟

فقال: يا أمير المؤمنين، لا تردنّ الأمور على أعقابها، ولا تؤنّبني بما مضى منها، واستبق مودّتي تخلص لك نصيحتي، فقد بقيت أمور تعرف فيها عدوك من وليك، فسكت عنه. وجلس سليمان قليلاً، ثم نهض، فخرج إلى الحسن بن علي وهو قاعد في باب المسجد، فقال: ألا أعجبك من أمير المؤمنين وما لقيت منه من التوبيخ والتبكيك؟ فقال له الحسن: إنما يعاتب من تُرجى مودّته ونصيحته. فقال: إنه قد بقيت أمور سيستوسق فيها القنا، وتنتضى فيها السيوف، ويحتاج فيها إلى أشباهي، فلا تستغشوا عتبي، ولا تتهموا نصحي، فقال الحسن: رحمك الله، ما أنت عندنا بضنين»<sup>(١)</sup>.

غير أن السيد الخوئي رحمته الله يشكك في رواية نصر هذه التي تضمنت توبيخ أمير المؤمنين عليه السلام له، ويقول: «فإن ما روي عن كتاب صفين لنصر بن مزاحم عن أبي عبد الله سيف بن عمر عن إسماعيل بن أبي عمرة عن عبد الرحمن بن عبيد بن أبي الكنود، من عتاب أمير المؤمنين عليه السلام، وعذله سليمان بن صرد في قعوده عن نصرته بعد رجوعه عليه السلام من حرب الجمل لا يمكن تصديقه؛ لأن عدة من رواه لم تثبت وثاقتهم، على أنه لم يثبت كون هذا الكتاب عن نصر بن مزاحم بطريق معتبر، فلعلّ القصة مكذوبة عليه، كما احتمله الشيخ عليه السلام»<sup>(٢)</sup>.

بالإضافة إلى أنه يرويه عن سيف، وسيف بن عمر من الوضّاعين المعروفين،

(١) المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ص ٧.

(٢) الخوئي، أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ج ٩، ص ٢٨٤.

وموقفه سلبي وواضح تجاه شيعة أهل البيت عليهم السلام.

غير أنه رغم عدم تصديقه لرواية نصر وما ورد فيها من توبيخ لسليمان قد حكم عليه السلام بأن تخلفه عن حرب الجمل ثابت، معذراً له ببعض الأعذار، يقول: «وأما تخلفه عن أمير المؤمنين عليه السلام في وقعة الجمل فهو ثابت، ولعل ذلك كان لعذر أو بأمر من أمير المؤمنين عليه السلام»<sup>(١)</sup>.

ولعل مستنده في ذلك هو قول الشيخ الطوسي عليه السلام، إذ قال: «سليمان بن سرد الخزاعي المتخلف عنه يوم الجمل، المروي عن الحسن أو المروي على لسانه كذباً في عذره في التخلف»<sup>(٢)</sup>.

وقول الشيخ الطوسي عليه السلام: «المروي عن الحسن، أو المروي على لسانه كذباً» ربما إشارة إلى ما رواه نصر بن مزاحم في النص المتقدم، وربما إشارة إلى ما رواه الزمخشري في غريب الحديث عن سليمان بن سرد: «أتيت علياً حين فرغ من مرحى الجمل، فلما رأي قال: تزحزحت وتربصت وتناأأت، فكيف رأيت الله صنع؟! فقلت: يا أمير المؤمنين إن الشأ وبطين، وقد بقي من الأمور ما تعرف به صديقك من عدوك. فلما قام قلت للحسن: ما أغنيت عني شيئاً؟ قال: هو يقول لك الآن هذا، وقد قال لي يوم التقى الناس ومشى بعضهم إلى بعض: ما ظنك بامرئ جمع بين هذين الغارين ما أرى بعد هذا خيراً»<sup>(٣)</sup>، أي: إنه يعاتبك على عدم حضور الحرب، وهو كان نادماً على مواجهة أصحاب الجمل، ويرى أنه لن يرى خيراً بسبب جمعه بين الغارين (الجيشين) في هذه الحرب.. وهذا لا يصحّ أبداً، وهو مكذوب على لسان الحسن عليه السلام.

غير أن مؤرخين آخرين نصّوا على حضوره حرب الجمل مع أمير المؤمنين عليه السلام، يقول ابن سعد في الطبقات: «وكانت له سن عالية وشرف في قومه، فلما قبض النبي

(١) المصدر السابق.

(٢) الطوسي، محمد بن الحسن، رجال الشيخ الطوسي: ص ٦٦.

(٣) الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، الفايق في غريب الحديث: ج ٢، ص ٢٩.

(صلى الله عليه وسلم) تحوّل فنزل الكوفة حين نزلها المسلمون، وشهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام الجمل وصفين<sup>(١)</sup>، وقال عنه ابن الأثير: «وشهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام مشاهده كلّها وهو الذي قتل حوشباً ذا ظليم الألهاني بصفين مبارزة»<sup>(٢)</sup>، وقال الشيخ المفيد عليه السلام في كتاب الجمل بعد ذكر جملة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام الذين بايعوه، وفي جملتهم سليمان بن صرد الخزاعي: «وحضروا مشاهده كلّها لا يتأخر عنه منهم أحد، حتى مضى الشهيد منهم على نصرته، وبقي المتأخر منهم على حجّته»<sup>(٣)</sup>.

### في حرب صفين

نصّ أكثر الذين ترجموا له على حضوره معركة صفين، ويظهر من بعض النصوص أنّه كان أحد قادتها، وكان على ميمنة الرّجال في جيش أمير المؤمنين عليه السلام، قال نصر: «عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن محمد بن علي وزيد بن حسن ومحمد بن عبد المطلب: أن علياً عليه السلام ومعاوية عقدا الألوية وأمر الأُمراء وكتبوا الكتائب، واستعمل علي على الخيل عمار بن ياسر، وعلى الرّجال عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي، ودفع اللواء إلى هاشم ابن عتبة بن أبي وقاص الزهري، وجعل على الميمنة الأشعث بن قيس، وعلى الميسرة عبد الله بن العباس، وجعل على رّجال الميمنة سليمان بن صرد الخزاعي، وعلى رّجال الميسرة الحارث بن مرّة العبدي»<sup>(٤)</sup>.

ويبدو أنه أبلى بلاءً حسناً فيها، وقتل أحد أبرز قادة جيش معاوية، قال نصر: «ثم إنّ حوشباً ذا ظليم، وهو يومئذ سيد أهل اليمن، أقبل في جمعه وصاحب لوائه يقول:

(١) ابن سعد، أبو عبد الله محمد، الطبقات الكبرى: ج ٤، ص ٢٩٢.

(٢) الجزري، ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة: ج ٢، ص ٣٥١.

(٣) المفيد، محمد بن محمد بن النعمان، الجمل: ص ٥٢.

(٤) المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ص ٢٠٥. الدينوري، أبو حنيفة، أحمد بن داوود، الأخبار

الطوال: ص ١٧١.

نحن اليمانون ومنا حوشب      ذا ظليم أين منا المهرب  
 فينا الصفيح والقنا الملعب      والخيل أمثال الوشيح شزب  
 إن العراق حبلها مذذب      إن علياً فيكم محب  
 في قتل عثمان وكل مذنب

فحمل عليه سليمان بن صرد الخزاعي وهو يقول:

يا لك يوماً كاسفاً عصبصبا      يا لك يوماً لا يوارى كوكبا  
 يا أيها الحي الذي تذبذبا      لسنا نخاف ذا ظليم حوشبا  
 لأنّ فينا بطلاً مجربا      ابن بديل كاهزبر مغضبا  
 أمسى علي عندنا محببا      نفديه بالأم ولا نبقي أبا  
 فطعنه وقتله»<sup>(١)</sup>.

وروى نصر أنه بعد أن كتبت صحيفة التحكيم في صفين جاء سليمان بن صرد الخزاعي إلى أمير المؤمنين عليه السلام ووجهه مضروب بالسيف، فلما نظر إليه علي قال: «فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً، فأنت ممن ينتظر ومن لم يبدل. فقال: يا أمير المؤمنين، أما لو وجدت أعواناً ما كتبت هذه الصحيفة أبداً، أما والله لقد مشيت في الناس ليعودوا إلى أمرهم الأول، فما وجدت أحداً عنده خير إلا قليلاً»<sup>(٢)</sup>.  
 ويظهر من بعض المؤرخين أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ولّاه على الجبل<sup>(٣)</sup>.

### موقفه من الإمام الحسن عليه السلام

روى الخنصبي في الهداية في حديث طويل أنّ الإمام الحسن عليه السلام بعد أن استشهد

(١) المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ص ٤٠٠-٤٠١. الكوفي، ابن الأثير، أحمد، كتاب الفتوح: ج ٣، ص ١٢٣.

(٢) المنقري، نصر بن مزاحم، وقعة صفين: ص ٥١٩.

(٣) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، أنساب الأشراف: ج ٢، ص ٣٩٣.

أمير المؤمنين عليه السلام وبايعه الناس خليفة من بعد أبيه سعد المنبر وخطب بالناس، ثم طلب منهم أن يجيئوه، فلم يجبه منهم إلا عشرون رجلاً، عدّ منهم سليمان بن سرد الخزاعي، قاموا فقالوا: «يا بن رسول الله، ما نملك غير سيوفنا وأنفسنا، فها نحن بين يديك، لأمرك طائعون، مرنا بما شئت»<sup>(١)</sup>.

كما روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أن سليمان بن سرد كان من المعترضين على الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام وبين معاوية، وأنه دعاه لأن يبعثه إلى الكوفة ليخرج عامل معاوية منها، وأن يعيد الكرة عليهم، قال: «وذكروا أنه لما تمت البيعة لمعاوية بالعراق، وانصرف راجعاً إلى الشام، أتاه سليمان بن سرد، وكان غائباً عن الكوفة، وكان سيّد أهل العراق ورأسهم، فدخل على الحسن، فقال: السلام عليك يا مذل المؤمنين. فقال الحسن: وعليك السلام، اجلس لله أبوك. قال: فجلس سليمان، فقال: أما بعد، فإن تعجّبنا لا ينقضي من بيعتك معاوية ومعك مائة ألف مقاتل من أهل العراق، وكلهم يأخذ العطاء مع مثلهم من أبنائهم ومواليهم، سوى شيعتك من أهل البصرة وأهل الحجاز، ثم لم تأخذ لنفسك ثقة في العهد، ولا حظاً من القضية، فلو كنت إذ فعلت ما فعلت، وأعطاك ما أعطاك بينك وبينه من العهد والميثاق، كنت كتبت عليك بذلك كتاباً، وأشهدت عليه شهوداً من أهل المشرق والمغرب أن هذا الأمر لك من بعده، كان الأمر علينا أيسر، ولكنه أعطاك هذا فرضيت به من قوله.

ثم قال: وزعم على رؤوس الناس ما قد سمعت، إني كنت شرطت لقوم شروطاً، ووعدتهم عدات، ومنيتهم أماني، إرادة إطفاء نار الحرب، ومداراة هذه الفتنة، إذ جمع الله لنا كلمتنا وألقتنا، فإن كل ما هنالك تحت قدمي هاتين، والله ما عنى بذلك إلا نقض ما بينك وبينه، فأعدّ للحرب خدعة، وأذن لي أشخص إلى الكوفة، فأخرج عامله منها، وأظهر فيها خلعه، وأنبذ إليه على سواء، إن الله لا يهدي كيد الخائنين...»<sup>(٢)</sup>.

(١) أنظر: الخصيبي، الحسين بن حمدان، الهداية الكبرى: ص ٤١٥.

(٢) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، الإمامة والسياسة: ج ١، ص ١٤١.

ويظهر من متابعة الأخبار أن ابن قتيبة تفرد برواية هذا الخبر، وهو قد عبّر عنه بلفظ (ذكروا)، على أن هناك اختلافاً فيمن سلّم على الإمام الحسن عليه السلام بهذه الصيغة، ففي الأخبار الطوال للدينوري أن الذي قال له: (يا مذل المؤمنين) هو سفيان بن ليلى<sup>(١)</sup>، وفي الفتوح لابن أعمش أنه سفيان بن الليل البهمي<sup>(٢)</sup>، وفي البداية والنهاية أنه أبو عامر سعيد بن التتل<sup>(٣)</sup>، وفي دلائل الإمامة للطبري أن الذي قال له ذلك هو حجر بن عدي<sup>(٤)</sup>، غير أن المروي عن أهل البيت عليهم السلام هو سفيان بن ليلى<sup>(٥)</sup>.

نعم، ذكر السيد المرتضى رحمته الله في التنزيه أن سليمان بن صرد الخزاعي وفد على الإمام الحسن عليه السلام مع جملة من الشيعة بعد سنتين من الصلح ودعاه إلى نقضه، قال: «وروى عباس بن هشام، عن أبيه، عن أبي مخنف، عن أبي الكنود عبد الرحمن بن عبيدة، قال: لما بايع الحسن عليه السلام معاوية أقبلت الشيعة تتلاقى بإظهار الأسف والحسرة على ترك القتال، فخرجوا إليه بعد سنتين من يوم بايع معاوية، فقال له سليمان بن صرد الخزاعي: ما ينقضي تعجبنا من بيعتك لمعاوية ومعك أربعون ألف مقاتل من أهل الكوفة، كلهم يأخذ العطاء، وهم على أبواب منازلهم، ومعهم مثلهم من أبنائهم وأتباعهم، سوى شيعتك من أهل البصرة والحجاز...»<sup>(٦)</sup>. وليس فيه أنه القائل: يا مذل المؤمنين.

### موقفه من ثورة الحسين عليه السلام

كان أهل الكوفة على تواصل دائم مع الإمام الحسين عليه السلام منذ أيام معاوية، وكانوا يقدون عليه، ويكتبون له الكتب يدعونه فيها للثورة، غير أنه كان يأمرهم بالترث

(١) الدينوري، أبو حنيفة، أحمد بن داوود، الأخبار الطوال: ص ٢٢٠.

(٢) الكوفي، ابن أعمش، أحمد، كتاب الفتوح: ج ٤، ص ١٦٦. اختلف في اسمه بين سفيان بن ليلى، وسفيان ابن أبي ليلى، وسفيان بن الليل.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٠.

(٤) الطبري (الشيوعي)، محمد بن جرير، دلائل الإمامة: ص ١٦٦.

(٥) الطوسي، محمد بن الحسن، اختيار معرفة الرجال (رجال النجاشي): ج ١، ص ٣٢٨.

(٦) الشريف المرتضى، علي بن الحسين، تنزيه الأنبياء: ص ٢٢٣.

والانتظار إلى ما بعد معاوية.

ولما بلغهم موت معاوية عقدوا مؤتمراً مهتماً في دار سليمان بن صرد الخزاعي، ليقرروا فيه الإجراءات اللازم اتخاذها في تلك اللحظة التاريخية الفاصلة، قال الطبري: «قال أبو مخنف: فحدثني الحجاج بن علي عن محمد بن بشر الهمداني قال: اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد، فذكرنا هلاك معاوية، فحمدنا الله عليه، فقال لنا سليمان بن صرد: إن معاوية قد هلك، وإن حسيناً قد تقبض على القوم ببيعته، وقد خرج إلى مكة، وأنتم شيعته وشيعة أبيه، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصرته ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهل والفشل، فلا تغرّوا الرجل من نفسه. قالوا: بل نقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه. قال: فاكتبوا إليه»<sup>(١)</sup>.

ويظهر من اجتماعهم في بيته لتدارس هذا الأمر الخطير أنه كان له ثقل كبير في شيعة الكوفة آنذاك، كما يظهر أنه كان بصيراً وواقعياً في طرحه حين قال لهم: إذا لم يكن لكم استعداد لنصرته فلا تغرّوه؛ لأنه خبر الناس وعرف أن العواطف الانفعالية والشعارات الحماسية لا تقدم ولا تؤخر، ما لم يكن هناك التزام واقعي.

وبعد أن تباؤوا على نصرته قرّر الشيعة أن يكتبوا للإمام الحسين عليه السلام كتاباً يدعونه فيه إلى القدوم إلى الكوفة، ويبدون فيه استعدادهم لنصرته ومؤازرته على عدوه، وكان اسم سليمان في أول ذلك الكتاب، فجاء فيه: «من سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب ابن نجبة، ورفاعة بن شدّاد، وحبيب بن مظاهر، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة.. أما بعد: فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة، فابتزها أمرها، واغتصبها فأها، وتأمّر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعداً له كما بعدت ثمود. إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله يجمعنا بك على الحق، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة، لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه

(١) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٦١.

حتى نلحقه بالشام، إن شاء الله. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»<sup>(١)</sup>.

هذه هي المرة الأخيرة التي يظهر فيها اسم سليمان بن صرد في التاريخ في تلك الفترة قبل أن يظهر مجدداً في ثورة التوابين، وما بين ذلك ظلّ موقف الرجل غامضاً، فلم يسجّل له التاريخ حضوراً في كل الأحداث التي مرّت بها الكوفة في تلك الفترة الحرجة، فلم ينزل مسلم بن عقيل (سلام الله عليه) في بيته مع ما له من مركزية في الكوفة، ولم يسجل له التاريخ أنه التقى بمسلم طوال تلك الفترة، أو تشاور معه، كما غاب اسمه تماماً عن الأحداث التي رافقت ثورة مسلم بن عقيل، وكذلك لم يلتحق بالإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.. فأين كان الرجل؟

تذهب بعض المصادر التاريخية إلى أنّه كان من المتخاذلين عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام، وأنه ندم على ذلك، وقام بثورة التوابين بوصفها نوعاً من تكفير الذنب تجاهه، قال ابن عبد البر: «وكان فيمن كتب إلى الحسين بن علي عليه السلام يسأله القدوم إلى الكوفة، فلما قدمها ترك القتال معه، فلما قُتل الحسين ندم هو والمسيّب بن نجبة الفزاري وجميع من خذله؛ إذ لم يقاتلوا معه، ثم قالوا: ما لنا من توبة مما فعلنا إلا أن نقتل أنفسنا في الطلب بدمه»<sup>(٢)</sup>.

والعبارة نفسها نجدها مكررة عند ابن الأثير<sup>(٣)</sup>، فيما يضيف ابن سعد في الطبقات أنه كان كثير الشك والتردد والتوقف في المواقف، فقال: «كان فيمن كتب إلى الحسين بن علي أن يقدم الكوفة، فلما قدمها أمسك عنه، ولم يقاتل معه، كان كثير الشك والوقوف، فلما قُتل الحسين ندم هو والمسيّب بن نجبة الفزاري وجميع من خذل الحسين، ولم يقاتل معه»<sup>(٤)</sup>. ولكن الشيخ المامقاني في كتابه تنقيح المقال يردّ على ذلك ويقول: إنه كان محبوساً في سجن عبيد الله بن زياد مع أربعة آلاف من الشيعة «ما قاله ابن الأثير من تخلّفه

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ج ٢، ص ٦٤٩-٦٥٠.

(٣) ابن الأثير الجزري، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، أسد الغابة في معرفة الصحابة: ج ٢، ص ٣٥١.

(٤) ابن سعد، أبو عبد الله محمد، الطبقات الكبرى: ج ٤، ص ٢٩٢.

عن نصره الحسين عليه السلام من سهوه، ضرورة أن مما اتفقت عليه كتب السير والأخبار أن ابن زياد لما اطّلع على مكاتبة أهل الكوفة الحسين عليه السلام حبس أربعة آلاف وخمسمائة رجل من التّوآبين من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وأبطاله الذين جاهدوا معه، منهم سليمان هذا<sup>(١)</sup>.

غير أن قوله: إن مما اتفقت عليه كتب السير والأخبار أن ابن زياد حبس أربعة آلاف وخمسمائة رجل من شيعة الكوفة، من بينهم سليمان بن صرد، هي مجرد دعوى، فلم نجد مثل هذا الاتفاق بينهم، بل لم نجد ذكراً لذلك في أيّ من المصادر التاريخية المعتبرة سوى ما ذكر في كتاب (حكاية المختار في الأخذ بالثأر) المطبوع في نهاية كتاب (اللهوف) للسيد ابن طاووس عليه السلام، حيث جاء فيه: «فلما شاع هلاك يزيد (لع)، وثبوا على دار ابن زياد ونهبوا أمواله وخيله، وقتلوا علمانه، وكسروا حبسه، وأخرجوا منه أربعة آلاف وخمسمائة رجل من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، منهم سليمان بن صرد الخزاعي، وإبراهيم بن مالك الأشتر، وابن صفوان، ويحيى بن عوف، وصعصعة العبدي»<sup>(٢)</sup>، وهذا مقطع من حكاية طويلة ذات طابع قصصي لا تخلو من الملاحظات.

وذكر الشيخ القرشي نقلاً عن (الدر المسلوک في أحوال الأنبياء والأوصياء) - وهو كتاب قال عنه: أنه مخطوط، ويظهر من مصادر أخرى أنه للشيخ أحمد بن الحسن الحر العاملي، وهو أخو صاحب الوسائل - أن ابن زياد اعتقل أربعمئة من الأعيان، فيهم سليمان بن صرد، والمختار الثقفي<sup>(٣)</sup>، وقد تفرّد بذلك أيضاً.

أما المحقق التستري فيبدو جازماً في تخلف سليمان عن نصره الإمام الحسين عليه السلام بلا عذر قائلاً: «اتفقت كلمة الخاصة والعامة من تخلف هذا عن نصره الحسين عليه السلام بدون

(١) التستري، محمد تقي، قاموس الرجال في شرح تنقيح المقال: ج ٥، ص ٢٧٩.

(٢) ابن طاووس، علي بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص ١٥٢.

(٣) القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين: ج ٢، ص ٤١٦.

عذر»<sup>(١)</sup>. واستدل - بالإضافة إلى بعض النصوص التاريخية - بخطبة سليمان التي ذكرها ابن نفا، إذ جاء فيها: «أما بعد فقد ابتلينا بطول العمر والتعرض للفتن.. وكنا مغرمين بتزكية أنفسنا ومدح شيعتنا، حتى بلى الله خيارنا فوجدنا كذابين في نصره ابن بنت رسول الله ﷺ ولا عذر دون أن نقتل قاتليه، فعسى ربنا أن يعفو عنا»<sup>(٢)</sup>.

وكذلك استدلل بها قاله سليمان بن صرد وأصحابه عندما زاروا قبر الحسين عليه السلام، إذ روى الطبري عن أبي مخنف عن سلمة بن كهيل عن أبي صادق، قال: «لما انتهى سليمان ابن صرد وأصحابه إلى قبر الحسين نادوا صيحة واحدة: يا رب، إنا قد خذلنا ابن بنت نبينا، فاغفر لنا ما مضى منا، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم»<sup>(٣)</sup>.

وكذلك استدلل بخطبة سليمان عند لقاء العدو: «ونادى عباد الله، من أراد البكور إلى ربه، والتوبة من ذنبه، والوفاء بعهده فإلي، ثم كسر جفن سيفه...»<sup>(٤)</sup>.

غير أن قوله: إن تخلفه بدون عذر مما اتفقت عليه الخاصة والعامة هو أيضاً مجرد دعوى، وإذا تم هذا بالنسبة إلى العامة فيما ذكره في كتبهم فلا يتم في الخاصة، فلم تر تصريحاً معتبراً في ذلك من متقدمي الخاصة أو متأخريهم.

وأما ما استشهد به من كلمات سليمان وخطبه، فيمكن الجواب عنه: إن الرجل يمكن أن يكون قد تكلم بلسان القوم، وحكى حالهم، ووضع نفسه معهم تواضعاً، أو من باب عدم التوفيق لنصرة الحسين عليه السلام، وفوات الشهادة معه ولو لعذر، مع أن بعض هذه الكلمات نُقلت عن غيره، كالكلمة الأولى حيث رواها الطبري للمسيب ابن نجبة<sup>(٥)</sup>.

ولكن توجد له كلمة أخرى ذكرها الطبري، وهي: «إنا كنا نمد أعناقنا إلى قدوم آل

(١) التستري، محمد تقي، قاموس الرجال في شرح تنقيح المقال: ج ٥، ص ٢٨٠.

(٢) ابن نفا الحلبي، جعفر بن محمد بن جعفر، ذوب النصار في شرح الثار: ص ٧٥.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٤٥٧.

(٤) المصدر السابق: ص ٤٥٦.

(٥) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٢٦.

نبيّنا، ومنّيهم النصر، ونحثّهم على القدوم، فلما قدموا ونينا وعجزنا وادھنا وتربصنا، وانتظرنا ما يكون، حتى قُتل فينا»<sup>(١)</sup>.

وعلى أيّ حال تبقى هذه الفترة التي عاشها الرجل أيام ثورة الحسين عليه السلام فترة غامضة في تاريخه، ولا يمكن الجزم بعدم عذره في التخلف، خصوصاً إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار ما روي من قول أمير المؤمنين عليه السلام المتقدم له «فأنت ممن ينتظر، وممن لم يبدل»، والله العالم بحقيقة الحال.

### ثورة التوابين

لا يخفى أنّ ثورة الحسين عليه السلام هزّت الضمير الإسلامي هزة عنيفة، وولّدت ارتدادات عاصفة في صفوف الأمة، خصوصاً في صفوف أولئك الذين لم يلتحقوا بالحسين عليه السلام، أو تحاذلوا عن نصرته.

ويرى بعض الباحثين أنّ ثورة التوابين هي ثورة (تأنيب ضمير)، و(تكفير ذنب)، نتيجة الإحساس بالمسؤولية عن خذلان الإمام الحسين عليه السلام: «والواقع أنّ حركة التوابين التي قامت بزعامة سليمان ورفاقه من قادة الحزب الشيعي، هي طراز فريد بين الحركات السياسية العديدة التي شهدتها تلك الفترة المهمة من التاريخ العربي؛ ذلك أنها لم تتضمّن شيئاً من برنامج الحركة الشيعية السياسي أو الاجتماعي أو الاقتصادي على غرار ما ظهر قبل ذلك في ثورة الحسين، أو ما ظهر من ملامح فيما بعد في حركة المختار الثقفي، وإنّما انحصرت في ظلّ إطار التكفير عن الذنب، واتخذت من الثأر للحسين شعاراً رئيسياً لها، وانعكس عليها سلوك زعمائها المثالي، وشخصياتهم المرتفعة التي زهدت بالمناصب، ورفضت المساومات، ونبذت كل موقف لا يتلاءم مع المبدأ العام للحركة، الذي لخصّه سليمان بالعبارة الآتية: إنه لا يغسل عنهم ذلك الجرم إلاّ قتل من قتله أو القتل فيه»<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ٨٢٤.

(٢) بيضون، د. إبراهيم، التوابون: ص ٧-٨.

هل هذه النظرة إلى ثورة التوابين نظرة صائبة، وهل يمكن وصف حركتهم بأنها حركة انتحارية، كما عن بعض الباحثين، أم أن لها أهدافاً سياسية، هذا ما لا نخوض فيه فعلاً في هذا المقال، ونتركه لمناسبة أخرى، إلا أن مما لا شك فيه أن الشعور بالندم والتكفير عن الذنب كان من الدوافع الأساسية للثوار.

اجتمع الثوار هذه المرة - كما في المرة الأولى عندما بلغهم نبأ موت معاوية، وخروج الحسين عليه السلام إلى مكة - في دار سليمان بن صرد الخزاعي، وكان الاجتماع يضم قادة آخرين، منهم المسيب بن نجبة، وعبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، وعبد الله بن وال التميمي، ورفاعة بن شداد البجلي، وألقوا بعض الخطب، ثم اتفقوا على تولية سليمان ابن صرد قيادة الثورة<sup>(١)</sup>.

عمل قادة الثورة على استقطاب المتطوعين، وتشجيع المترددين، ومكاتبه الشيعة خارج الكوفة في المدائن والبصرة وغيرها، وقاموا بحملة إعلامية كبيرة في ذلك، حتى بلغ عدد المؤيدين - بحسب ابن كثير - عشرين ألفاً<sup>(٢)</sup>، وبلغ عدد المبايعين له ستة عشر ألفاً<sup>(٣)</sup>، ولكن ليس المهم كثرة المؤيدين والمبايعين، بل من سيصمد منهم حتى النفس الأخير، ومن يبقى على موقفه في ساعة الصفر.

قبل التحرك الفعلي كان ثمة اجتماع لقادة الثورة، تدارسوا فيه الخطوات التي ينبغي أن يقوموا بها، والأولويات التي لا بد من التركيز عليها، وقد برز اتجاهان متغايران: أحدهما يمثله عبد الله بن سعد، ويرى أنهم لا بد أن يبدأوا بعمليات انتقامية داخل الكوفة، تستهدف بعض الأشراف المتواطئين مع النظام الأموي، والآخر يمثله سليمان بن صرد نفسه، ويرى ضرورة البدء بعبيد الله بن زياد الذي بات المسؤول الأول بعد موت يزيد بن معاوية، ثم يتم التفرغ بعد القضاء عليه للدخول الكوفي؛

(١) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٦٣٤-٨٣٤.

(٢) أنظر: ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٥١.

(٣) أنظر: الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٢٥٤.

لأنَّ التعرض لقتلة الإمام الحسين عليه السلام في البداية سوف يثير عليهم الناس الموالين لهم، مما سيضعف جبهتهم أمام عبيد الله بن زياد، قال: «إنَّ الذي قتل صاحبكم وعباً الجنود إليه، وقال: لا أمان له عندي دون أن يستسلم فأمضي فيه حكمي، هذا الفاسق ابن الفاسق ابن مرجانة عبيد الله بن زياد، فسيروا إلى عدوكم على اسم الله، فإن يظهركم الله عليه رجونا أن يكون من بعده أهون شوكة منه، ورأينا أن يدين لكم من وراءكم من أهل مصركم في عافية، فتنتظرون إلى كل من شرك في دم الحسين فتقاتلونه... إني لأحب أن تجعلوا حدكم وشوكتكم بأول المحلين القاسطين، والله، لو قاتلتم غداً أهل مصركم ما عدم رجل أن يرى رجلاً قد قتل أخاه وأباه وحميمه، أو رجلاً لم يكن يريد قتله...»<sup>(١)</sup>.

### انطلاقة الثورة

تحركَّ الثوّار ليلة الجمعة في الخامس من ربيع الثاني سنة (٦٥ هـ) باتجاه النخيلة، المعسكر الذي سيتوافد عليه الثوار والمتطوعون، أقاموا في النخيلة ثلاثة أيام في معسكرهم، ولكن الاستجابة لم تكن بالمستوى المطلوب؛ إذ لم يتجاوز عدد المقاتلين الأربعة آلاف مقاتل<sup>(٢)</sup>.

لقد تحلّف شيعة المدائن، وشيعة البصرة، وكثير من شيعة الكوفة عن سليمان بن صرد، وهذا الأمر له أسبابه الموضوعية التي لا مجال لسردها هنا، ولكن على رغم ذلك لم تتأثر معنويات الثوار بذلك، وإنما اندفعوا بكل إصرار وعزيمة.

ساروا قاصدين كربلاء حيث قبر سيد الشهداء عليه السلام، فلمّا وافوها ضجّوا بالبكاء والنحيب حول القبر المبارك، وقالوا بصوت واحد: «يا رب، إنا قد خذلنا ابن بنت نبيّنا، فاغفر لنا ما مضى منا، وتب علينا، إنك أنت التواب الرحيم، وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصديقين، وإنا نُشهدك يا رب أنا على مثل ما قُتلوا عليه، فإن لم تغفر

(١) المصدر السابق: ص ٤٥٤.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٥٢.

لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين»<sup>(١)</sup>.

بعد يوم وليلة أقاموا فيها عند قبر الحسين عليه السلام انطلقوا عبر الفرات إلى الأنبار، ومنها إلى القيّارة وهيت، ثم إلى قرقيسيا التي تزودوا منها بما يلزمهم. وفي قرقيسيا تناهت إلى أميرها أخبار عن نزول عبيد الله بن زياد في (الرقّة) على رأس جيش كبير، يضم خمسة من قادة الأمويين، ومن أشد أعداء الشيعة، وهم: الحصين بن نمير، وشرحبيل بن ذي الكلاع الحميري، وأدهم بن محرز الباهلي، وربيعة بن مخارق الغنوي، وجبلّة بن عبد الله الخثعمي. أطلع (زفر الكلابي) أمير قرقيسيا سليمان وجماعته بالأمر، وحاول أن يثنّيهم عن المضي في طريقهم، ولكنهم رفضوا وأصروا على الاستمرار، ودّعهم زفر ودعاهم، وأعطاهم نصائح واستشارات قيّمة حول طبيعة المنطقة، وبعض الخطط الحربية، فودّعوه وانطلقوا في مسيرهم<sup>(٢)</sup>.

### معركة عين الوردة

سار سليمان مع أصحابه في عمق الجزيرة قاصداً (عين الوردة)، بناء على نصيحة قدمها له أمير قرقيسيا، حتى إذا ما وصلوها استراحوا قليلاً، ثم أخذ سليمان ينظم المقاتلين، ويضع خطط القتال، وقد عمد إلى تقسيم المقاتلين، فقسّمهم على مجموعات صغيرة تتولّى القيام بعمليات خاطفة على طلائع وأطراف الجيش الأموي؛ لإرباكهم والتأثير في معنوياتهم. بعدها قام خطيباً فيهم، وأوكل قيادة الجيش - إن هو أُصيب - إلى نائبه المسيب ابن نجبة، ثم إلى عبد الله بن سعد، وبعده إلى عبد الله بن وال، وأخيراً إلى رفاعة بن شداد<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق: ص ٤٥٦.

(٢) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٦١.

(٣) أنظر: المصدر السابق: ص ٤٦٢.

لم تكن المعركة متكافئة، فأربعة آلاف مقاتل، بل تناقص عددهم إلى ما دون الأربعة آلاف بحسب بعض المصادر، يقفون أمام عشرين ألفاً بحسب ابن أعثم<sup>(١)</sup>، وستين ألفاً بحسب خليفة بن خياط<sup>(٢)</sup>، وتقديرات أخرى بين هذين الرقمين، إنها معركة غير متكافئة أبداً.

ولكن على رغم ذلك قدّم الثوابون ملاحم أسطورية في مواجهة الجيش الأموي، واستمرت المعركة ثلاثة أيام كبّد فيها الثوار جيش الأمويين خسائر فادحة، غير أنّ الكثرة العددية تفوّقت في النهاية، «ورأى سليمان بن صرد ما لقي أصحابه، فنزل فنادى: عباد الله، من أراد البكور إلى ربه، والتوبة من ذنبه، والوفاء بعهدده، فإليّ.. ثم كسر جفن سيفه، ونزل معه ناس كثير، وكسروا جفون سيوفهم، ومشوا معه.. وقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة، وجرحوا فيهم فأكثروا الجراح، فلما رأى الحصين بن نمير صبر القوم وبأسهم، بعث الرجال ترميهم بالنبل، واكتنفتهم الخيل والرجال، فقتل سليمان ابن صرد<sup>رضي الله عنه</sup>، رماه يزيد بن الحصين بسهم فوق، ثم وثب، ثم وقع»<sup>(٣)</sup>، وكان يوم قُتل له ثلاث وتسعون سنة<sup>(٤)</sup>.

إنّ ثورة الثوابين من الثورات الفريدة في التاريخ، وهي تستحق دراسة أوسع من هذه، فغرض المقالة كان التركيز على سيرة سليمان بن صرد<sup>رضي الله عنه</sup>، وليس دراسة ثورة الثوابين، التي هي بحق تحتاج إلى دراسة تحليلية واسعة، عسى أن نوفق لها في القادم من الأيام.

(١) أنظر: الكوفي، ابن أعثم، أحمد، كتاب الفتوح: ج ٦، ص ٢٣٠.

(٢) أنظر: العصفري، ابن خياط، خليفة، تاريخ خليفة بن خياط: ص ٢٠١.

(٣) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك: ج ٤، ص ٤٦٥.

(٤) أنظر: ابن سعد، أبو عبد الله محمد، الطبقات الكبرى: ج ٤، ص ٢٩٣.



# المعنى اللغوي لـ (سُكِينَة) الجارية الخفيفة الروح

السيد محمود المقدس الغريفي\*

## المقدمة

يحتل الحديث عن ضبط شكل الأسماء ولفظها الصحيح أهمية كبرى في كتب علم الرجال والأنساب، وتشتدّ هذه الأهمية حينما يتناقل الاسم أو اللقب كثيراً على الألسن. وبحثنا الحالي يدور حول شخصية لامعة من شخصيات كربلاء، وهي: (آمنة بنت الإمام الحسين عليه السلام) الملقبة بـ (سكينة)، نتناول في هذا المقال الضبط الصحيح للقبها عليها السلام ومعناه، وسنتناول الموضوع من جهة لغوية وسنستعرض ما يقوله علماء الرجال والأنساب؛ لنصل في نهاية المطاف إلى حقيقة الأمر.

## ضبط اللقب وأصله

سُكِينَة كجُهينة بضم السين وفتح الكاف والياء الساكنة بعدها النون المفتوحة، ثم التاء القصيرة، وهو لقب لآمنة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (ت ١١٧ هـ)، وبه اشتهرت، وقد لُقبت بذلك أمّها الرباب بنت امرئ القيس الكلبي (ت ٦٢ هـ)<sup>(١)</sup> عندما كانت تداعبها، وهي طفلة صغيرة، وتناديها يا سُكِينَة؛ لخفة روحها ولطافتها، فغلب على اسمها الأصلي.

ومقابل ذلك هناك رأي يرى أنّ ضبط هذا اللقب (سَكِينَة) بفتح السين وكسر

\* أستاذ في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، من العراق.

(١) أنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٩، ص ١٢٠. ابن خلكان، أحمد بن محمد،

وفيات الأعيان: ج ٢، ص ٣٩٩.

الكاف، وليس (سُكَيْنَة)، والذي يدل على أن الضبط الصحيح هو (سُكَيْنَة) كلمات النسابة والرجاليين واللغويين.

## كلمات النسابة والرجاليين

نستعرض هنا كلمات النسابة والرجاليين لنرى كيف ضبطوا هذا اللقب؛ لتتضح لنا حقيقة الأمر، وإليكم كلماتهم:

قال ابن ماكولا (ت ٤٧٥ هـ) في (إكمال الكمال): «سُكَيْنَة بضم السين وفتح الكاف وتخفيفها وفتح النون، فهي سُكَيْنَة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام»<sup>(١)</sup>. وقال السهيلي (ت ٥٨١ هـ) في (الروض الأنف): «وسُكَيْنَة لقب لها، كانت ذات دعابة ومزح»<sup>(٢)</sup>، بمعنى الظرف وخفة الروح.

وقال اليافعي (ت ٧٦٨ هـ) في (مرآة الجنان): «السيدة سُكَيْنَة بنت الحسين بن علي ابن أبي طالب كانت من أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً»<sup>(٣)</sup>.

وفي (توضيح المشتبه) لابن ناصر الدين الدمشقي (ت ٨٤٢ هـ)، قال: «سُكَيْنَة عدّة نسوة. قلت: هذا الاسم بضم أوله وفتح الكاف وسكون المثناة تحت وفتح النون، ثم هاء»<sup>(٤)</sup>.

فمن هنا استعير هذا اللقب لآمنة بنت الإمام الحسين عليه السلام؛ لخفة روحها وظرافتها، فلُقبت أمها الرباب بـ(سُكَيْنَة)، حتى غلب على اسمها الأصلي.

وقال النمازي (ت ١٤٠٥ هـ) في (مستدركات علم الرجال): «سكينة بنت أبي عبد الله الحسين (صلوات الله عليه)... كانت عقيلة قريش، ولها السيرة الجميلة، وهي ذات الفضل والفضيلة، والكرم الوافر، والعقل الكامل، والمكارم الزاخرة، والمناقب الفاخرة،

(١) ابن ماكولا، علي بن هبة، إكمال الكمال: ج ٤، ص ٣١٦-٣٢٠.

(٢) السهيلي، عبد الرحمن، الروض الأنف: ج ١، ص ٢٧٧.

(٣) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٣، ص ٤٩٢.

(٤) الدمشقي، محمد بن عبد الله، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم: ج ٥،

وهي سيّدة نساء عصرها، وأجملهن وأظرفهن وأحسنهن أخلاقاً<sup>(١)</sup>.  
ومما تقدّم يتضح أنّ ضبط هذا اللقب يكون بالشكل التالي (سُكِينَةٌ).

## كلمات اللغويين

وحينما نراجع معنى كلمة (سُكِينَةٌ) في اللغة نجدها بمعنى: (الجارية، الطفلة، الخفيفة الرُّوح)، وقد استُعير هذا المعنى لها من معنى آخر غير مراد في أصل تسميتها ولقبها، أخذ من «التَّسْكِين: وهو أن يدوم الرجل على ركوب السُّكَيْنِ، وهو الحمار الخفيف السريع، والأْتَانُ [بالفتح أنثى الحمار] إذا كانت كذلك [أي: خفيفة سريعة] سُكِينَةٌ، وبه سُمّيت الجارية الخفيفة الرُّوح سُكِينَةٌ»<sup>(٢)</sup>، كما قال ابن منظور (ت ٧١١هـ) في (لسان العرب).

«والاستعارة، هي: اللفظ المستعمل فيما شبّه بمعناه الأصلي، لعلاقة المشابهة كأسد في قولنا: رأيت أسداً يرمي»<sup>(٣)</sup>. وهذا الأمر ليس بعزيز عند العرب، ولا يُقصد منه التقييص والإهانة للشخص، وربما يؤخذ ما هو أبعد من ذلك عند الشعراء وغيرهم، فيؤخذ من الشيء الجانب الجميل فيه والمحبب، وينقل إلى الذي يشابهه في هذه الصفة الجميلة المحببة، ويوصف به، كوفاء الكلب، وشجاعة الأسد، ودهاء الثعلب.

وإلى ما تقدّم تُشير كلمات اللغويين، ففي (القاموس) للفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ):  
«والسكين كزبير: حي، والحمار الخفيف السريع. والتسكين: مداومة ركوبه وتقويم الصعدة بالنار. وكجهينة: الأتان، واسم البقرة الداخلة أنف نمرود، وصحابي، و بنت الحسين بن علي عليه السلام»<sup>(٤)</sup>.

(١) الشاهرودي، علي النازي، مستدركات علم رجال الحديث: ج ٨، ص ٥٨٠.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب: ج ١٣، ص ٢١٣.

(٣) التفتازاني، مسعود بن عمر، مختصر المعاني: ص ٢١٩.

(٤) الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج ٤، ص ٢٣٥.

وقال الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) في (تاج العروس): «وَسُكَيْنَةُ، كَجُهَيْنَةَ: الْأَتَانُ الْخَفِيفَةُ السَّرِيعَةُ، وَبِهِ سُمِّيَتِ الْجَارِيَةُ الْخَفِيفَةُ الرُّوحِ سُكَيْنَةُ؛ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ: وَالسُّكَيْنَةُ أَيْضًا.. وَسُكَيْنَةُ بِنْتُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا)، وَأُمُّهَا الرَّبَابُ بِنْتُ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ عَدِيِّ الْكَلْبِيَّةِ، وَتُكْنَى أُمَّ عَبْدِ اللَّهِ، وَقِيلَ: سُكَيْنَةُ لَقَبُهَا، وَأَسْمُهَا أَمِينَةُ، كَمَا فِي الرَّوْضِ، كَانَ لَهَا دَعَابَةٌ وَمَزْحٌ لَطِيفٌ»<sup>(١)</sup>.

إِذَا؛ فَسُكَيْنَةُ لِقَبِ اسْتَعِيرَ لِلسَّيِّدَةِ أَمَنَةَ بِنْتِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقُصِدَ بِهِ خَفَّةَ رُوحِ هَذِهِ السَّيِّدَةِ وَظَرَفَتِهَا.

### خلط أبي الفرج الإصفهاني ودلالته على المطلوب

ومما يؤيد ضبط الكلمة بـ(سُكَيْنَةَ) ما ذكره أبو الفرج الإصفهاني في كتاب (الأغاني)، فقال: «كَانَتْ سُكَيْنَةُ مُحْسَنَ تَصْنِيفِ شَعْرِهَا، أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ مُوسَى، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْمَدِينِيِّ، عَنْ مَصْعَبٍ، قَالَ: كَانَتْ سُكَيْنَةُ أَحْسَنَ النَّاسِ شَعْرًا؛ فَكَانَتْ تَصَفِّفُ جُمَّتَهَا تَصْنِيفًا لَمْ يَرِ أَحْسَنَ مِنْهُ، حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ، فَكَانَتْ تِلْكَ الْجُمَّةُ تَسْمَى السُّكَيْنَةَ»<sup>(٢)</sup>.

وتُعرف بِالطَّرَةِ السُّكَيْنِيَّةِ (بِضْمِ السَّيْنِ وَفَتْحِ الْكَافِ)، وَإِلَيْهَا تُنْسَبُ، قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ: «الطَّرَةُ السُّكَيْنِيَّةُ: هِيَ تَنْسَبُ إِلَى سَكَيْنَةَ بِنْتِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، (رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا)»<sup>(٣)</sup>. وَطَّرَةُ الشَّعْرِ وَالثُّوبِ، أَي: طَرَفُهُ، وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ طَّرَةً؛ لِأَنَّهَا مَقْطُوعَةٌ مِنْ جُمَّلَتِهِ، وَمَفْصُولَةٌ مِنْهُ، وَجَارِيَةٌ لَهَا طَّرَةٌ، وَهِيَ مَا تَطَّرَهُ مِنَ الشَّعْرِ الْمُؤَوِّفِ عَلَى جَبْهَتِهَا وَتَصَفَّفَهُ. وَلَكِنْ نِسْبَةُ (الطَّرَةِ السُّكَيْنِيَّةِ) إِلَى سُكَيْنَةَ بِنْتِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ اشْتَبَاهُ وَخَلَطَ مِنْ أَبِي الْفَرَجِ الْإِصْفَهَانِيِّ صَاحِبِ كِتَابِ (الْأَغَانِي) وَغَيْرِهِ، مَعَ سُكَيْنَةَ الزُّبَيْرِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ

(١) الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ١٨، ص ٢٩٠.

(٢) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، الأغاني: ج ١٦، ص ٣٦٣.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، عبد الله بن مسلم، المعارف: ص ٦٢٠.

بولعها بالغناء والطرب، ومجالسة الشعراء، وقد روى أبو الفرج ذلك عن الزبير ابن بكار الزبيري؛ ليدفع الصورة القبيحة والمبتذلة عن ابنتهم (سُكينة بنت خالد بن مصعب بن الزبير)، وقد رواه عن عمّه مصعب، وكلاهما معروف ومشهور بالوضع والكذب، كما رميا سُكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام كذباً وهتاناً بمخالطة الشعراء والجلوس في نواديتهم؛ لرفع سلوك الابتذال عن ابنتهم تلك، وطمس فضائحتها المشهورة، على طريقة المثل: رمتني بدائها وانسلت.

فإن المعروف عن نساء أهل البيت أتهن مؤمنات عفيفات، محتشمات خفريات، لا يظهرن بما يشتهرن به بين الناس وعلى ألسن الرجال، لا سيّما السيّدَةُ سُكينة بنت الحسين عليه السلام، التي قال فيها أبوها: «وأما سُكينة، فغالبٌ عليها الاستغراق مع الله تعالى»<sup>(١)</sup>.

### إطلاق لقب سُكِينَةُ في التاريخ

وقد ذكروا أيضاً أنّ هناك عدّة نسوةٍ محدّثاتٍ يُعرفن بـ(سُكِينَةُ) على وزن (جُهينة)، مثل: سُكينة بنت أبي وقاص، وسُكينة بنت حنظلة خالة ابن الغسيل، وسُكينة بنت سعد، وسُكينة بنت قريش، وغيرهن، كما جاء هذا الاسم في جملة من المحدّثين، منهم: أبو سُكينة الحمصي، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي سُكينة، وأبو الوليد موسى بن أبي سُكينة، وسعيد بن أبي سُكينة، ويحيى بن علي بن محمد بن أبي سُكينة الحلبي، وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

على أنّ هناك محدّثين عُرفوا بلقب (سُكِينَةُ) بفتح السين وكسر الكاف<sup>(٣)</sup> كسُفينة، منهم: أبو سَكِينَةَ زياد بن مالك، وغيره.

وآخرون عُرفوا بلقب (سِكِينَةُ) بكسر السين والكاف المشدّدة، منهم: أبو الحسن

(١) القمي، عباس، الكنى والألقاب: ج ٢، ص ٤٦٥.

(٢) أنظر: ابن ماكولا، علي بن هبة الله، إكمال الكمال: ج ٤، ص ٣١٧-٣١٨.

(٣) أنظر: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس: ج ١٨، ص ٢٩٠. قال الزبيدي: «وسُكِينَةُ، بالفتح مشدّدة، كذا في النسخ، والصواب بالكسر مشدّدة كما ضَبَطَهُ الحافظ...».

علي بن الحسين بن سَكِينَةَ الأنباطي، وابنه أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن سَكِينَةَ، والمبارك بن أحمد بن حسين بن سَكِينَةَ، وغيرهم<sup>(١)</sup>.  
من هنا نعرف تنوع الضبط الذي نُقل لهذا اللقب، والدقة في نقله، فلو كان ضبط لقب سَكِينَةَ بنت الإمام الحسين عليه السلام سَكِينَةَ لُنقل لنا ذلك.

### رأي آخر في ضبط لقب (سَكِينَةَ)

ذهب بعض إلى أن صواب لقبها (سَكِينَةَ) بفتح السين وكسر الكاف، من السكينة في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾<sup>(٣)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٥)</sup>، وغيرها من الآيات الشريفة المأخوذة فيها فَعِيلَةٌ من السكون، وهي الوداعة والوقار والطمأنينة، وقد وقع في هذا الاشتباه كثير من الناس وبعض الخطباء بلا رَوِيَّةٍ وتتبع<sup>(٦)</sup>.

وأول مَنْ أشار إلى هذا المعنى من المعاصرين - فيما أحسبه - العلامة السيّد عبد الرزاق المقرّم رحمته الله (ت ١٣٩١ هـ) في كتابه (السيدة سَكِينَةَ بنت الحسين)؛ حيث قال: «وأما سَكِينَةَ، فقد ذكر المؤرخون أنه لقب لها من أمّها الرباب؛ وكأنّه لسكونها وهدوئها، وعليه فالمناسب فتح السين المهملة وكسر الكاف التي بعدها، لا كما يجري على الألسن من ضم السين وفتح الكاف، وهذا الرأي نسبه الصبان [ت ١٢٠٦ هـ] إلى المشهور، فإنّه قال: المشهور على الألسن في اسمها أنه مُكَبَّرٌ بفتح السين وكسر الكاف، والمحكي عن

(١) أنظر: ابن ماكولا، علي بن هبة الله، إكمال الكمال: ج ٤، ص ٣١٩-٣٢٠. الدمشقي، محمد بن عبد الله، توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكنابهم: ج ٥، ص ١٢٨.

(٢) الفتح: آية ٤.

(٣) البقرة: آية ٤٨.

(٤) التوبة: آية ٤٠.

(٥) الفتح: آية ١٨.

(٦) أنظر: الغريفي، محمود، ديوان الإمام الحسين بن علي: ص ٢٢-٢٣.

شرح أسماء رجال المشكاة: أنه مُصَغَّر بضم السين وفتح الكاف، ومثله في القاموس»<sup>(١)</sup>.  
والذي دعا إلى انتشار هذا الرأي بين الناس وشيوعه في السنوات الأخيرة  
تبنى السيّد الشهيد محمد الصدر عليه السلام (ت ١٤٢١ هـ) له في محاضراته الخاصة عن  
الثورة الحسينية<sup>(٢)</sup>، فجرى ترديده كثيراً على الألسن، وفوق المنابر الحسينية، حيث  
قال عليه السلام: «وأنا أعتقد أنّ اسمها ليس مُصَغَّرًا (سُكِينَة) كما يلفظ العامة والمشهور، وإنّما  
هو مُكَبَّر (سَكِينَة)، مأخوذ من القرآن الكريم ﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾<sup>(٣)</sup>، ويعني هي  
السكينة النازلة تشبيهاً، وأما المُصَغَّر، فهو أنثى الحمار بنص اللُّغويين، ومنهم: ابن منظور  
في لسان العرب، وهذا ممّا يجهله المتقفون والمتفقهون من الناس مع الأسف، ولا يحتمل  
أنّ الحسين عليه السلام يجهله»<sup>(٤)</sup>.

ومن ثمّ انتشر هذا الرأي، وأعتبر أنّ مَنْ يقول ويعرض غير هذا المعنى، فإنّه  
مَنْ يُسِيء لهذه السيّدة الجليلة، وأنّه ينتقص من كرامتها، عن علم كان ذلك أم عن  
غير علم؛ حيث إنّهُ يشبّهها بأنثى الحمار! ويبعدها عن مدلولها الحقيقي، الذي يُفيد  
السكينة والوقار والاطمئنان، وهذا لا يليق بمكانتها وشرفها.

### مناقشة وتحليل

بيّنا أنّ معنى سُكِينَة الجارية الخفيفة الروح، اللطيفة النفس، الودود الضحوك،  
ويدل على ذلك كلمات علماء الرجال والنسابة واللُّغويين، ولم نقف على أحد من  
المؤرخين واللُّغويين والنسّابين القدماء أثبت هذا الضبط (سَكِينَة).  
على أنّ الوقوف على رسم لقبها الصحيح ولفظه - سُكِينَة كجُهينة بضم السين،

(١) المقرّم، عبد الرزاق، السيّدة سَكِينَة: ص ١١-١١٢.

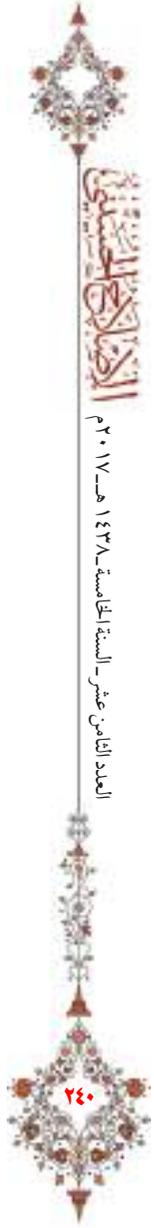
(٢) وقد طبعت بجزئين، الجزء الأول بعنوان: أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام، والثاني بتقرير وتحقيق  
الشيخ أسعد الناصري تحت عنوان: شذرات من فلسفة تاريخ الإمام الحسين عليه السلام.

(٣) الفتح: آية ١٨.

(٤) الصدر، محمد محمد صادق، شذرات من فلسفة تاريخ الإمام الحسين عليه السلام: ص ١٥٧.

وفتح الكاف والياء الساكنة، بعدها النون المفتوحة، ثم التاء القصيرة، وما استعير منه - لا يمنع من كون هذه السيدة الجليلة ذات سَكِينَة ووقار وهدوء واطمئنان؛ فإنّها تجمع الفضائل الكريمة، والأخلاق النبيلة، والسجايا الحميدة، وتُعدّ من النساء الفضليات المحدثات، وإنّها روت عن أبيها وأهل بيتها، وقد أخرج لها الطبراني (ت ٣٦٠هـ) في (المعجم الكبير) بسنده قال: «حدّثني فايد مولى عبید الله بن أبي رافع، حدّثني سَكِينَة بنت الحسين بن علي، عن أبيها، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم: «حَمَلَة القرآن عرفاء أهل الجَنَّة يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

ولكن الوقوف على الضبط اللُّغوي الصحيح، ودلالة المعنى المراد منه، أمرٌ لا مفرٌّ منه لطالب العلم والحقيقة. وكما مرّ علينا فإنّ المؤرخين وأهل اللغة لم يغفلوا عن ضبط الأسماء صورةً وكتابةً، كاسمِ سَكِينَة، سواء بضم السين أو فتحها أو كسرها، وقد ضبط لقب (آمنة بنت الحسين) هذا الضبط (سَكِينَة) على وزن (جُهينة)، كُُلٌّ مَنْ ذكرها من علماء اللغة والتاريخ والنسب والتراجم، كالعلامة ابن منظور في (لسان العرب)، والفيروز آبادي في (القاموس المحيط)، والزبيدي في (تاج العروس)، وابن عساكر (ت ٥٧١هـ) في (تاريخ دمشق)<sup>(٢)</sup>، والذهبي (ت ٧٤٨هـ) في (تاريخ الإسلام)<sup>(٣)</sup>، وغيرهم كما مرّ.



(١) الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير: ج ٣، ص ١٣٢.

(٢) أنظر: ابن عساكر، علي بن الحسن، تاريخ مدينة دمشق: ج ٦٩، ص ٢٠٦.

(٣) أنظر: الذهبي، محمد بن أحمد، تاريخ الإسلام: ج ١٨، ص ٤٠٦.

## مصرع عبد الله الرضيع رؤية تحليلية

الشيخ عبد الرزاق الندوي\*

### توطئة

هناك عدّة أسئلة تُثار حول نهضة الإمام الحسين عليه السلام، ومن بين تلك الأسئلة: لماذا خرج الحسين عليه السلام بطفله الرضيع نحو الأعداء يطلب له الماء، ألا يعرف الإمام قساوة هؤلاء القوم وجرأتهم على ارتكاب كلّ الموبقات، وأنّهم عبروا كلّ الخطوط الحمراء؟ هذا السؤال في الحقيقة يجرّنا إلى سؤال آخر، وهو: لماذا حمل الإمام عليه السلام عياله وأطفاله معه، وهو في طريقه إلى الحرب؟ أما كان الأفضل أن يتركهم في المدينة آمنين مطمئنين، ولا يعرضهم لخطر ومضاعفات الحرب، كما قد حصل فعلاً بعد واقعة الطفّ، حيث أسروا وسيروا سبايا إلى الكوفة ثمّ إلى الشام، وطيف بهم في البلدان؟ ونحن سنقدّم الإجابة عن هذا السؤال الأخير، ثمّ نعود للإجابة عن السؤال المرتبط بموضوع البحث.

### لماذا حمل الحسين عليه السلام عياله إلى كربلاء؟

يمكن الإجابة عن هذا السؤال بعدّة نقاط:

النقطة الأولى: أنّ بني أميّة لم يكونوا ليتورّعوا عن أسر عياله عليه السلام وسجنهم لو تركهم في المدينة، وبالتالي يُستخدمون كورقةٍ للضغط عليه، لأجل كفّه عن مواصلة

---

\* باحث وكاتب إسلامي، من العراق.

حركته، وليس ذلك بالغريب على السياسة الأموية<sup>(١)</sup>، فهم معرّضون للأسر سواء تركهم في المدينة أم حملهم معه، فالأولى حملهم معه وحفظهم طالما بقي حياً، وأمّا بعد استشهاده فالأمر لله، ولهذا نسمعه عليه السلام يوصيهم في الوداع الأخير بالصبر، فقد جاء في الخبر: «ثم إنه عليه السلام ودّع عياله ثانياً وأمرهم بالصبر، ولبس الأزر، وقال: اسْتَعِدُّوا لِلْبَلَاءِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَامِيكُمْ، وَسَيُنْجِيكُمْ مِنْ شَرِّ الْأَعْدَاءِ، وَيَجْعَلُ عَاقِبَةَ أَمْرِكُمْ إِلَى خَيْرٍ، وَيُعَذِّبُ عَدُوَّكُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ، وَيُعَوِّضُكُمْ عَنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةِ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ وَالْكَرَامَةِ، فَلَا تَشْكُوا، وَلَا تَقُولُوا بِاللِّسْتِكْمِ مَا يَنْقُصُ قَدْرَكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

ومّا يؤيد ذلك بالفعل أنّه عليه السلام كان يرتجز لهما حمي الوطيس:  
 أنا الحسين بن علي آليت أن لا أنثني  
 أممي عيالات أبي أمضي على دين النبي<sup>(٣)</sup>.

وحين حيل بينه وبين رحله صاح بهم عليه السلام: «ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان، إن لم يكن لكم دين، وكنتم لا تخافون يوم المعاد، فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا إلى أحسابكم، إن كنتم عرباً كما تزعمون»<sup>(٤)</sup>.

فناداه شمر: ما تقول يا بن فاطمة؟ قال عليه السلام: «أقول: أنا الذي أقاتلكم وتقاتلونني، والنساء ليس عليهنّ جناح، فامنعوا عتاتكم وجهالكم وطغاتكم من التعرّض لحرمي ما دمتُ حياً»<sup>(٥)</sup>، فهو عملياً كان يفيدهم بنفسه<sup>(٦)</sup>.

(١) كما فعل ذلك معاوية بن أبي سفيان مع عمرو بن الحمق الخزاعي صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد ذكروا أنّه لما هرب من جور معاوية وزياد ابن أبيه على الكوفة، واختفى في الموصل، أمر معاوية بزج زوجته في السجن؛ لكي تستخدم كورقة للضغط عليه وتسليم نفسه. أنظر: المقرم، عبد الرزاق، تنزيه المختار: ص ١٣.

(٢) المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٧٦.

(٣) الأمين، محسن، لوايح الأشجان: ص ١٨٤.

(٤) المصدر السابق: ص ١٨٥.

(٥) المصدر السابق.

(٦) أنظر: الصدر، محمد، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام: ص ١٠٣.

النقطة الثانية: لتتصور أنّ الحسين عليه السلام جاء إلى كربلاء ولم يجلب معه سوى الرجال، فكيف ستكون الصورة؟

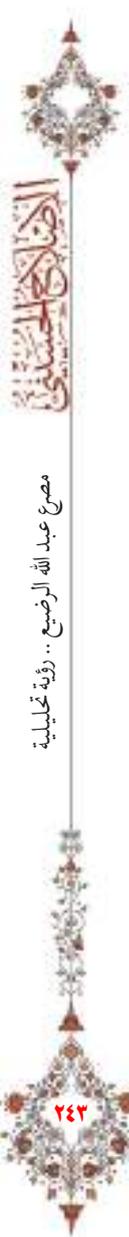
إنّ للحسين عليه السلام مقاماً سامياً في الأمة الإسلامية، وإنّ جيل الصحابة الذين رووا فضائله ومكانته وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله فيه لا يزالون موجودين، وقد قال عليه السلام في صبيحة عاشوراء: «أولم يبلغكم ما قال رسول الله لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنة؟! فإن صدقتموني بما أقول وهو الحق، والله ما تعدّدت كذباً منذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإنّ فيكم من لو سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!»<sup>(٧)</sup>.

وهذا يعني أنّ قتل الحسين عليه السلام لن يمرّ بسهولة، وسيصعق المجتمع المسلم، ولكن ليس بمستوى قتله ثمّ سبي عائلته من بلد إلى بلد، وما صحبه من مظالم أخرى، الأمر الذي سيشتغل بمجموعه زلزالاً يعصف بعرش الطاغية، فإنّ الناس لن يعذروا يزيد على سبي عيال الحسين عليه السلام الذين هم عائلة رسول الله صلى الله عليه وآله، والإمام عليه السلام كان يعلم أنّ عياله ستسبى بعد مقتله، وقد صرّح بذلك في مكّة بمقولته المشهورة: «شاء الله تعالى أن يراهنّ سبايا»<sup>(٨)</sup>.

والواقع أنّ سبيهم على يد السلطة الحاكمة الغاشمة آنذاك ساهم في كشف زيفها، وخبث أهدافها، وبعدها عن الدين، وعدائها لسيّد المرسلين صلى الله عليه وآله عملياً، فأوجب نفور المسلمين منها، وربما لا يكون قتل أولئك الأصحاب مع الإمام الحسين عليه السلام وحده كافياً لإظهار هذه الحقيقة، لقوّة الدعاية والإعلام الأمويّ المضللّ والمضادّ

(٧) المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ٩٨.

(٨) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين: ص ١٦٧.



للإمام عليه السلام، قال الشاعر:

وتشاطرت هي والحسين بدعوةٍ حتم القضاء عليها أن يندبا  
هذا بمشبتك النصولِ وهذه في حيث معتركِ المكاره والسبا<sup>(١)</sup>.

النقطة الثالثة: لا ريب في أن عملية التخطيط السليم يساهم مساهمة فعالة في إنجاح أي مشروع، ولهذا نجد أن الدول تخصص وزارة كاملة لهذا الأمر تسمى وزارة التخطيط، والإمام الحسين عليه السلام لم يكن يرتجل المواقف والقرارات، وإنما يحسبها ويحسب نتائجها بدقة.

ولأنه عليه السلام كان يرى أن القمع والإرهاب الذي مارسه السلطنة الأموية لم يدع مجالاً حتى للكلمة أن تنطلق، حيث قُطعت الأعناق المعارضة، وغُلَّت الأيدي المنابذة، وكُمِّت الأفواه الحرّة، وقد رأينا يزيد يهتف بإنكار الوحي متمثلاً:

لعبت هاشمٌ بالملكِ فلا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزل<sup>(٢)</sup>.

والمسلمون بمسمعٍ ومرأى، حيث كان المسجد غاصباً بالناس، ولم يجروا أحدًا أن يردّ عليه، لولا أن الحسين عليه السلام قد خطّط - من قبل - لمواجهة مثل هكذا إرغاعات، وأعدّها أفواهاً شجاعة وحرّة، تصدح بالحق؛ لتمارس الدعاية والإعلام ضدّ هذا الاستبداد والظلم الأموي، وضدّ الإعلام المضلل، وتقوم بالتعريف بأهداف نهضته النبيلة.

«وهذا التعريف المتأخّر عن ثورة الحسين عليه السلام ليس لأجل مصلحة الحسين نفسه، ولا لمصلحة أصحابه المستشهدين معه؛ لأنهم نالوا بالشهادة ما رزقهم الله (جلّ جلاله) من المقامات العالية في الدار الآخرة، وإنما هذا الإعلام أرادته الله سبحانه لأجل الناس وهداية المجتمع، فما يُقال من أنّه إكمالٌ لثورة الحسين عليه السلام يراد به الجانب الظاهري في الدنيا، لا الجانب الباطني في الآخرة.

(١) الحسن، عبد الله، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: ص ١٥٦.

(٢) أنظر: القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الحسين عليه السلام: ج ٢، ص ١٧٨.

وهذا التعريف كما يصلح أن يكون تبكيتاً وفضحاً لأعداء الحسين عليه السلام في كل جيل، وردعاً عن التفكير في مثل هذه الجريمة النكراء لكل حاكم ظالم على مدى التاريخ، كذلك يصلح لهداية الناس نحو الحسين...»<sup>(١)</sup>.

وقد قام الركب الحسيني بهذه المهمة خير قيام في أيام السبي العصبية، فالطاغية الذي ظل يهتف بإنكار الوحي في آياته المشار إليها، ما انبرى له أحد سوى عقيلة الطالبين عليه السلام، صارخة بوجهه: «... فمهلاً مهلاً، لا تطش جهلاً، أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرًا لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾»<sup>(٢)</sup>، وقد جاء هذا الردّ كالصاعقة على رأس الطاغية، ولم يستطع جواباً سوى أنه عجل بإخراج آل البيت عليهم السلام من الشام، وعودتهم لديارهم في المدينة. وهكذا اتسقت بيانات وخطابات الإمام السجاد عليه السلام وباقي العائلة، لتشكّل بمجموعها زلزالاً هدم عروش الطغاة على مرّ التاريخ، وأدّى إلى أفول دولة آل أبي سفيان بهلاك يزيد، وقد كان الطاغية عارفاً بحجم الخسارة التي مُني بها من تلك البيانات، حتى أنه رفض صعود الإمام السجاد عليه السلام على تلك الأعواد - بادئ ذي بدئ - حين طلب منه الإمام عليه السلام ذلك، «فقال الناس: يا أمير المؤمنين، ائذن له ليصعد، فعلنا نسمع منه شيئاً. فقال لهم: إن صعد المنبر هذا لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان، فقالوا: وما قدر ما يحسن هذا؟ فقال: إنه من أهل بيت قد زُقوا العلم زقاً. ولم يزالوا به حتى أذن له بالصعود»<sup>(٣)</sup>.

ولم يتمالك يزيد نفسه من سماع بيان الإمام عليه السلام الذي بدأ بالموعظة والتحذير من الدنيا، وانتهى بالتعريف بهؤلاء السبايا، حتى صاح بالمؤذّن أذن؛ ليقطع خطاب الإمام، ولم يكن قد حان وقت الصلاة، فلما وصل المؤذّن إلى قوله: (أشهد أنّ محمداً

(١) الصدر، محمد، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام: ص ١٠٥.

(٢) الأمين، محسن، أعيان الشيعة: ج ٧، ص ١٣٩.

(٣) الخوارزمي، مقتل الحسين عليه السلام، ج ٢، ص ٧٦.

رسول الله). قال الإمام عليه السلام - ولم يزل بعدُ على المنبر -: «يا يزيد، محمد هذا جدِّي أم جدُّك؟! فإن زعمت أنه جدك فقد كذبت، وإن قلت: إنه جدِّي، فلمَ قتلت عترته؟!»<sup>(١)</sup>، فأُميّط اللثام عن الوجه القبيح لسلطة الطلقاء، وتبخّرت دعاياتهم المضلّلة، وارتجّ المجلس بالبكاء والنحيب.

النقطة الرابعة: قال الشهيد محمد الصدر: «إن مقتضى القاعدة أن كلّ فردٍ صاحب حقٍّ إذا حُرِم من حقّه وأخذ منه الظالمون، فإنّه له الحقُّ أن يطالب بحقّه، وأن يذكّر المجتمع به، وأن يبرز حججه وبياناته على ثبوته ما أُوتي إلى ذلك من سبيل، وهذا لا ينبغي أن يكون محلّ شكٍّ إطلاقاً، والمهمُّ أن الأصل في كلّ ذي حقٍّ أن يدافع هو عن نفسه، ويطلب بحقّه، لا أن يدافع عنه غيره.

لكن حينما تقتضي المصلحة العامّة غير ذلك، فلا بأس أن يدافع الكثيرون عن الحقِّ المغصوب، والظلم المتراكم، ومن ذلك بكلّ تأكيد ما إذا لم يستطع صاحب الحقِّ أن يدافع عن حقّه لبعض الموانع، إذ يجب أن يدافع عنه الآخرون، ويذكّروا المجتمع بمظلمته، ويبرهنوا على صحّة حقّه...»<sup>(٢)</sup>.

ففي هذا النصّ نجد أن السيّد الشهيد يرى أن مبدأ الدفاع يمكن أن يكون بأحد شكلين:

الشكل الأوّل: أن يدافع المظلوم بنفسه عن نفسه، وهو الأوّل من حيث المبدأ والأصحّ.

الشكل الثاني: أن يدافع الآخرون عن المظلوم، فيما إذا لم يستطع الدفاع عن نفسه، ثمّ يضرب عليه السلام مثلاً للشكل الثاني، فيقول: «ومن ذلك أنّه قد يحصل في الإسلام أنّ الرجال لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم، فتدافع عنهم النساء، وقد حصل ذلك في الإسلام مرّتين: أوضحتها ما حصل بعد مقتل الحسين عليه السلام، حيث يكون الحسين

(١) المصدر السابق: ص ٧٨.

(٢) الجمعة الثالثة والعشرين، الخطبة الأولى من خطب السيّد محمد الصدر عليه السلام.

وأصحابه (سلام الله عليهم أجمعين) مستشهدين، قد فارقوا الدنيا، ولا مجال لهم بطبيعة الحال للدفاع عن أنفسهم، والأخذ بحقوقهم، وبيان ظلاماتهم، والاقتصاص من أعدائهم. ومن هنا كان أهمّ من تصدّى لهذا الإعلام الضروي، وإقامة الحجّة الرئيسيّة - بعد الشهادة - على الصديق والعدوّ، وعلى المؤالف والمخالف هي زينب العقيلة بنت علي أمير المؤمنين عليها السلام، ولولا موقف زينب عليها السلام وكلامها وإعلامها وخطاباتها لانطمست ثورة الحسين عليه السلام، واندرجت في طي النسيان، وكأتمّ لها تكن، فكان لا بدّ في الحكمة الإلهيّة أن تنضمّ تلك الثورة الكبرى، والتضحيات الجليلة إلى هذا الجانب الإعلامي المركز؛ لكي يثمر ثمرته، وينفع الأجيال بأثره كما قد حصل»<sup>(١)</sup>.

وهذه النقطة تختلف عن سابقتها بأنّها انتصارٌ للمظلومية التي تعرّض لها أبو عبد الله عليه السلام، وأمّا تلك فهي تنويهٌ بالأهداف النبيلة التي حملها ودعا إليها.

النقطة الخامسة: ويمكن أن يُقال في هذا المجال: إنّ الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يبرز دور المرأة المسلمة الرسالية، وأتمّها قدرة على لعب أدوار مهمّة، تؤدّي إلى قلب موازين المعركة مع الباطل، وهذا - في الحقيقة - فيه ردّ على من زعموا أنّ الإسلام حجر على المرأة، وامتهن كرامتها، وجواب عملي للردّ على هذه المزاعم، فهي المرأة تواصل طريق الثورة والانتفاضة، وتقود ركب الثائرين بالرغم من كلّ ما حلّ بها من مواعج وآلام، إلا أنّها لم تنكسر ولم تنثن ولم تسقط، فنسمعها حين يسألها الدّعي ابن مرجانة: كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟

«قالت: ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كُتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتُحاجّ وتُخاصم، فانظر لمن الفلج، هبلك أمك يا ابن مرجانة»<sup>(٢)</sup>.

لاحظ، كأنّها عليها السلام تريد أن تقول: إنّ كربلاء لها وجهان: وجه مظلّم تجسّدت فيه

(١) المصدر السابق.

(٢) ابن نما الحلبي، جعفر بن محمد، مثير الأحران: ص ٧١.

المأساة بكلّ معانيها، مع ما يصحبها من الألم واللوعة والدمعة، والوجه الآخر جميل، فيه التضحية والفداء والوفاء والإيثار والتفاني والمواساة، وكلّ المعاني الخيرة، وكأنتها تقول: أنا أرى جمال المنظر، فإن كنت تريد أن تكسري في هذه الكلمات فأنا غير منكسرة، أنا ابنة علي عليه السلام ذلك الجبل الأشم، وأخت الحسين عليه السلام ذلك البطل المقدم.

هذه هي المرأة المسلمة، وهذا ما يريده لها الإسلام، فالإسلام لم يمنع المرأة من أن تكون عالمة وفاضلة وأستاذة ودكتورة ومهندسة، ولكن كلّ ذلك ضمن إطار العفة والنزاهة، وأمّا أصحاب تلك المزايم، فيريدون منها أن تنغمس في وحل الشهوة، فتكون أكلة الآكل، وشربة الشارب، ويريدون منها أن تكون مبتذلة، تتصدّر صورها صفحات المجالات والفضائيات ووسائل التواصل الاجتماعي لإشباع غرائزهم.

**النقطة السادسة:** إنّ حمل الحسين عليه السلام لعياله وأطفاله معه سبّب تعاطفاً إسلامياً، بل إنسانياً عاماً تجاه حركته التي ما أراد من ورائها الحرب ولا سفك الدماء، وإنّما خرج تخلصاً من إلزامه ببيعة الطاغية، والنتيجة التي حصلت أنّ ساحة كربلاء امتلأت بالدماء والدموع، فتشكّلت كربلاء من لوحة تراجيدية لا نظير لها في تاريخ البشرية، لأنّنا في وقت واحد نرى أمّاً تنعى ولدها، وأختاً ترثي أخاها، ومرضعة تبكي رضيعها، وبتناً تندب أباهها، وأطفالاً يشكون العطش، وصغاراً صرعى سحقتهم الخيول، وأخبية محترقة، وبعض النسوة هنّ أكثر من فقيد، ففیهنّ من فقدت الزوج والولد، كليلى أمّ علي الأكبر، وبعضهنّ فقدت ولدين، كرملة أمّ القاسم، وبعضهنّ فقدت الإخوة والأولاد، كزينب العقيلة، وكلّ واحدة من هؤلاء النسوة لها أكثر من ألم ولوعة ومصاب؛ لأنّ القتلى كلّهم أهل بيت واحد، أبيدوا في ساعة من النهار، ومع كلّ هذه المصائب يؤخذون سبايا على إبل هزيلة من غير غطاء ولا وطاء، ويسيرون مئات الكيلو مترات.

إنّ هذه الصور المؤلمة وغيرها من مشاهد كربلاء جعلت العدو يتعاطف مع الحسين عليه السلام قبل الصديق، ومن أمثلة ذلك:

١- قال المقرّم وهو يصف مصرع السبط الشهيد: «ونادت أم كلثوم زينب العقيلة: وا محمداه، وا أبتاه، وا علياه، وا جعفراه، وا حمزاه، هذا حسين بالعراء، صريع بكر بلاء، ثمّ نادت: ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل. وانتهت نحو الحسين وقد دنا منه عمر بن سعد في جماعة من أصحابه، والحسين يجود بنفسه، فصاحت: أي عمر، أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر إليه؟! فصرف بوجهه عنها، ودموعه تسيل على لحيته»<sup>(١)</sup>.

٢- وقال: «ودعا يزيد برأس الحسين عليه السلام، ووضعه أمامه في طست من ذهب، وكان النساء خلفه، فقامت سكينه وفاطمة يتطاولان للنظر إليه، ويزيد يستره عنها، فلما رأيته صرخن بالبكاء، ثمّ أذن للناس أن يدخلوا، وأخذ يزيد القضيب، وجعل ينكت ثغر الحسين، ويقول: يوم بيوم بدر، وأنشد قول الحصين بن الحمام:

أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت      قواضب في أياننا تقطر الدما  
نُفلق هاماً من رجال أعزّة      علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

فقال يحيى بن الحكم بن أبي العاص أخو مروان، وكان جالساً عنده:

هام بجنب الطفّ أدنى قرابة      من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل  
سمية أمسى نسلها عدد الحصى      وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

فضربه يزيد على صدره، وقال: اسكت لا أم لك»<sup>(٢)</sup>.

٣- «ثمّ أخرج الرأس من المجلس، وُصّلب على باب القصر ثلاثة أيام، فلما رأت هند بنت عمرو بن سهيل - زوجة يزيد - الرأس على باب دارها، والنور الإلهي يسطع منه، ودمه طري لم يجف، ويُسّم منه رائحة طيبة، دخلت المجلس مهتوكة الحجاب، وهي تقول: رأس ابن بنت رسول الله على باب دارنا. فقام إليها يزيد وغطّاها، وقال لها: اعولي عليه يا هند، فإنّه صرّخة بني هاشم عجل عليه ابن زياد»<sup>(٣)</sup>.

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٨٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٥٤.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٥٥-٣٥٦.

لاحظ أن التعاطف مع الحسين عليه السلام يصدر من القائد الأعلى للجيش المعادي، ومن ابن عمّ الخليفة، وزوجته، وهذا التعاطف تُرجم إلى شجب واستنكار من ابن عمّ الخليفة يحيى بن الحكم، وزوجة الخليفة هند بنت عمرو، وإذا كان هذا الحال داخل قصر الطاغية ومن المقرّبين منه فكيف بباقي المسلمين وغير المسلمين؟! <sup>(١)</sup>.

وهكذا بدأت تتسع دائرة الرفض والشجب والاستنكار؛ لما فعله الطاغية، حتى تحوّل في مرحلة لاحقة إلى ثورة تتبعها ثورة، كثورة التوّابين، ثم ثورة المختار، وتلتها ثورات العلويين، حتى صار رفض الظلم والجور والاستبداد صفة أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، واتّسعت الدائرة لتشمل شعراء وأدباء من خارج دائرة الإسلام، يتعاطفون مع الحسين عليه السلام، كيولس سلامة، وعبد الرزاق عبد الواحد، وأنطوان بارا، وغيرهم كثير، حتى أصبحنا اليوم نرى المسيرات الحسينية تطوف شوارع مدن العالم بأسره، والناس - كلّ الناس، ومن مختلف الأديان - يتعاطفون مع هذا الثائر المظلوم، وقد يكون هذا التعاطف سبباً للهداية ومعرفة الحقّ.

فاليوم نجد الغالب من الذين يدخلون الإسلام يدخلونه من بوابة الحسين عليه السلام، والذين يدخلون التشيع يدخلونه من البوابة ذاتها، حتى عنون بعضهم كتابه الذي يحكي فيه قصة الانتقال من مدرسة الصحابة إلى مدرسة آل البيت عليهم السلام بعنوان (لقد شيّعني الحسين) <sup>(٢)</sup>، ولعلّ هذا هو أحد تفسيرات الفتح العظيم الذي بشر به عليه السلام.

(١) كما حصل في مجلس يزيد، حيث «التفت رسول قيصر إلى يزيد، وقال: إنّ عندنا في بعض الجزائر حافر حمار عيسى، ونحن نحجّ إليه في كلّ عام من الأقطار، ونهدي إليه النذور ونعظّمه كما تعظّمون كتبكم، فأشهد أنّكم على باطل. فأغضب يزيد هذا القول، وأمر بقتله، فقام إلى الرأس وقبّله، وتشهد الشهادتين...». المصدر السابق: ص ٣٥٥.

(٢) للباحث والإعلامي المغربي الأستاذ إدريس الحسيني، أقول: ومن اللطائف أنّني عندما ذهبت للحج كان معنا في تلك الرحلة وفي نفس الحملة الأستاذ الدكتور صائب عبد الحميد، فسألته كيف تحوّلت للتشيع؟ فقال: كانت لدي تساؤلات وإشكالات على التاريخ الإسلامي لم أحصل على إجابة شافية لها، والمهم أنّني وفي يوم ما، وكان اليوم العاشر من المحرم، بدأ بث مقتل الحسين عليه السلام، فجلست أستمع إليه بإصغاء، وما إن انتهى القارئ من تلاوة المقتل حتى نهضت وتوضأت وضوء الشيعة، وغادرت المدرسة الأخرى.

بمقولته الخالدة: «مَنْ لَحِقَ بِنَا اسْتَشْهَدَ، وَمَنْ لَمْ يَلْحَقْ لَمْ يَدْرِكِ الْفَتْحَ»<sup>(١)</sup>.

إذن؛ كان من الأدوار المرتبطة بهذه العائلة هي شحن هذه النهضة بالعاطفة التي سببت هذا الزخم الذي استقطب القلوب والعقول بشكل لا نظير له على الإطلاق. وزبدة المخض: أننا نستطيع القول: إن جميع الذين حملهم الحسين عليه السلام معه إلى الطفّ - سواء كانوا رجالاً أو نساءً أو أطفالاً - كانت لهم أدوار هنا وهناك بشكلٍ وبآخر، ولم يحملهم اعتباراً ومن دون تخطيط، ثم إن الحسين عليه السلام لو لم يحمل العيال معه لما قُتِلَ هذا الطفل الذي هو محلّ البحث.

### دور عبد الله الرضيع

لقد كانت ملحمة الطفّ رسالة بكلّ فصولها، بل إن كلّ فصل وموقف من فصولها رسالة بحدّ ذاتها، فجاءت متكاملةً بكلّ أبعادها، من خروج الحسين عليه السلام بعياله من المدينة حتى رجوعهم إليها.

ومن بين تلك المواقف يطالعنا موقفٌ يدمي القلب، وهو الموقف الذي صُرع فيه عبد الله الرضيع عليه السلام، فبعد أن قُتِلَ أصحاب الحسين عليه السلام وأهل بيته، «دعا بولده الرضيع يودّعه، فأنته زينب بابنه عبد الله، وأمّه الرباب، فأجلسه في حجره يُقبّله، وهو يقول: بُعداً لهؤلاء القوم إذا كان جدُّك المصطفى خصمهم. ثم أتى به نحو القوم يطلب له الماء، فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فذبحه، فتلقى الحسين عليه السلام الدم بكفّه، ورمى به نحو السماء»<sup>(٢)</sup>، وهو يقول: «والله، لأنّك أكرم على الله من الناقة، ولمحمّد أكرم على الله من صالح»<sup>(٣)</sup>، ثم قال: «هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله، اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح»<sup>(٤)</sup>.

(١) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٤٥، ص ٨٧.

(٢) المقرم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٧٢.

(٣) أنظر: اليعقوبي، أحمد، تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٢٤٥.

(٤) أبو الفرج الإصهفاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٦٠.

وهنا يمكن أن تثار حول هذا الموقف أسئلةٌ عديدةٌ منها:

- هل كان الحسين عليه السلام عالماً بأنّ الأعداء سيقتلون الطفل؟
- هل كان السبب الحقيقي لخروج الحسين عليه السلام بالطفل هو طلب الماء؟
- وإذا لم يكن طلب الماء هو السبب، فما هو الدافع الحقيقي لخروجه بالطفل؟
- لماذا رمى الحسين عليه السلام بدم الطفل نحو السماء؟

السؤال الأول: هل كان الحسين عليه السلام يعلم بأنّ الأعداء سيقتلون الطفل؟

الجواب: لا ريب في أنّ الحسين عليه السلام كان يعلم بأنّ الأعداء سيقتلون ذلك الطفل؛ لأنّ قتله ليس بأعظم من قتل الإمام عليه السلام نفسه، وقد أكّد الحسين عليه السلام هذا المعنى بنفسه، حين صاح بصوتٍ عالٍ: «يا أُمَّة السوء، بئسما خلفتم محمّداً في عترته، أما إنكم لا تقتلون رجلاً بعدي فتهابون قتله، بل يهون عليكم ذلك عند قتلكم إِيَّاي»<sup>(١)</sup>.

فبعد أن تآزروا على قتل الإمام عليه السلام وانتهاك حرمة، فلن يتورّعوا عن أيّ فعلٍ، ولو كان قتل طفلٍ رضيعٍ، فالحسين عليه السلام كان يعرف أنّ القوم سيقتلون الطفل من ظاهر الحال وسير الأحداث، فضلاً عن العلم الإلهامي الذي نعتقده في المعصوم<sup>(٢)</sup>.

السؤال الثاني والثالث: هل كان السبب الحقيقي لخروج الإمام الحسين عليه السلام بالطفل هو طلب الماء؟ وإذا لم يكن طلب الماء هو السبب، فما هو الدافع الحقيقي لخروجه بالطفل؟ وإذا كان الحسين عليه السلام يعرف هذه النتيجة (قتل الطفل)، فلماذا يُجرّجه إلى الأعداء ويطلب له الماء؟ وبعبارةٍ أدقّ: ما هو الدافع الحقيقي لخروج الإمام عليه السلام بالطفل وعرضه أمام الأعداء؟

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٧٨.

(٢) لا إشكال في أنّ الحسين عليه السلام كان يعلم بنتائج المعركة، بل بتفاصيلها، وقد دلّ على ذلك الكثير من كلماته عليه السلام قبل المعركة وفي أثناءها، وأهمّ تلك الكلمات خطبته في مكة ليلة الثامن من ذي الحجّة، حيث يقول: «... كأني بأوصالي هذه تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكر بلاء، فيملأن منّي أكراشاً جوفاً وأجربةً سُنْبِياً، لا محيص عن يومٍ حُطّ بالقلم...». الإربلي، علي بن عيسى، كشف الغمة: ج ٢، ص ٢٣٩.

الجواب: يمكن أن نجيب عن هذا السؤال بعدة وجوه، وكلّ وجه من هذه الوجوه يمكن أن يكون هدفاً للإمام الحسين عليه السلام:

الوجه الأول: أن التكليف الشرعيّ أملى على الإمام الحسين عليه السلام حمل الطفل وعرضه أمام الجيش وطلب الماء له؛ لأنّه أشرف على الهلاك من شدّة الظمّ، كما أنّ أمّه لا تقوى على رضاعه لنفس السبب، فكان لزاماً على الإمام عليه السلام أن يسعى لحفظ هذه النفس المحترمة البريئة من التلف؛ لأنّ ترك الطفل على ذلك الحال في الخيام سيؤدّي به قطعاً إلى الهلاك.

فأقدم الإمام عليه السلام على حمل الطفل وعرضه أمام الجيش تخلّصاً من المسؤولية الشرعية، وإبراء لدمته، وجعل الجيش المعادي أمام الأمر الواقع، وتحمله هذه المسؤولية.

الوجه الثاني: ما ذكره الشهيد محمد الصدر رحمته الله من «إقامة الحجّة على الأعداء، وفضحهم في النتيجة؛ إذ يثبت بالحسّ والعيان مقتلهم<sup>(١)</sup> للأطفال والعزّل، وهو أمرٌ يثبت على عدّة مستويات:

منها: أمام أفراد الجيش المعادي نفسه، ومنها: أمام الجيل المعاصر للحسين عليه السلام، ومنها: أمام الأجيال المتأخّرة عنه، ودلالة ذلك ما سمعناه عن المؤرّخين من وقوع الخلاف بين أفراد الجيش المعادي، فقال بعض المنصفين منهم: إذا كان ذنب للكبار فما ذنب الأطفال [أو الصغار]، وقال بعض المعاندين: لا تبقوا لأهل هذا البيت باقية، فقد حصل التمحيص والامتحان آتياً، فضلاً عن إقامة الحجّة في المدى القريب والبعيد.

وينبغي أن نلتفت أيضاً إلى أنّ هذا المستوى من التفكير يقتضي التسليم بأنّ الحسين رأى أنّ إقامة الحجّة أمام الأعداء ذو<sup>(٢)</sup> مصلحة أكيدة، حتى فدى في سبيلها ولده

(١) كذا في النسخة، والأولى أن يقول: قتلهم.

(٢) هكذا في النصّ، والصحيح: ذات.

الرضيع، وهذا أمرٌ مقنّعٌ وجداناً؛ لأنّ ما حصل من فضيحة هؤلاء لم يكن له مثيل»<sup>(١)</sup>.  
الوجه الثالث: أنّ خلود أيّ فكرة أو أطروحة اجتماعية يقوم على دعمتين أساسيتين:

الأولى: خطاب واعٍ ينظم مصالح المجتمع، ويحلّ مشاكلهم، ويتبنى قضاياهم.  
الثانية: عاطفة تشدّهم للأطروحة، وتدفعهم للتفاعل معها، والدفاع عنها.  
أما الدعامة الأولى، فقد تكفّل بها القرآن الكريم والسنة الشريفة، اللذان قدما للمجتمع تشريعاً عادلاً كاملاً، يتكفّل سعادتهم ما عاشوا.

وأما الدعامة الثانية، فقد أشار إليها القرآن الكريم في الكثير من الآيات التي تأمر بالموادّة تجاه الله ورسوله والمؤمنين، حتى وصل الأمر إلى أنّ النبي ﷺ ينفي الإيمان عمّن لا يحبّه، فيقول بحسب الرواية: «والذي نفسي بيده، لا يؤمنن عبدٌ حتى أكون أحبّ إليه من نفسه وأبويه وأهله وولده والناس أجمعين»<sup>(٢)</sup>.

ولكن بما أنّ العاطفة مرتبطة بالوجدان، فربما لا يكفي في حصولها الدعوة لها، فهي بحاجة إلى باعث وجداني، وقد قيل: إنّ منشأ الحبّ جمال المحبوب، فالناس يحبّون الكرم والشجاعة - مثلاً - لجمالها، فإذا تجسّدت هذه القيم الجمالية في شخص صار محبوباً، ولهذا أحبّ الناس رسول الله ﷺ؛ لأنّه كما وصفته أمّ المؤمنين عائشة: «كان خلقه القرآن»<sup>(٣)</sup>، وهكذا الحسين عليه السلام الذي تجسّدت فيه كلّ القيم النبيلة كجدّه المصطفى ﷺ.

ثمّ إنّ الشجاعة والبطولة من أقوى عوامل الشدّ والحبّ، فالناس بطبيعتهم يحبّون البطل، ونحن نقرأ في زيارة الحسين عليه السلام يوم الأربعاء: «السلام عليك يا بطل

(١) أنظر: الصدر، محمد، أضواء على ثورة الحسين عليه السلام: ص ١٩٤.

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٢، ص ٨٨.

(٣) ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج ٦، ص ٩١.

المسلمين»<sup>(١)</sup>، فإذا تعرّض هذا الرمز البطل إلى الظلم والاضطهاد ازداد الناس تعلقاً به وبأهدافه، فإذا أريق دمه ظلماً وعدواناً، تحوّل دمه إلى الزيت الذي يضيء مصباح الأفكار التي حملها، واستشهد من أجلها؛ لأنّ الدم من أقوى البواعث الوجدانية على الحبّ والعاطفة.

والطفولة بعد ذلك عنوان البراءة، والتعامل معها ميزان الإنسانية، وإذا لم تقتصر تضحية الحسين عليه السلام على نفسه، بل قدّم أبناءه وإخوته وبنو عمومته، كان المشعل الذي حمله يزداد توهّجاً، حتى وصل الدور لهذا الطفل البريء، فحوّل الليل إلى نهار، وشدّ القلوب والأرواح والعقول والنفوس إلى الأهداف السامية التي حملها الحسين عليه السلام ودافع عنها.

إننا لو مررنا على حضارات العالم القديمة والحديثة، فسند أن الكثير من الملوك والقادة حاولوا أن يتركوا آثاراً من بعدهم في مجتمعاتهم لتخلّد لهم، وغالباً ما تكون تلك الآثار صروحاً من البناء الضخم، كإهرامات مصر، وجنائن بابل المعلقة، وملويّة سامراء، وغيرها، وهذا ينمُّ عن وجود غريزة حبّ الخلود لديهم، فأشبعوها بهذه المظاهر، وقد غفلوا عن أنّ الحبّ والعاطفة لا تصنعها الحجارة التي لا تلبث حتى تنهار. والحسين عليه السلام أراد الخلود والدوام، لكن لدين الله وشريعته لا لذاته ولا لغريزته، وبما أنّه رمز كبير من رموز هذه الأمة، أشار إليه النبي ﷺ وحثّ على التمسك به<sup>(٢)</sup>، فخلود نهضته خلود للدين، وحياة فكرته حياة لشريعة سيّد المرسلين، ولهذا سعى لبناء صرح في القلوب، وشتان بين ما بناه الحسين عليه السلام، وما بناه أولئك القادة والملوك،

(١) القمي، عباس، مفاتيح الجنان: ص ٦٥٤.

(٢) جاء في كثير من الروايات إلفات النظر لمكانة الحسين عليه السلام، منها: «الحسن والحسين سيّد شباب أهل الجنّة»، ومنها: «ابناني هذان إمامان قاما أو قعدا»، ولزيد من الفضائل أنظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٢٣-٢٢٤، وما بعدها.

فالحجارة وإن صمدت عبر القرون، إلا أنّها أثّر جامدٌ لا يضرُّ ولا ينفع، بل ولا يحرّك المشاعر والعواطف التي تشدُّ الإنسان، أمّا الدم، فإنّه من أقوى مظاهر الخلود، وأشدّها تأثيراً في النفوس، ولنعم ما قال الشاعر:

فمِلْ لنرى صرحاً أقيمَ على دمٍ      تيمّمَ وجهَ الله وهو رفيعُ  
وشتانَ بين الصرحِ تبنيه صخرةٌ      وآخرَ تبنيه حشاً وضلوعُ

ولعلّ هذا هو أحد تفسيرات ما روي عن النبي ﷺ: «حسين منّي وأنا من حسين»<sup>(١)</sup>، لأنّ الارتباط بالحسين ﷺ ارتباط بالدين، وبخلود أهل البيت ﷺ يخلد النبي ﷺ، بل الأنبياء ﷺ ورسالاتهم على طول الخط، ومن أجل ذلك كلّ جاد الحسين ﷺ بتلك الدماء الطاهرة، التي أعطت لثورته هذا الزخم من العاطفة والخلود.

ولذا هان على الحسين ﷺ كلُّ تلك الأضاحي، حتى وصل الدور إلى الرضيع، فجاد بدمه؛ ليضيف إلى عدد الضحايا رقماً آخر جوهرياً، وقد سبّب ذلك زخماً من العاطفة والشدّ نحوه ﷺ.

الوجه الرابع: موقف الحسين ﷺ هو الحقُّ الصريح، لكن في كثيرٍ من الأحيان لا ينفع طرح النظريات، ولا إلقاء الخطب والبيانات، ولا عرض الأدلّة والبراهين، لإقناع الناس، وكسب رأي الجماهير صوب الحقِّ، من دون المواقف الحيّة على مسرح الحياة. وعلى سبيل المثال: جهد كل من الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن ﷺ في أن يبيّنا للأمة حقيقة بني أمية، وأنهم أعداء لله تعالى ولرسوله ﷺ وللإنسانية، ويريدون هدم الدين من الداخل، فعجزوا عن ذلك، وكانت ردود فعل الأمة هزيلة، ولم تنفع كلّ تلك البيانات، ممّا اضطر الإمام الحسن ﷺ إلى أن يسلم الأمر لمعاوية؛ ليثبت للأمة عملياً حقيقة بني أمية، وقبح وجههم، وقذارة فعلهم، فاكشفت الأمة ذلك

(١) ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٢٤.

بعد فوات الأوان، وبعد أن كُسرت إرادتها، فجاءت نهضة الحسين عليه السلام لتشكّل صعقة توقظ الأمة من رقدتها، وتدفع بها للميدان، لتتحمّل مسؤوليتها.

ومحلّ الشاهد: أنّ الإمام الحسين عليه السلام أراد أن يشحن المعركة بالمواقف التي تُثبت أنّ هذا الجيش معادٍ للإنسانية، فضلاً عن الإسلام؛ ليكسب بذلك مشاعر وعواطف ورأي الجماهير على مرّ العصور، وهكذا كان.

فتراه تارةً بعد مصرع العباس - لما بقي وحيداً فريداً - ينادي: «أما من مغيثٍ يغيننا؟ أما من مجرٍ يجيرنا؟ أما من طالبٍ حَقَّ ينصرنا»<sup>(١)</sup>، وتارةً أخرى يطلب الماء بعد أن أعياه نزع الدم وضعف عن القتال، وهو يعلم علم اليقين أنّ القوم ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، فلا حين استنصر نصره، ولا حين استسقى سقوه، فخروجه بالرضيع يطلب له الماء من أمثال هذه المواقف، وهي كثيرة، فهو عليه السلام أراد أن يثبت حتى لجيش العدو في تلك الساعة: أنّ السلطة التي تحرم طفلاً رضيعاً من الماء سوف لن تعيشوا معها بحريّة ولا عزّة ولا كرامة، كما أنّ فعله هذا أثبت للأجيال المتعاقبة صواب موقفه، ورعونة الأمويين وبشاعة جرائمهم.

والواقع أنّ الحسين عليه السلام حقّق هذا الهدف أيضاً، فالناس من كلّ الملل والنحل، وليس من المسلمين فحسب، وفي كلّ العصور، يتعاطفون مع الحسين عليه السلام ونهضته النبيلة، ويتفاعلون معها، ويصوّبون موقفه، ويمجّدون تضحيته، وهذا أيضاً يصبُّ في مصلحة الدين<sup>(٢)</sup>.

(١) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٧٠.

(٢) والشواهد على ذلك كثيرة: منها: قصيدة عبد الرزاق عبد الواحد الصابئي الديانة، ومنها: قصيدة للشاعر المسيحي بولس سلامة. أنظر: الدراجي، محمد عباس، القصائد الخالدات في حبّ أهل البيت عليهم السلام: ص ١٤١.

ومنها: المقولة المشهورة لغاندي البوذي الديانة: (علمني الحسين أن أكون مظلوماً لأنتصر)، ومنها: كتاب منصف للكاتب المسيحي (أنطوان بارا) تحت عنوان (الحسين في الفكر المسيحي) مجّد فيه الحسين عليه السلام، وقارن بينه وبين المسيح عليه السلام.

والمثال يرى أنّ أغلب أولئك القوم تأثروا بالإسلام من خلال الحسين عليه السلام، كما تقدّمت الإشارة إلى ذلك في نقطة سابقة.



وهنا يطيب لي أن أعلق قليلاً فأقول: إنَّ الإنسان مرّةً يكون متفاعلاً ومرّةً يكون فاعلاً، والحسين عليه السلام لم يرد التفاعل فقط، خصوصاً من المسلمين، بل أراد الفعل؛ لأنَّ التفاعل قد يحصل من كلِّ إنسان، فإنَّك لو عرضت حادث الرضيع أو كربلاء بشكل عام على مسيحي، أو صابئي، أو بوذي، أو من أيِّ ملة كان فإنه سيتعاطف ويتفاعل وتذرف دموعه، وهذا جيد بالنسبة لهؤلاء، أما المسلم المفروض أنه يكون متفاعلاً وفاعلاً، أعني أن تنزف دماؤه قبل دموعه لو اقتضى ذلك الذبَّ والدفاع عن الدين، كما فعل الإمام الحسين عليه السلام.

الوجه الخامس: أنَّ الحسين عليه السلام أراد أن يقدم الأُسوة والقُدوة والمثل الأعلى للتضحية بأعلى مستوياتها، فلم يترك جانباً من جوانب التضحية إلا وأثراه بالضحايا، فقدّم الأَصحاب، والإخوة، والأولاد، شباناً، وكهولاً، ورضعاناً، وجاد بالنفس وهي آخر ما يملك، وترك من خلفه عيالاً بين الأعداء، ولسان حاله يقول:

تركتُ الخلق طراً في هواكا      وأيتمتُ العيالَ لكي أراكا  
فلو قطعني بالحَبِّ إرباً      لما مالَ الفؤادُ إلى سواكا<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أنه أراد أن يقول بلسان الحال لكلِّ مسلم غيور: إنَّ هذا الدين الحنيف غالٍ ونفيس، ولا يمكنه الدوام من دون تضحية، فإذا اقتضى أن تضحي بأصحابك، أو إخوتك، أو أبنائك، أو رضعانك، أو نفسك، أو أسرتك فافعل!! فليس أصحابك خيراً من أصحابي، ولا إخوتك خيراً من إخوتي، ولا أبنائك خيراً من أبنائي، ولا نفسك خيراً من نفسي، ولا عيالك خيراً من عيالي، فتأمل واعتبر:

وماذا أروعُ من أن يكونَ      لحُمكَ وقفاً على المبضعِ  
وأن تتقي دون ما ترتبي      ضميرك بالأسل الشرعِ  
وأن تطعم الموت خيراً البنين      من الأكهلين إلى الرضعِ<sup>(٢)</sup>.

(١) أنظر: مغنية، جواد، الشيعة في الميزان: ص ٤٥٤.

(٢) أنظر: الحسن، عبد الله، ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: ص ١١٦.

السؤال الرابع: لماذا رمى الحسين عليه السلام بدم الطفل نحو السماء؟

الجواب: قد يكون هذا السؤال من قبيل: لماذا صلاة الصبح ركعتان؟ أو لماذا الصوم شهرًا لا أكثر ولا أقل؟ فتكون الإجابة متعددة؛ لأن كثيراً من أسرار التشريع الواقعية لا يعلمها إلا الله ومن ارتضى، وإن أعطيت لها تفسيرات وتأويلات كما في كتاب (علل الشرائع)<sup>(١)</sup>.

وكذلك أسرار بعض تصرفات المعصومين عليهم السلام التي لا يعلمها إلا الله تعالى، ولكن يمكننا استكشاف بعض تلك الأسرار من خلال المروي عنهم عليهم السلام.

فنقول في مقام الجواب: إن الحسين عليه السلام - لما رمى دم الطفل نحو السماء - قال: «اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل ناقة صالح»<sup>(٢)</sup>، ثم دعا على القوم قائلاً: «رب إن تك قد حبست عنا النصر من السماء فاجعله لما هو خير، وانتقم لنا من الظالمين»<sup>(٣)</sup>.

فكأنه عليه السلام أراد أن يقول: يا رب، لقد أهلكت ثمود، لأنهم عقروا الناقة وقتلوا فصيلها، وإن نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم أكرم من صالح عليه السلام، وأنا أكرم من الناقة، والرضيع أكرم من فصيلها، فأنزل على هؤلاء غضبك ونقمتك كما أنزلتها على أولئك.

فكان المفروض أن يحل بساحتهم البلاء، خصوصاً أن شروط استجابة الدعاء مكتملة بلا ريب، ولكنه عليه السلام بأخذه لذلك الدم الطاهر ورميه نحو السماء كأنه جعل الأمر متعلقاً بالحكمة الإلهية، فإن كانت المصلحة تقتضي معاجلتهم بالعقوبة فيها، وإلا فله الأمر من قبل ومن بعد، تأسياً منه عليه السلام بما فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، حيث كان يتناول بيده ما يسيل من دمه، فيرميه في الهواء، فلا يترجع منه شيء، قال الصادق عليه السلام: «والله لو سقط منه شيء على الأرض لنزل العذاب»<sup>(٤)</sup>، وهذا الكلام استظهار من هذه الرواية.

بل ربما يستظهر من الرواية أن الحسين عليه السلام - بقذف ذلك الدم نحو السماء - قد

(١) كتاب جمع الروايات التي تدور في فلك علة الأحكام.

(٢) أبو الفرج الإصفهاني، علي بن الحسين، مقاتل الطالبين: ص ٦٠.

(٣) ابن كثير، إسماعيل، البداية والنهاية: ج ٨، ص ٢٠٣.

(٤) المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار: ج ٢٠، ص ٩٦.

طلب من الله تعالى تأجيل العذاب؛ حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً<sup>(١)</sup>؛ لأنه لو لم يرم به نحو السماء لنزل إلى الأرض قطعاً، فكان ذلك التصرف لطفاً من الحسين عليه السلام بالأعداء! كيف لا وهو امتداداً لمن بُعث رحمةً للعالمين.

وقد كان لذلك الدم أثره في عالم التكوين، حيث ظهرت الحمرة في الآفاق، وأمطرت السماء دماً كما في بعض الروايات<sup>(٢)</sup>.

قال آية الله الشيخ محمد حسين الإصفهاني رحمته الله:

من دمه الزاكي رمى نحو السما      فما أجمل لطفه وأعظما  
لو كان لم يرم به إليها      لساخت الأرض بمن عليها  
فاحمرت السماء من فيض دمه      ويل من الله لهم من نقمه<sup>(٣)</sup>.

وينبغي أن نلتفت إلى أن الحسين عليه السلام رمى بالدم نحو السماء في ثلاثة مواقف:  
الأول: عند مصرع علي الأكبر<sup>(٤)</sup>.

الثاني: عند مصرع الرضيع<sup>(٥)</sup>.

(١) قد يقال: كيف يمكن تفسير آية عليه السلام دعا عليهم بالعذاب حين قال: «وانتقم لنا من الظالمين»، ثم يطلب تأجيل العذاب؟

ويمكن الإجابة عن ذلك بأمرين:

الأول: أنه عليه السلام يطلب تأجيل العذاب عنهم لعلمهم يرجعون عن الغي، ويدعون للحق، رغم كل ما ارتكبه من فظائع.

الثاني: وإن قيل: إنه عليه السلام كان يعلم بأنهم معاندون لا يرجعون عن غيهم، قلنا: إن ذلك يدل على أنه عليه السلام راض بقضاء الله وقدره وعدم معاجلتهم بالعقاب حتى نهاية المطاف، لذا كان يطلب التأجيل إن كانت حكمته تعالى تقتضي ذلك، ولا منافاة بين طلب العذاب مع تأجيله.

(٢) أنظر: ابن قولويه، جعفر بن محمد، كامل الزيارات: ص ١٨٨. المفيد، محمد بن محمد، الإرشاد: ج ٢، ص ١٣٢. المحمودي، محمد باقر، عبرات المصطفين: ج ٢، ص ١٩، وما بعدها.

(٣) الإصفهاني، محمد حسين، الأنوار القدسية: ص ١٥٢.

(٤) المقرّم، عبد الرزاق، مقتل الحسين عليه السلام: ص ٢٦٠.

(٥) المصدر السابق: ص ٢٧٢.

الثالث: عند مصرعه هو عليه السلام (١).

وفي كل هذه المواقف لم تنزل قطرة واحدة، وهذا يعني أن البلاء كاد يحلُّ بالأعداء ثلاث مراتٍ، والحسين عليه السلام يطلب اللطف بهم من الله لعلهم يرجعون:  
ورأيتك النفس الكبيرة لم تكن حتى على من قاتلوك حقوداً (٢).

(١) المصدر السابق: ص ٢٧٩.

(٢) من أشعار الدكتور الشيخ أحمد الوائلي. شبكة الكفيل: <https://forums.alkafeel.net>.



# أثر الشعائر الحسينية في نشر فكر أهل البيت عليهم السلام في القارة الإفريقية نماذج مختارة

إعداد: د. حيدر عبد الجليل الحربية\*

## الشعائر الحسينية في زنجبار

تتجاوز نسبة المسلمين الشيعة بين المسلمين اليوم في زنجبار (التابعة إلى تنزانيا) الـ(١٠٪)، وهم يتواجدون في: دار السلام، وليندي، وتانغا، وسنفيدي، وتابورا، ومتوارا، ومبيا، وعروشا، وكيوندا، وزنجبار. وللشيعة العديد من المساجد والحسينيات الخاصة بهم، منها: (مسجد كيزمكازي) أو (شيرازي)، الذي يشكّل مصدرَ فخر للسكان المحليين؛ إذ إنّ له تأريخاً مدهشاً له صلة ببناؤه، ولا يزال يُمثّل التواجد الإسلامي الذي جاء به الإيرانيون حاضراً من خلال هذا المسجد القديم، الذي يحمل هذا الاسم، ويُعرف هذا المسجد الجامع محلياً أيضاً باسم (مسجد شيرازي ديمباني)، وهو يقع بالقرب من قرية صيادين التي تقع إلى الجنوب من ستونتاون، ويزيد عمر المسجد على مائتي عام، ومع هذا ما زالت بنيته صلبة قويّة، وتزين جدران المسجد الأمامية ومحراه عبارات من القرآن الكريم، نُحتت بالأحرف الصوفية.

وأيضاً هنالك (مسجد الخوجة) في دار السلام، و(مسجد أهل البيت عليهم السلام)، و(مسجد أنصار الإمامية) و(مسجد جمعية الخوجة الشيعة) في عروشا، و(مسجد كيوندا) في زنجبار.

---

\* جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الإسلامية/ قسم التاريخ، من العراق.

أما الحسينيات، ففي زنجبار حسينيات بعدد المعصومين الأربعة عشر عليه السلام، منها: (حسينية المأتم)، التي يرجع تأريخ بنائها إلى ما قبل (١٤٠) عاماً، وفي العاصمة هناك (الحسينية الحيدرية)، و(حسينية أبي الفضل العباس عليه السلام).

إضافةً إلى ذلك وجود المراكز والمدارس الدينية، ومن أهم مراكز الشيعة في البلاد: (مركز دار الهدى)، وهو مركز ومدرسة لها فروع عديدة، و(مركز بلال مسلم)، و(مركز ياز)، و(مركز السيد الخوئي رحمته الله)، و(مدرسة أهل البيت عليهم السلام)، و(مدرسة الزهراء عليها السلام) في العاصمة، بالإضافة إلى مراكز أخرى موزعة في البلاد، مثل (حوزات أهل البيت عليهم السلام)، و(حوزة ولي العصر عليه السلام) في عروشا، ويانكان، ودار السلام، ومناطق أخرى.

ويبلغ عدد الطلبة في هذه المدارس والحوزات (٤٠٠) طالب، يدرسون العلوم الدينية، هذا بالإضافة إلى العشرات من التانزانيين الذين يدرسون خارج البلاد، خصوصاً في إيران وسوريا.

وقد ظلّ المسلمون الشيعة في زنجبار محافظين على انتمايتهم المذهبي والتزاماتهم الدينيّة، وحاولوا ويحاولون - باستماتة - حفظ الهوية الإسلامية الشيعية، ويدلّل حضورهم الكبير كلّ سنة في مراسم الأربعين، ومساهماتهم في إحيائها على هذه الحقيقة، ولذلك قد نرى أحدهم ينفق مبالغ كبيرة من أجل الحضور في زنجبار خلال هذه المراسم، قادماً من أقصى بلاد الغرب، لإقامة عزاء الإمام الحسين عليه السلام، وكأنّه يبحث عن ضالّته المنشودة في تلك الديار.

وتتلخّص نشاطات المسلمين الشيعة هناك بإقامة المراسم الدينية الإسلامية، مع نشر وطباعة الكتب باللغات السواحلية والإنجليزية، وإصدار المجلات مثل (لايت) باللغة الإنجليزية، و(صوت بلال) باللغة السواحلية، وكذلك إقامة المؤتمرات للتعريف بالشيعة ومذهب أهل البيت عليهم السلام، لإبراز التراث الإسلامي الإمامي في تنزانيا ومدينة عروشا (إحدى معاقل الشيعة الكبيرة في إفريقيا)، ومن

أبرز هذه النشاطات:

١- حلقات تحفيظ القرآن الكريم.

٢- الدراسة الحوزوية.

٣- حلقات دراسية في نهج البلاغة.

٤- الاحتفالات بمواليد وشهادات المعصومين عليهم السلام.

٥- إطلاق برامج وحملات توعوية.

والجدير بالذكر أن حركة اعتناق المذهب الشيعي أصبحت ظاهرة واضحة في أوساط التانزانيين، فقد دخل الكثير من المثقفين في هذا المذهب، وألفوا كتباً كثيرة، مثل (تاريخ الإسلام)، و(زواج المتعة صحيح)، و(إرشاد المتعلمين)، و(طاولة الاكتشاف)، و(هل تعرف الصلاة)، و(حقوق البشر في الإسلام)، و(الخمس والزكاة)، و(مسائل الإسلام)، و(ما هو الإسلام)، و(الشيعة)، وهناك كتب أخرى عديدة تصدّى لتأليفها المستبصرون في هذا البلد.

وما يُفرح القلب أن هناك حركة دعوة جديدة حالية على يد شيخ مستبصر اسمه (أحمد الخطيب)، ولديه اتصالات مع مَنْ يجب أن يساهم في نشر فكر أهل البيت عليهم السلام، واستطاع أن يُدخل في المذهب الكثيرين.

وقد ظهر في زنجبار شخصيات شيعية برزت بنشاطها المتميز، ومنهم:

١- الحاج رحمة الله تيجاني، وله دار ضيافة ينزل فيها غرباء الشيعة.

٢- ناصر نور محمد، وله مستوصف لمعاينة المرضى مجاناً.

٣- داتو حماني، وقد أنشأ دار توليد مجانية.

٤- مرتضى سليمان، شخصية مرموقة من أصل تانزاني.

٥- الشيخ أبو موسى حسن بن محمد، وهو مَنْ شيّد مسجد كيزمكازي أو

شيرازي.

٦- محمد رضا بيار علي، وهو مدير جماعة الخوجة الاثني عشرية في عروشا.

٧- أحمد بن النعمان، وهو أوّل مبعوث للولايات المتحدة، ويقام في منزله مأتم أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وما زال مستمراً<sup>(١)</sup>.

٨- علي باتو، وهو شخص كان قد أدّى خدمات كبيرة لدولة زنجبار خلال الفترة بين (١٩١٤م و١٩١٨م)، فقد قال له السلطان ذات يوم: «اختر أنت بنفسك الجائزة التي تريدها مقابل خدماتك»، فأجاب على الفور: «كلّ ما أريده أن يكون اليوم الحادي والعشرون من الشهر التاسع القمري، واليوم العاشر من الشهر الأوّل القمري، يومي عطلة رسمية»، فوافق السلطان على ذلك، ومنذ ذلك اليوم تعطلّ الدوائر الرسمية كلّ سنة، في ذكرى مقتل الشهيد علي، ومقتل الشهيد الحسين، أقول: وهذان اليومان هما: الحادي والعشرون من شهر رمضان، ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام، والعاشر من شهر محرم ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، من كلّ سنة<sup>(٢)</sup>.

وفي النهاية فقد كان الخوارج الأباضية في زنجبار، يقيمون مراسم الحزن يوم عاشوراء، لا مراسم الأعياد، وكانوا يحبّون الحسين عليه السلام لقيامه بالسيف، ومقاومته للظلم<sup>(٣)</sup>.

(١) السعد، محمد، شيعة زنجبار وهجرة التجدد، صحيفة صدى المهدي الإلكترونيّة، مركز الدراسات التخصّصية في الإمام المهدي، النجف الأشرف: العدد ٧، السنة الأولى، ذي الحجة (١٤٣٠هـ) - كانون الأوّل (٢٠٠٩م)، ص ٥. [www.m-mahdi.net/sada-almahdi/pdf/add7.pdf](http://www.m-mahdi.net/sada-almahdi/pdf/add7.pdf).

(٢) أنظر: الشهرستاني، صالح، تاريخ النياحة على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليه السلام: ج ٢، ص ٩٣-٩٤.

(٣) تُعتبر بلاد الزنجبار المركز الرئيسي للإسلام في شرق إفريقيا؛ لأنّ كلّ سكانها مسلمون، بل إنّ سلطانها عربي مسلم أيضاً، وفي بلاد الزنجبار يكاد يكون كلّ السكان مسلمين، ولا يوجد بينهم إلّا نفرٌ قليل من غير المسلمين، ويمكن أن ترتّب طوائفهم من الناحية الاقتصادية ترتيباً تنازلياً على النحو التالي: الشيعة، فالأباضية، فأهل السنة، فالشيعة أغنى الطوائف هناك بلا مرأى، ولكن يظهر أنّهم ليسوا في مستوى واحد من الثراء، فالإسماعيليون - أتباع آغا خان - يأتون أولاً، ولقد ساعدتهم جدّهم واجتهادهم من ناحية، ونظامهم التعاوني الدقيق، وارتباط بعضهم ببعض برباط متين من ناحية أخرى، على أن ينهضوا نهضةً عظيمة في جميع نواحي الحياة، ثمّ البهريون والاثنا عشريون من الشيعة، وهم ذوو مركز اقتصادي طيب أيضاً، وأمّا الأباضيون، فهم على ما يبدو أقلّ ثراءً من الأوّلين، وأمّا أهل السنة، وهم جمهور المسلمين، فيأتون أخيراً، وهم أكثرهم فقراً، على الرغم من أنّه يوجد من بينهم أفراد قلائل يملكون ثروات طائلة، ونظراً إلى أنّه لا يوجد بين المسلمين هناك ما يمكن أن يعتبر

## أتباع أهل البيت في نيجيريا وإحياء الشعائر الحسينية

يعتبر فضيلة الشيخ إبراهيم زكزي<sup>(١)</sup>، من الشخصيات الكبيرة والمعروفة في أوساط أتباع أهل البيت عليه السلام في الغرب الإفريقي عموماً، ونيجيريا على نحو الخصوص، وله من الأتباع الملايين<sup>(٢)</sup>.

ويُذكر أنّ الشيخ إبراهيم زكزي يقوم بفعالياته التبليغية في حسينية بقية الله عليه السلام في نيجيريا، ولديه العديد من المدارس الابتدائية والثانوية، إضافةً إلى إقامته للعديد من الدورات التعريفية بمذهب أهل البيت عليه السلام للمستبصرين الجدد، وهذه الدورات مستمرة على طول العام، وهناك دورة مختصة بالنساء تحمل اسم الزهراء عليها السلام، تُقام سنوياً خلال احتفال أتباع أهل البيت عليه السلام في نيجيريا بمناسبة ولادة الصديقة الطاهرة، وخلال احتفاليات عاشوراء يقيم الشيخ إبراهيم زكزي العديد من المجالس الحسينية للتعريف بواقعة كربلاء، ويُبث العديد من هذه المحاضرات عبر وسائل الإعلام.

وفي زيارة الأربعين ينظّم أتباع أهل البيت عليه السلام في المحافظات المحيطة بمدينة (زاريا) - مقر إقامة الشيخ - مسيرة تُحاكي مسيرة الأربعين المتوجّهة إلى كربلاء<sup>(٣)</sup>.

وحدة اقتصادية، فلا مرء في أنّه يوجد بينهم كثير من المساعدات المالية المشكورة التي يقدمها أرباب الثراء منهم للمعسرین على اختلاف فرقههم وطوائفهم، وتتمثل تلك المساعدات في نواحي شتى، والمساجد ناحية منها، فنجد أغنياء الشيعة - مثلاً - يساهمون بنصيب كبير في بناء مساجد أهل السنة أو في إصلاحها. للتفصيل أنظر: حب الله، محمد، الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا، مجلّة الدراسات الإفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية: العدد ٣٧، ص ٧-١١. [iuu.edu.sd/sharica/iua\\_magazine/african\\_studies/37.htm](http://iuu.edu.sd/sharica/iua_magazine/african_studies/37.htm)

(١) للتفصيل حول شخصية الشيخ إبراهيم زكزي أنظر: أمين، محمد، تاريخ السيد الزكزي، موقع الحركة الإسلامية في نيجيريا، الأربعاء، ٣ نيسان (٢٠١٣)، [www.alharakah.net/index](http://www.alharakah.net/index).  
(٢) أنظر: موسى، محمد الثاني عمر، الشيعة في نيجيريا (النشأة والوسائل)، مجلّة قراءات إفريقية: العدد ٣، ذي الحجة (١٤٢٩) - ديسمبر (٢٠٠٨)، ص ٤١-٤٢.

[http://www.qiraatafrican.com/\\_pdf/n4.pdf](http://www.qiraatafrican.com/_pdf/n4.pdf)

(٣) شبكة الكفيل العالمية، موقع العتبة العباسية المقدّسة. [www.alkafeel.net/ar-news](http://www.alkafeel.net/ar-news)

ومما تجدر الإشارة إليه أن جذور الحركة الإسلامية في نيجيريا تعود في نشأتها إلى دور الشيخ إبراهيم يعقوب الزكزي، الذي كان معروفاً بين أصدقائه وزملائه بنشاطاته الدينية والاجتماعية المختلفة منذ بدايات شبابه المبكرة، وكانت همومه دائماً تنصبّ على قضايا الأمة الإسلامية، ولذلك حاول مع بعض أصدقائه بمدينة زاريا (Zariya) تأسيس رابطة سمّوها (رابطة شباب المسلمين)، وذلك في عام (١٩٧٢م)، من القرن الماضي، حينما كان عمره المبارك (١٩) عاماً، ومن خلال هذه الرابطة بدأ الشيخ الزكزي نشاطاته الحركية، وقد بيّن أهدافه ومقاصده التي يرمي إليها، ومن ثمّ دعا الناس إلى ذلك.

هذا كلّه قبل رحلته لطلب العلم إلى خارج مدينة زاريا، وبعد عودة الشيخ الزكزي من رحلاته العلمية المباركة، والتحاقه بـ(جامعة أحمدو بلّو) ما بين (١٩٧٦م - ١٩٧٩م)، زاد نشاطه في تلك الفترة، ما أهله ذلك إلى تقلّد عدة مناصب حسّاسة في اتحاد الطلاب المسلمين (M.S.S) للجامعة، وقد استفاد من هذه الفرصة خير استفادة، حيث أظهر لزملائه وأصدقائه داخل الجامعة أهدافه التي تجول في خاطره، من ضرورة الإصلاح في البلاد، ونصرة المستضعفين، والوحدة بين الأمة الإسلامية، والعودة إلى النهج الإسلامي الأصيل.

وبحلول أواخر السبعينيّات بدأت تنشأ تدريجياً حركة شبابية دينية ذات طابع إسلامي بحث في نيجيريا داخل الجامعات الوطنية والمؤسّسات التعليمية عبر اتحاد الطلاب المسلمين (M.S.S)، وكانت تلك الحركة تحت قيادة الشيخ الزكزي نفسه، الأمر الذي أدهش الدّول الغربية التي لم تعد تتوقع مثل هكذا أمر وسط طلاب الجامعات النيجيرية، الذين لم يكن يُنتظر منهم حتى أداء الصلوات الخمس المفروضة في وقتها آنذاك.

ولقد تطوّرت تلك الحركة الشبابية إلى أن أصبحت الحركة الإسلامية الحالية في

نيجيريا، كما تسمى بالحركة الشيعة (Yan shi'a)، أو الإخوة المسلمون (Yan Uwa Musulmi)، أو الإخوة (Yan Uwa) أيضاً.

وكانت التيارات الفكرية السائدة آنذاك في أوساط الساسة النيجيريين وأساتذة الجامعات هي الشيوعية (Communist)، والرأسمالية (Capitalism) وغيرهما، فلا خبر عن الإسلام وكل ما يتعلق به من الأنظمة السياسية والاقتصادية إطلاقاً؛ بل كان يُنظر إلى صاحب الدين داخل الجامعات على أنه إنسان متخلف ورجعي، كما أصبحت الجامعة مركزاً لفساد الأخلاق والتربية.

أما المجتمع النيجيري، فقد انقسم إلى متمسك بدينه ومتهاون به، بينما انشغل العلماء باختلافات فقهية ثانوية على رأسها، مسألة القبض والسدل في الصلاة. وفي مطلع الثمانينيات من القرن الماضي زاد الطين بلة ظهور التيار الوهابي السلفي، الذي جاء بفكرة التكفير، وهكذا انشغلت الأمة بهذه الأمور التافهة، وتركوا القضايا الأساسية التي ينبغي صبّ اهتمامهم عليها.

أما الحكّام فقد انشغلوا بنهب ثروات وخيرات البلاد، وتخزينها في بنوك الدول الغربية، كما أصبح ديدنهم الأساسي هو التنافس على السلطة، وكثرة الانقلابات العسكرية، بينما وقف الشعب متفرّجاً ينظر إلى أمواله تُنهب، وحرّياته تُسلب، والعلماء مُنشغلون باختلافات التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع.

في هذه الظروف العويصة انتقلت الحركة الإسلامية من إطار الجامعات إلى أوساط الشعب النيجيري تدريجياً (في مطلع الثمانينيات)، حيث نالت قبولاً واسعاً - رغم المؤامرات والتهديدات والقمع - بين الفئات الشبابية التي سئمت من ظلم الظالمين، وظلت منتظرة سنين عدداً من يأخذ بيدها، ويخلصها من ذلك الاضطهاد الذي لا يترك الأخضر واليابس.

لقد استفاد السيد الزكزكي من المؤتمر الذي يقيمه اتحاد طلاب الجامعات

النيجيرية، الذي يُسمى بـ (I.V.C) أيام التعطيلات، ويشارك فيه عددٌ كبير من طلاب الجامعات والمعاهد والمدارس الثانوية من جميع أقاصي البلاد، وفي إحدى هذه المؤتمرات، الذي أُقيم بمدينة كتسينا (Katsina) سنة (١٩٧٨م)، في مدرسة (A.T.S)، بعد أن ألقى الشيخ محاضرتَه، دعا الحاضرين إلى جلسة مفتوحة داخل مسجد المدرسة، فحضر أربعون طالباً تقريباً، (منهم الشخصية البارزة في الحركة الشيخ محمد محمود تور)، وبعد سماعهم كلمات الشيخ عاهدوا الله عهد الرجال على القيام بالحركة الإسلامية، مع نشر أفكارها الإصلاحية في مناطقهم، ثم خُتمت الجلسة بالتوقيع ولصق الصور، مع كتابة العناوين على ورقة مخصّصة للجلسة.

وفي جمادى الأولى لسنة (١٤٠٠هـ) الموافقة لسنة (١٩٨٠م)، أُقيم مثل ذلك المؤتمر أيضاً بمدينة فنتوا (Funtuwa)، وفي هذه المرّة بعد إلقاء الشيخ محاضرتَه دعا الحاضرين إلى محاضرة أخرى مساءً، وأعلن فيها براءته من ظلم النظام الحاكم، وضرورة العودة إلى عدل الإسلام، وقد حظيت تلك المحاضرة بقبول واسع في أوساط الطلاب والشعب، فسُجّلت ونُسخت، ثم طُبعت عدّة طبعات، ولا تزال أشرطتها إلى يومنا هذا مرغوبة عند الناس، كما أنّ الشيخ في نفس السنة ألقى محاضرة أخرى على نفس المنوال بمدينة زاريا، وهكذا ذاع خبر الشيخ ودعوته في جميع أنحاء نيجيريا وخارجها، وتوافد الناس إليها أفواجاً، من هنا رأى زعيم الحركة ضرورة وجود مراكز خاصّة للحركة، ومؤسسات تعليمية وتنموية، إضافةً إلى دروس الأخلاق التي تتصدّى لإعداد الحركيين، وتجعلهم قادرين على تحمّل عناء السفر للتبليغ الذي كان طريقه مملوءاً بالأشواك والمخاطر، لقد أصبحت تلك الدروس الأخلاقية - وغيرها من النشاطات التربوية والنفسية - منبراً ومدرسة لتكوين شخصية أفراد الحركة؛ لأنّ المسافة طويلة، وتحتاج إلى زادٍ وفير.

أمّا طبيعة النّظام الإداري في الحركة، فمن المعلوم أنّ نيجيريا مقسّمة جغرافياً إلى (٣٦) ولاية و(٧٧٤) محافظة، ولم تكن فعالية الحركة مقتصرة على داخل إطار نيجيريا

فقط، بل شملت الدول الأخرى، وخاصة المجاورة لها أيضاً، فمن الطبيعي أن تكون للحركة إدارة حكيمة مرنة وشفافة؛ كي تتسنى لها إدارة أمورهما بسهولة قدر الإمكان، وهي كما يلي: يترأس الحركة فضيلة الشيخ إبراهيم يعقوب الزكزي نفسه، يُعاونه عدد من كبار قيادات الحركة، الذين اتخذوا مدينة زاريا (Zariya)، مقرّاً لقيادة الحركة، كما يشرف كلّ واحد من تلك القيادات على عدد من مندوبي الحركة في الأقاليم والولايات، سواء كانت داخل خريطة نيجيريا الجغرافية أم خارجها، لا فرق ما دام يقطنها أتباع الحركة، الذين امتازوا من غيرهم بتسليمهم الكامل للقيادة الموحدة والنظام الموحد والفكر الموحد، علاوةً على اعتقادهم بولاية الفقيه.

أمّا على مستوى الولايات والأقاليم، فهي مقسّمة إلى دوائر وحلقات ثمّ المجالس، وعلى رأس كلّ منها مندوب أو وكيل، يكون مسؤولاً أمام المجلس القيادي الولائي، كما أنّ الولاية - ككل - تخضع لقيادة وكيل واحد، بصفته المشرف المباشر على جميع مندوبي الحركة ووكلائها في المدن والمحافظات والمحلات والأحياء السكنية والقرى داخل الحدود الجغرافية للولاية.

ومن جانب آخر، هناك إدارات أخرى للمؤسّسات والهيئات والمنظّمات التي أسّست بأوامر السيد، أو باقتراح بعض أفراد الحركة، للأهداف الإنسانية، أو المذهبية، أو الخدمات الاجتماعية والإعلامية وغيرها، فمدير وهذه المؤسّسات يخضعون لإشراف تلك القيادات الحركية حسب التسلسل المذكور أعلاه.

ونظراً إلى أنّه من الأمور الفطرية التي فطر الله النّاس عليها وجود هدف في كلّ ما يسعون إلى تحقيقه في حياتهم اليومية، فالحركة الإسلامية أيضاً لها أهداف وراء ذلك التقسيم الإداري، ومن أهداف التقسيم الإداري في الحركة على سبيل المثال لا الحصر:

١- أن يتسنى للإخوة المؤمنين في الحركة معرفة بعضهم بعضاً .

٢- إيجاد روح الإخاء والألفة والمحبة بين الإخوة .

٣- تفويت الفرصة على الجواسيس الذين يعملون ليلاً ونهاراً من أجل التخريب، وإيجاد الفتن داخل صفوف الإخوة .

٤ - تسهيل نقل أوامر القيادة العامة للحركة إلى الإخوة، خاصة الأوامر التي تحتاج إلى السرية التامة في النقل .

٥- التأكيد على شمولية الحركة، وكونها لا تختص بقوم دون قوم، أو قبيلة دون أخرى .

٦ - السعي إلى إعداد المبلّغين في كل قرية أو مدينة أو حيّ سكني مهما صغر؛ كي يسهل تعرّف الناس على أخلاق وعلوم أهل البيت عليهم السلام عن قرب، كما أن اندماج وتعايش الإخوة حسب حدود الشرع مع المجتمع يُعدّ أكبر عامل لنجاح الحركة .

٧- إرشاد المجتمع عملياً إلى أن الإسلام دينٌ حيويٌّ فيه كل شيء، وصالحٌ للتطبيق في كل زمانٍ ومكان.

٨- تسهيل عملية إدارة الحركة، مع التأكيد على شفافيّتها ومرورنتها، ثم جعلها في متناول الجميع، الصغير منهم والكبير، والمرأة والرجل، والحضري والبدوي .

٩- مراعاة الظروف والخصوصيات لكل منطقة أو قوم؛ لأن العادات والتقاليد والثقافات والأعراف تختلف، فما يصلح تطبيقه في منطقة قد لا يصلح في أخرى .

أمّا أهمّ ما أسّسته الحركة الإسلامية، فقد تمثّل بعدة مؤسّسات تعليمية وإنسانية داخل وخارج نيجيريا، التي تعمل في مجالات وصُعد ومستويات مختلفة، ولكل إدارة أجهزة مستقلة، نكتفي هنا بذكر ثلاثة من المؤسّسات الإنسانية بإيجاز، على سبيل المثال:

١- مؤسّسة الشهداء: تأسّست هذه المؤسّسة المباركة في يوم السبت السابع عشر من شهر رجب، سنة (١٤١١هـ)، الموافق ليوم (١/١/١٩٩٢م) بمدينة زاريا (Zariya)، بأمرٍ من قائد الحركة الإسلامية الشيخ إبراهيم يعقوب الزكزكي، كما أنّه ترأس مراسم التأسيس بنفسه، إضافةً إلى مشاركة جمع غفير من قيادات الحركة، فهي

مؤسسة إنسانية تقوم برعاية أبناء الشهداء وكفالة الأيتام والأرامل وغيرها.

٢- مؤسسة الزهراء الخيرية: تأسست هذه المؤسسة المباركة حديثاً بأمر من السيد الزكزي سنة (٢٠١٠م)، الموافق لـ (١٤٣٢هـ)، لتكون عمدة لبقية مؤسسات الحركة، وخاصة التي تعمل في مجال الخدمات الاجتماعية والإنسانية، كحفر الآبار، وشق قنوات المياه، وتخليص المسجونين، ومساعدة الأرامل والمحتاجين وغيرها.

٣- مؤسسة الصحة (Isma): تم تشكيل هذه المؤسسة الميمونة (بعد أن مضت عدة سنوات على تأسيس اللجنة الطبية للحركة) في يوم (٦/٦/١٤٢٢هـ)، الموافق لـ (٢٣/٨/٢٠٠١م)، وهي تعمل على توفير العناية الصحية، وإيصال المساعدات الإنسانية إلى المتضررين في النزاعات التي تحدث هنا وهناك داخل البلاد، إضافة إلى إدارة المستشفيات الحكومية أيام إضراب الأطباء والمرضين عن العمل، كما تعمل على تدريب الشباب والشابات على عملية الإسعافات الأولية وغيرها، وهي أكثر المؤسسات الإنسانية غير الحكومية نشاطاً بنيجيريا، رغم شح الإمكانيات وقلة العتاد<sup>(١)</sup>.

### مؤسسة الإمام الحسين عليه السلام ودورها التوعوي في أوغندا

تقوم مؤسسة الإمام الحسين عليه السلام في دولة أوغندا بدورٍ مهمٍّ في نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام في هذا الجزء من وسط أفريقيا، وفي هذا الصدد قد بين فضيلة الشيخ محمد مزمل مليندوا، مسؤول مؤسسة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) الإسلامية في أوغندا أهمّ فعاليات ونشاطات المؤسسة في تقرير جاء فيه: «من لطف الله سبحانه وتعالى أن أنعم علينا بإرسال نبي الرحمة، سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بشيراً ونذيراً، ليوصلنا إلى طريق الكمال، وأمرنا صلى الله عليه وآله وسلم باتباع الأوصياء الأطهار من بعده؛ وذلك لإكمال مسيرة تربية النفس وتزكيتها، وفي عصر الغيبة الشريفة أمرنا مولانا الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام بالرجوع إلى روات أحاديثهم، وهم الفقهاء والمراجع الأعلام

(١) أنظر: هاشمي، نشأة الحركة الإسلامية في نيجيريا، موقع الحركة الإسلامية في نيجيريا، الأربعا

الأتقياء العاملون، المدافعون عن الدين ومبادئه، وكان فضل الله علينا عظيماً. انطلاقاً من ذلك، وامتثالاً لتوجيهات وإرشادات وتوصيات الفقهاء الأعلام ومرجعنا العظام، الذين أكدوا مراراً ضرورة بذل الجهود في تعلّم علوم أهل البيت (صلوات الله عليهم) وتعليمها الناس، والاهتمام بالناس في كل المجالات، بالأخصّ الثقافية والاجتماعية، وقامت مؤسّسة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) الإسلامية في أوغندا للتربية والثقافة والإرشاد، قامت بفضل الله ولطفه سبحانه وتعالى، وببركة أهل البيت (صلوات الله عليهم) بالعديد من الفعاليات الثقافية والاجتماعية، إليكم بعضاً منها بصورة موجزة...:

القسم الأول: فعاليات تبليغيّة وثقافية من شهر شعبان المعظم (١٤٣٢ هـ) إلى شهر محرّم الحرام (١٤٣٣) للهجرة:

- عقد جلسات إرشادية وتوجيهية وثنائية لتعليم المسائل الفقهية الخلافية، وبيان المسائل العقائدية والأخلاقية والتاريخية وغيرها لأئمة المساجد والمبليّين المحليين بصورة مكثّفة.
- عقد جلسات توجيهية وثنائية وتربوية وتعليمية للبنات والبنين، من عشرين مدرسة ومعهد من المتوسطة والثانوية الأكاديمية، والاستماع إلى ما عندهم من الأسئلة والأفكار، وكانت إيجابية ومثمرة جداً.
- عقد جلسات ثقافية وتوجيهية وإرشادية وإدارية للجان المساجد التابعة للمؤسّسة والمرتبطة بها، للرجال والنساء.
- عقد جلسات ثقافية متنوّعة في: العقائد، والفقه، والتاريخ، والأخلاق، والآداب الإسلامية لعموم الناس، في مسجد الإمام الحسين (صلوات الله عليه) المركزي، وفي باقي المساجد.
- إمامة صلوات الجمعة والجماعة في مسجد الإمام الحسين (صلوات الله عليه) المركزي، وفي غيرها من المساجد، وكذا صلاة عيد الفطر المبارك.

- إقامة مجالس قراءة دعاء كميل، ودعاء الافتتاح، والتوسّل، وشرح بعض فقراتها بصورة موضوعية، في مسجد الإمام الحسين (صلوات الله عليه) المركزي.
- الإجابة على المسائل الشرعية والعقائدية والتاريخية وغيرها.
- إلقاء الدروس الدينية والمحاضرات عبر الإذاعة في أيام الجمع لمدة ساعة خلال شهر رمضان المبارك وشوّال المكرّم.
- إقامة المجالس في المناسبات الدينية، كمجالس ذكرى عاشوراء، في مسجد الإمام الحسين (صلوات الله عليه) المركزي وفي جميع فروع المؤسسة.
- إرسال المبلّغين المحليين، بشكلٍ دائمٍ ومؤقتٍ، إلى المساجد.
- جولات تفقدية وثقافية وتبليغية، شملت جميع فروع المؤسسة، وعدد من روابطنا في العديد من المحافظات، كان منها: محافظة بوسيا، وبغيري، وإيغانغا، ولووكا (Luwuuka).
- اللقاء بالعديد من المسؤولين الحكوميين الرسميين السياسيين، ومنهم: رئيس محافظة بغيري، ورئيس المدينة، والمتحدّث باسم المحافظة.
- لقاءات عديدة مع الشخصيات الثقافية والاجتماعية الفاعلة في أوغندا.
- إقامة مآدب إفطاريّة في يوم عيد الفطر في مسجد الإمام الحسين (صلوات الله عليه) المركزي.
- جمع وإيصال المساعدات إلى المساجد لإقامة مآدب إفطارية في شهر رمضان المبارك، وتمّ إقامة ذلك يومياً في مسجد الإمام الحسين (صلوات الله عليه) المركزي، ولمدّة أسبوع في باقي الفروع التابعة لنا بالتعاون مع لجنة سيّد الشهداء (صلوات الله عليه) وأهل الخير.
- تقديم وجبات إفطار للمبلّغين وأساتذة مدرسة الإمام الحسين (صلوات الله عليه).
- تقديم مساعدات ماديّة لبعض المسلمين المحتاجين.



- إيصال الذبائح والكفارات لأصحابها.
  - توزيع اللحوم على المسلمين في مسجد الإمام الحسين (صلوات الله عليه) المركزي.
  - إقامة احتفال عظيم بمناسبة تقديم الشكر لاختتام فعاليات شهر رمضان المبارك، وتقدير المشاركين المتفوقين، وكان ذلك في شهر شوال بحضور جمع غفير من أتباع أهل البيت (صلوات الله عليهم)، ومن العامّة من مختلف محافظات أوغندا، والشخصيات الرسمية والحكومية والدينية والاجتماعية، كان منهم رئيس محافظة بغيري، ورئيس المدينة، والمتحدّث باسم المحافظة، والمسؤول الأمني في محافظات شرق أوغندا، والمشاركين في الدورات، وبعض طلاب المدارس والمعاهد العليا والجامعات في البلد، وجمعٌ من الإعلاميين والصحفيين ومراسلي الإذاعة والتلفاز.
  - جولة تفقدية ودّية على مستوى شرق إفريقيا، شملت دولة كينيا وتانزانيا، كان منها: حوزة السيدة زينب (سلام الله عليها)، ومع المعلّمين والمبلّغين المحليين مركز وليّ العصر عليه السلام بدار السلام بتنزانيا، وبمشايخ لجنتي سيّد الشهداء وأهل البيت (صلوات الله عليهم) في مدينة عروشا.
- القسم الثاني: إنجازات ثقافية وإنسانية واجتماعية، كان منها:
- أولاً: تشييد العديد من المساجد في العديد من المحافظات والمناطق والقرى المحرومة، بمساعدة ومساندة جهات الإحسان وأهل الخير، خصوصاً المحسنين والخيرين من دولة الكويت، بإشراف لجنّتي سيد الشهداء وأهل البيت (صلوات الله عليهم)، وبمباشرة مؤسّسة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) الإسلامية، ومنها:
- مسجد الإمام الحسين (صلوات الله عليه) المركزي في محافظة بغيري.
  - مسجد الرسول المصطفى صلوات الله عليه وآله في منطقة اسغروا محافظة بغيري.
  - مسجد أمير المؤمنين أبو الحسين (صلوات الله عليهم) في منطقة بوكوبانسري.

• مسجد السيدة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) في منطقة نوانزوا بمحافظة إيغانغا.

• مسجد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في منطقة موغلي بمحافظة إيغانغا.

• مسجد الإمام محمد الباقر (صلوات الله عليه) في منطقة أنسوز إيري.

• مسجد الإمام صاحب العصر والزمان عليه السلام في منطقة بيومبي بمحافظة بونسيا.

ثانياً: المدارس والحوزات: في الوقت الحاضر لدينا مدرسة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) الدينية الأكاديمية، في سبعة فصول، ويدرس الطالب والطالبة فيها العلوم الدينية: كالفقه، والعقيدة، والأخلاق، والآداب الإسلامية، والتاريخ، والسيرة النبوية، وسيرة أهل البيت الأطهار (صلوات الله عليهم)، والتفسير، وقراءة القرآن والأحاديث النبوية، وغيرها، إضافةً إلى العلوم العصرية الأكاديمية.

ثالثاً: المكتبة: المكتبة هي باسم مكتبة الإمام الحسين (صلوات الله عليه)، وتحتوي على العديد من الكتب التعليمية والثقافية المتنوعة، بلغاتٍ مختلفة، كالعربية، والفارسية، والإنجليزية، والسواحيلية، والمحلية، حيث يستفيد منها الطالب، والأستاذ، والمبلغ، والباحث، والمحقق، وغيرهم.

رابعاً: العمل في مجال توفير المياه الصالحة للشرب، في مسجد الإمام الحسين (صلوات الله عليه)، وفي باقي المساجد.

خامساً: العمل في مجال مساعدة طلبة المدارس والأساتذة والمبلغين المحليين بما يمكن.

سادساً: العمل في مجال حماية الأيتام والاهتمام بوضعهم المعاشي، ومنها: توزيع الألبسة والمفروشات والأغطية وغيرها، بالأخص للأيتام بمدرسة الإمام الحسين (صلوات الله عليه) في بغيري، بمساهمة أحد المؤمنين، وذلك في شهر محرم الحرام (١٤٣٣) للهجرة.

سابعاً: القرض الحسن، تم افتتاح مكتب إعطاء القرض الحسن باسم الإمام الحسين (صلوات الله عليه)، وذلك لتحسين وضع الأساتذة والمبلغين المحليين، والمقبلين على

الزواج، والمسلمين الجدد، والمرضى، وغيرهم من أصحاب الحاجة.  
ثامناً: المقبرة: تمّ شراء قطعة من الأرض بقرب مركز مؤسّسة الإمام الحسين (صلوات  
الله عليه)، وتخصيصها كمقبرة»<sup>(١)</sup>.

### دور الجالية اللبنانية في نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام في السنغال

خلال الربع الأخير للقرن الماضي بدأت أعداد من السنغاليين تعتنق مذهب أهل  
البيت عليهم السلام، علماً بأنّ جميع مسلمي السنغال يكتنّون احتراماً شديداً لأهل البيت عليهم السلام،  
ويتلون في مواليدهم الأشعار العربية في مديح الرسول صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام، ومن  
تقاليدهم الاحترام الشديد للأشرف السادة، وقد بلغ أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام  
بضعة آلاف، يضاف إليهم حوالي (٢٥٠٠٠) لبناني على المذهب نفسه، يقيمون في  
السنغال منذ عشرات السنين.

يقول الشيخ عبد المنعم الزين المقيم في دكار في هذا الصدد: «لقد تحققت من  
أنّني وُجدت بين قوم تملكهم عاطفة جيّاشة تجاه أهل البيت عليهم السلام، وإن كانت مغمورة  
بتلك العادات الجافة والتقاليد الظالمة، إلّا أنّ جهلهم بذلك قد يغفر لهم كثيراً من آثارها  
وآثامها، وعرفت أنّ انتصار تلك العاطفة على هذه العادات أمر في متناول اليد، نعم  
يحتاج ذلك إلى جهود وتوعية وتربية... ومن تلك العادات الخاطئة أنّ البعض يقيمون  
الأفراح في أيام عاشوراء، ويوم العاشر عندهم هو عيد النصر وجمع الشمل... وبعد  
التحقّق من واقع الأفارقة وجدت أنّهم يقومون بهذه العادات دون أدنى علم أو  
معرفة بأسبابها وماهيتها، وعندما تقول لأحدهم: كيف تفرح بيوم عاشوراء وفيه قُتل  
الحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟! يرتعد خوفاً ويرفع يديه قائلاً: أستغفر الله... ولئن  
كان التأسّف يأكل من أعصاب الذين يعرفون الحقيقة، فلقد فتحت صدورهم وعقولهم  
للنور الجديد».

(١) أنظر: مؤسّسة الرسول الأعظم، من نشاطات مؤسّسة الإمام الحسين عليه السلام الإسلامية في أوغندا:

وكان للجلالية اللبنانية<sup>(١)</sup> الدور البارز في نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام في السنغال، فقد كان الوضع الديني لدى الجلالية متردياً للغاية، حيث لم يكن هناك من يراعى شؤونها الدينية سوى بعض الأفراد الذين لم يُؤتوا حظاً كافياً من العلم، كما أنّ المظاهر والشعائر العامّة كالصلوات في المساجد كانت محظورة على أبناء الجلالية أيام الاستعمار الفرنسي، بهدف عدم اختلاطهم مع المواطنين الأصليين، حتى أنّ السلطات الفرنسية طردت من السنغال أحد اللبنانيين؛ لأنّه صلّى الجمعة في أحد المساجد!

والحجاب لدى النساء كان شبه معدوم، ما عدا عدد من السيدات كبيرات السن، أمّا معرفة الأحكام الشرعية - إذا ما استثنينا بضعة أفراد - فإنّنا نستطيع القول: إنّ أكثرية الجلالية كانت على جهل بها، فلم يكن لديهم مسجد أو مكان مناسب يجتمعون فيه لإقامة النشاطات، والشعائر الدينية والاجتماعية الأخرى في شهر رمضان وأيام عاشوراء وغيرها، حتى أنّهم كانوا يجتمعون في مجالس تأبين المتوفّين إمّا في قاعة تستأجر من الرهبنة الفرنسية، أو في إحدى قاعات السينما في دكار، وكانت مجالس عاشوراء تُقام في منزل أحد المؤمنين، فيحضر عنده تحت شجرة قرب منزله عددٌ يتراوح بين (٢٠ و ٣٠) شخصاً، وكان هذا الأخ المؤمن قد بدأ بإقامة تلك المجالس منذ مطلع الثلاثينيات.

كما كانت الجلالية تعاني حالة تفكّك اجتماعي مبنية على تكتّل العائلات بحسب انتمائها القروي في لبنان، فكان أبناء كلّ قرية لا يختلطون بأبناء القرى الأخرى إلا نادراً، حتى الزواج فيما بينهم كان قليلاً. في الواقع كانت هذه أوضاع الجلالية اللبنانية، خصوصاً الأكثرية المنتمية إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام.

(١) للتفصيل حول واقع الجلالية اللبنانية في إفريقيا، أنظر: مهدي، محمد عاشور، الوجود اللبناني في إفريقيا: قضايا الماضي والواقع وآفاق المستقبل، مجلة الدراسات الإفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية: العدد ٣٦، ص ١-٣٥.

وعندما زار العلامة المغيب السيد موسى الصدر - قبل أن يصبح رئيساً للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان - دولة السنغال، ليتعرّف على أوضاع الجالية اللبنانية فيها، وليتّصل بالمسؤولين وأبناء الشعب السنغالي طلب أبناء الجالية منه عالماً دينياً كفوءاً يرعى شؤونهم، فتمّ اختيار العالم اللبناني الذي كان يتابع دراسته الإسلامية العليا في النجف الأشرف، وهو فضيلة الشيخ عبد المنعم الزين، ليكون أوّل عالم لبناني مقيم في أفريقيا الغربية يقوم بوظيفة التبليغ والإرشاد لأبناء الجالية ولإخوانهم من الأفارقة المسلمين.

ويُعتبر الشيخ عبد المنعم المؤسس لعدد من المشاريع والنشاطات الحيوية التي كانت تفتقدها الجالية والسنغال عموماً، وفي هذا الصدد بين الشيخ بداية عمله في السنغال، باختصار قائلاً: «قَدِمْتُ إلى هذه البلاد الطيبة بناءً على تكليف شرعي من المرجع الأعلى الراحل الإمام السيد محسن الحكيم رحمته الله بعد تشاور معه، ومبادرة كريمة مسؤولة من أستاذي ساحة العلامة المغيب السيد موسى الصدر (أعاده الله)، الذي تولّى أيضاً ترتيب أجواء قدومي بالتنسيق مع بعض وجوه الجالية، وكان ذلك في شهر آب سنة (١٩٦٩ م)، وقد خصّصت الفترة الأولى التي امتدّت نحو سنة للتعرف على أبناء الجالية، ورصد أوضاعهم ومشاكلهم، بالإضافة إلى مهمّتي الإرشادية التبليغية الأساسية.. وكانت تسود الجالية آنذاك - بالإضافة إلى قلة المعرفة بالأحكام الشرعية، وضعف الالتزام عموماً، ما عدا القلّة - ظاهرتان:

الأولى: إهمال اللغة العربية نتيجة انصهار أبناء الجالية في المجتمع المحلي.

الثانية: فقر مدقع لدى عشرات العائلات.

فكان لا بدّ من تأسيس جمعية تحاول القضاء على هاتين المشكلتين الأساسيتين، وهنا بدأت فترة متاعب لي مع بعض المتصدّرين في الجالية، الذين عارضوا فكرة إنشاء جمعية جديدة، بدافع أنّ الجمعيات السابقة - التي كان التنزاع على زعامتها ما زال قائماً - قد فشلت في تحقيق أهدافها، وأنّ الناس قد ملّوا دفع المال لمثل هذه الجمعيات، وهناك

خوف من أن يكون مصير هذه الجمعية كسابقاتها، وبما أنني كنت مقتنعاً بالفكرة، فقد استطعت تجنيد عددٍ قليل من المؤيدين لها في البداية رغم العراقيل...

وهكذا أنشئت الجمعية باسم (المؤسسة الإسلامية الاجتماعية)، وكانت البداية عام (١٩٧٠م)، من خلال منزل صغير مُستأجر، تحوّل إلى مسجدٍ للصلاة وإحياء المناسبات الإسلامية، وإلى مدرسة لتعليم عدد من الشبان اللغة العربية والفقه والتفسير والتاريخ الإسلامي، كما كان يتمّ ذلك أيضاً في بعض البيوت، ثمّ توقّفنا لاحقاً لشراء قطعة أرض في أرقى أحياء دكار، أنشأنا عليها مقرّ الجمعية الرئيسي، الذي بدأ العمل به سنة (١٩٧٤م)، وانتهى سنة (١٩٧٧م)، ولكن تمّ افتتاحه بشكلٍ رسمي عام (١٩٨١م) باحتفال كبير، وذلك بحضور رئيس الجمهورية، وعدد من الوزراء، ورئيس المجلس النيابي والنواب، وكبار المسؤولين، وتسعة وستين سفيراً ورئيس بعثة دبلوماسية، وعدد كبير من ممثلي المنظمات الإسلامية، ووفد من المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان، بالإضافة إلى رؤساء الطوائف السنغالية الصوفية، وأبناء الجالية، وجمهور واسع من الشعب السنغالي، ووفود من الجاليات اللبنانية في البلدان المجاورة.

لقد كان يوماً مشهوداً، أقفلت فيه المحلات التجارية، وازدانت الشوارع المحيطة بالزينة، كما أُلقيت الخطب من قبل رئيس الجمهورية، والخليفة العام للطائفة التيجانية، ومن قبل بعض العلماء، ومَنّي شخصياً، كان لهذا الاحتفال - الذي جاء انعكاساً للجهود التي قامت بها المؤسسة - صدىً طيّب لدى الجالية اللبنانية، وكانت قاعدة المؤسسة قد توسّعت فأصبحت هيئتها العامّة تضمّ (٤٠٠) عضو مساهم، يمثلون مع الهيئة الإدارية مختلف طبقات الجالية.

وخلال السنوات الخمس الأولى تمّ أيضاً إنشاء وتفعيل جمعية الهدى الخيرية النسائية، التي عكفت على تدريس اللغة العربية والعلوم الإسلامية للفتيات والنساء، كما تحصّصت بمساعدة الفقراء، وكان لها نشاطات واسعة مشتركة مع الجمعيات النسائية السنغالية، وأصبح لها اسمٌ مشهور في العمل الخيري، بما تقدّمه من مساعدات شهرية للمعوزين، وتبني استشفائهم في الداخل والخارج، وكذلك تغطية سفر من يرغب في العودة منهم

نهائياً إلى موطنه... وذلك بالإضافة إلى القيام بدورات تعليم الخياطة والتدبير المنزلي للنساء».

وقد أثمرت جهود هذه المؤسسة الناشطة طيلة أربعة وعشرين عاماً عدداً من المشاريع الثقافية والاجتماعية والصحية، ومباني عدّة تنطلق من خلالها أنشطتها، وذلك في العاصمة دكار، وفي أنحاء أخرى من البلاد، وكان المبنى الرئيس للمؤسسة يتألف من خمسة طوابق:

**الطابق الأول:** عبارة عن قاعة للاحتفالات مسّاة باسم نادي الرسول ﷺ، وهي تتسع لـ (٤٠٠) شخص، ويمكن مع الباحة الأمامية أن تستوعب (١٠٠٠) شخص.  
**الطابق الثاني:** هو مسجد الإمام علي عليه السلام، ويتّسع لـ (٤٠٠) مصلاً، مع جناحٍ خاصّ للنساء.

**الطابق الثالث:** هو مركز جمعية الهدى النسائية وأنشطتها، كما توجد فيه قاعة المكتبة العامّة.

**الطابق الرابع:** هو مركز رئاسة المؤسسة، حيث تقام جميع اللقاءات والمعاملات، خاصّة المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية، من الزواج، والطلاق، والإرث، وغير ذلك، والشيخ الزين هو المعتمد في هذه المسائل من قبل المحاكم الشرعية في لبنان، ومن الدولة اللبنانية، عبر سفارتها في دكار، كما توجد في هذا الطابق قاعة تتّسع لـ (١٥٠) شخصاً، تُعطى فيها الدروس الدينية الليلية.

**الطابق الخامس:** هو مسكن رئيس المؤسسة.  
كما أنّ هنالك مبنى يحتوي على مطبعة مخصّصة بطباعة منشورات المؤسسة ومدارسها، إضافة إلى المستوصف الإسلامي الخيري.

**أما المبنى الثالث:** فيضمّ مدرسة دينية باسم مدرسة السبطين عليه السلام لتعليم الدراسات الإسلامية باللغة العربية، وهو مكوّن من طابقين بمساحة (٢٤٠٠ م<sup>٢</sup>) لكلّ منهما، ويتبعه ثلاثة مباني مستأجرة، وهنالك مسجد الحاج إبراهيم درويش، الذي هو بعهدة المؤسسة، ويتّسع لألف شخص، ثمّ مسجد الإمام زين العابدين عليه السلام،

وهو قيد الإنشاء، ويضم أيضاً طابقاً للدراسات الإسلامية، ثم المبنى السادس الذي هو عبارة عن عمارة مؤلفة من خمس طوابق مخصصة للاستثمار، وسينشأ فيها معهد خاص لتعليم اللغة العربية، في حين كان المبنى السابع يضم كلية الزهراء عليها السلام <sup>(١)</sup>.

يحدثنا الشيخ الزين باختصار عن أبرز النشاطات التي تقام في فروع المؤسسة، ثم عن إنجازاتها في المناطق، فيقول: «نبدأ أولاً من المركز الرئيسي:

أ- نادي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: وفيه تُحيى المناسبات الدينية، مثل ليالي شهر رمضان المبارك، وليالي عاشوراء التي تقام مجالسها في النهار أيضاً للنساء، كما يجري فيه إحياء مناسبات عيد المولد النبوي الشريف، وولادات ووفيات الأئمة الأطهار عليهم السلام، بالإضافة إلى المناسبات الخاصة بذكريات الوفيات.

ب- مسجد الإمام علي عليه السلام: وتقام فيه صلاة الجماعة والجمعة، ويحضر الصلاة فيه حوالي (٥٠٠) من أبناء الجالية والإخوة السنغاليين من النساء والرجال.

ج- جمعية الهدى: سبق الحديث عنها.

د- المكتبة العامة: وتحتوي على مجموعة كبيرة من الكتب الدينية والثقافية، وتتم المطالعة فيها ضمن القاعة المخصصة، أو من خلال نظام الاستعارة، كما يتم من خلال المكتبة توزيع آلاف المصاحف والكتب الفكرية الإسلامية على المساجد والمؤسسات والمدارس الدينية السنغالية.

هـ- الدروس المنظمة في التفسير والفقه والعقيدة، وتُعطى في قاعة الاستقبال، والدروس للرجال ليلاً، وللنساء عصرًا، وذلك حسب برنامج موضوع ومقرّر.

و- المستوصف الإسلامي: وقد افتُتح عام (١٩٨٠م) برعاية وزير الصحة، ويعمل فيه طبيب دائم، وطبيبة نسائية، وممرضة، كما يداوم فيه بعض الأطباء الأخصائيين، ويحوّل المستوصف عند الضرورة المرضى إلى العيادات والمستشفيات مع توصية لمعالجتهم مجاناً،

(١) أنظر: المنكوشي، حيدر، وجه الإسلام في أطراف القارة السمراء، موقع الإعلام الدولي، الموقع الرسمي لشعبة الإعلام في العتبة الحسينية المقدسة: ٩/ أيلول/ ٢٠١٣م.

كما يقدم الأدوية مجاناً حسب توفرها، وكذلك التحاليل الطبية تُؤمّن مجاناً عن طريق مختبر جامعة دكار، أو بعض المختبرات اللبنانية... وقد عالج هذا المستوصف حتى الآن حوالي (٢٨٠) ألف مريض بمعدّل يومي مقداره (٦٠) مريضاً.

ز- مسجد الحاج إبراهيم درويش: وقد تبرّع ببنائه أولاده عن روح والدهم، وهو أول مسجد في القارة الإفريقية تُقام فيه الصلاة طبقاً لمذهب أهل البيت عليهم السلام، ويؤمّ المصلين فيه عالم سنغالي هو الأخ الشيخ إبراهيم تشام، ويزيد عدد المصلين فيه وفي باحته أثناء صلاة الجمعة عن ثلاثة آلاف شخص. وبالإضافة إلى كَلِيّة الزهراء، فإنّ المؤسّسة أنشأت العديد من الفروع والمنشآت في أنحاء عدّة من السنغال... ومن ذلك:

- حسينية في مدينة كاوا لاخ التي تبعد (١٩٢ كم) عن العاصمة، حيث يبلغ عدد أفراد الجالية اللبنانية فيها نحو ألف شخص، وفي الحسينية تجتمع الجالية في المناسبات، كما تجري سهرات ومحاضرات دينية.

- مدرسة دينية باسم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في مدينة زيغنشور، التي تبعد (٤٢٥ كم)، وتتبع لها ثلاث مدارس مستأجرة.

- مسجد وبجانبه مدرسة دينية في قرية كولان (٧٠ كم) عن زيغنشور.

- مدرسة دينية باسم حوزة الإمام المهدي عليه السلام في مدينة كولدا، ويتبع المدرسة قطعة

أرض خارج المدينة مساحتها (٣٠ / ٠٠٠ م) سيقام عليها معهد زراعي.

- مدرسة دينية في قرية يروفولا على بُعد (٤٠ كم) من كولدا.

- مدرسة إسلامية في مدينة نجوم في الشمال (٥٢٥ كم) عن دكار، باسم مدرسة أبي

ذر الغفاري، كما تمّ فيها حفر بئر ماء يشرب منه أهالي المدينة.

- حفر بئر ماء يشرب منه الأهالي في مدينة حلوار، على بعد (١٠٠ كم) من نجوم<sup>(١)</sup>.

(١) يوسف، جهاد، السنغال (إسلامها عريق ونشاط لتعزيره رغم الصعوبات)، مجلّة نور الإسلام الإلكترونية، شبكة الإمامين الحسنين عليهما السلام للتراث والفكر الإسلامي. [http://www.alhassanain.com/arabic/magazin/noor\\_al\\_islam/49-50/16.html](http://www.alhassanain.com/arabic/magazin/noor_al_islam/49-50/16.html)

## العزاء الحسيني في جنوب إفريقيا

كما هو حال دين الإسلام دخل التشيع جنوب إفريقيا، واستنارت ربوعها بنور ولاية آل البيت النبوي المحمدي ﷺ، وذلك مع الهجرات العربية والآسيوية إلى هناك، فانتشر مذهب التشيع، وبدأ بالنمو والزيادة، حيث يبلغ عدد الشيعة فيها الآن عشرات الآلاف، وهم ينتشرون في العاصمة جوهانسبرغ، ومدينة دربان، ولهم وجود في مدن أخرى، ويتنظم المسلمون من شيعة آل البيت ﷺ خلال شهري المحرم وصفر في أداء واجبات العزاء الحسيني، بدءاً من محاضرات ومواعظ الخطباء الحسينيين، إلى قراءة المقتل الحسيني في عاشوراء الحسين ﷺ، والبكاء واللطم، وذلك في الحسينيات التي بُنيت حديثاً.

لم يكتفِ شيعة آل البيت ﷺ في جنوب إفريقيا بممارساتهم الشعائرية الدينية، بل شاركوا بقية أبناء وطنهم في جنوب إفريقيا في التصدي لنظام الفصل العنصري الذي حكم جنوب إفريقيا فترةً طويلة، مما كلفهم المئات من الشهداء والجرحى، متأثرين في ذلك بالمنهج الفكري والعقائدي للعترة المباركة ﷺ.

ومما قام به شيعة جنوب إفريقيا من نشاط ديني وعقائدي، إنشاء مؤسسات أقاموها خصيصاً لذلك، وهي مركز إشعاع واستقطاب لمن يطّلع على مبادئ آل محمد ﷺ، إذ يوجد في جنوب إفريقيا (١٢) مسجداً للشيعة، إضافة إلى (٨) حسينيات تُقام فيها مختلف مناسبات الأفراح والأحزان المتعلقة بأهل البيت النبوي ﷺ، ومن المؤسسات الشيعية هناك:

- مركز أهل البيت ﷺ / كيب تاون/ العاصمة: ومديره المسؤول هو السيّد أفتاب حيدر، وينشط المركز في إقامة الصلاة الجمعة والجماعة، وإحياء مناسبات آل بيت النبوة ﷺ.
- مؤسسة أهل البيت ﷺ في إفريقيا الجنوبية: وهي في كيب تاون أيضاً،

- ومديرتها مريم نوسا.
- مركز الجهاد/ كيب تاون/ العاصمة: مسؤوله يوسف محمد.
- مركز أهل البيت عليه السلام الإسلامي من فيلبي/ كيب تاون: مديره عيسى.
- حسينية أبو الفضل العباس عليه السلام/ غوتنغ - بريتوريا/ جنوب شرق البلاد: مسؤولها الشيخ أحمد قاسم.
- مركز القائم عليه السلام/ غوتنغ - بريتوريا: مسؤوله جعفر شاه.
- المصطفى (سوا)، مسجد ومركز إسلامي / غوتنغ - سبرنجس: المدير الشيخ عبد الواحد منير.
- مركز العلم الإسلامي (بابول)/ غوتنغ - جوهانسبرغ/ شمال شرق البلاد: مديره المسؤول السيد خرام المهدي.
- قصر الزهراء/ غوتنغ - جوهانسبرغ: مديره حسن بوت.
- المركز الإسلامي لأفريقيا/ غوتنغ - جوهانسبرغ: المسؤول السيد رضائي.
- الإمام الصادق عليه السلام المركز الإسلامي / غوتنغ - نايجل / جنوب شرق البلاد: المدير عبد الرحمن ماهلانغو.
- جماعة أهل البيت عليه السلام المسماة (kwa odabela)، شمال غرب مبومالانجا: المدير الشيخ مسعود علي.
- مسجد الإمام الحسين عليه السلام، مدرسة دينية ومركز ثقافي / كوازولو ناتال - ديربان/ جنوب شرق البلاد: بإدارة الشيخ جابر شانندو.
- المدرسة الجعفرية الإسلامية/ كوازولو ناتال - ديربان: المسؤول عنها: راشد.
- مركز الإمام الباقر عليه السلام الإسلامي / كيب الشرقية - ميناء إليزابيث/ جنوب البلاد: المدير المسؤول الشيخ أحمد.
- المركز الإسلامي للإمام موسى الكاظم عليه السلام/ كرونستاد - فري ستيت/ وسط

البلاد: بإدارة الشيخ عبد الله<sup>(١)</sup>.

«يُعدّ النظام الاجتماعي والمدني الحديث من النظم التي يكسب من خلالها المواطنون الكثير من حقوقهم، خصوصاً في البلدان التي خرجت من طائلة الاستعمار أو الاستعباد، وتمارس نموذجاً من نماذج التحرّر والانفتاح الديمقراطي، الذي يهيئ للمواطنين فرصة الممارسات الاجتماعية والفكرية والعقائدية بحرية لا بأس بها، من هنا طالب ممثلون عن شيعة جنوب إفريقيا - في لقاء جمعهم مع رئيس الجمهورية - بأن يتم الاعتراف الرسمي بمذهب أهل البيت عليه السلام في هذا البلد، وقد نقلت بعض التقارير لوكالة (أهل البيت عليه السلام انبا): أن اللقاء هذا مع رئيس الجمهورية تمّ في الكنيسة الإنجليكانية في كيب تاون، وشارك فيه نحو من مائة زعيم ديني من مختلف الأديان، فضلاً عن شخصيات اجتماعية ودينية وصحفية، واستثنى من اللقاء هذا اليهود الذين امتنعوا عن المشاركة؛ بسبب كون انعقاده يوم السبت، وقد أكد رئيس الجمهورية على أهمية رجال الدين، ودورهم في ترسيخ الاستقرار والأمن، مطالباً إياهم بالتواصل لخدمة الصالح العام، ومن أبرز من شارك في هذا اللقاء السيد (آفتاب حيدر رضوي) رئيس مؤسسة أهل البيت عليه السلام في جنوب إفريقيا، وقدم تقريراً عن الشيعة وأوضاعهم في هذا البلد، وقال السيد الرضوي: بعد بزوغ فجر الحرية في جمهورية جنوب إفريقيا، كان الشيعة دائماً يحافظون على القانون، وقد بذلوا جهوداً مضيئة في سبيل تحقيق الحرية والديمقراطية في هذا البلد، لذا يطالب الشيعة بأن يتم الاعتراف بهم رسمياً، وأن يمثلهم نائب في الهيئة الدينية في البلد، وأضاف قائلاً: بالرغم من الجهود التي تبذلها العديد من المؤسسات التابعة لمذهب أهل البيت عليه السلام في هذا البلد، إلا أنّها لم تفلح في الحصول على عضوية لمذهب أهل البيت عليه السلام في هيئة الحج والعمرة في جنوب إفريقيا.

(١) أنظر: صحيفة صدى المهدي الإلكترونية، مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام، النجف الأشرف، العدد ٥٧، السنة الخامسة، (صفر ١٤٣٥ هـ - كانون الأول ٢٠١٣ م): ص ٥.

ولشبكة إفريقيا نشاطات كثيرة وكبيرة نلاحظها من خلال مؤسساتهم التي ترعى هذه النشاطات، فهناك الكثير من الاحتفالات التي تقيمها مؤسسة أهل البيت عليه السلام في المناسبات الإسلامية، كمولد النبي صلى الله عليه وآله، ومولد الإمام الحسين عليه السلام، وذكرى النصف من شعبان، وعيد الغدير، وغيرها، كما أنّ لها نشاطات واسعة جداً في وفيات الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، سيما ذكرى فاجعة الطف وواقعة كربلاء، وقد قامت بعض الشخصيات العراقية - كالسفير العراقي - هناك بزيارة هذه المؤسسات؛ لتلاقح الأفكار وتجاوز الأديان، وقد أُقيمت بهذا الصدد عدّة ندوات من خلال الجولات التي أُقيمت في مساجد مدينة كيب تاون، فضلاً عن بعض الزيارات لمدارس الأطفال التابعة لمؤسسة أهل البيت عليه السلام، وكان لحضور شخصيات دينية مسيحية وإسلامية أخرى الأثر البالغ في تجسيد حالة التعايش السلمي والتلاقح الفكري الموزون، الذي يتسم به شيعة أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم، هذا، وقد عقدت مجموعة من اللقاءات في مسجدي القدس وزينة الإسلام في مدينة كيب تاون لنفس الغرض...

إنّ حركة التشييع في هذا البلد سائرة باطّراد، وبخطى ثابتة محسوبة، وذلك بجهد المشرفين على هذا الأمر هناك، ولكنّ هذا النشاط وهذا المسير يحتاج وبشدة إلى الكثير من المتطلبات، ومنها الكتب التخصصية والمبلّغين - خاصة إذا ما عرفنا أنّ اللغة السائدة في هذا البلد هي الإنجليزية - وهذا يتطلب جهداً استثنائياً، يتحمّل مسؤوليته المتصدّون لمثل هذه الأمور الجسام، وعلى رأس أولئك بطبيعة الحال الحوزة الشريفة والمؤسسات السائرة على نهجها الشريف، وكلّ ذلك وجلّه من أجل نشر نور آل النبي الخاتم صلى الله عليه وآله وخيره إلى العالمين جميعاً، ومنه وفي سبيله زاد نماء وأعداد متبعي مذهب أهل البيت عليهم السلام ممّن سيمهدون لانتصار المسيرة الإلهية لإظهار دين الرحمن على الدين كلّه، وعلى يد خاتم العترة الإمام المهدي الحجة بن الحسن عليه السلام (١).

(١) المصدر السابق.

## مركز الهادي للثقافة والإرشاد الإسلامي ودوره في نشر الفكر المحمدي في دولة بينين

تأسس المركز في عام (٢٠٠٠م) بمدينة (كوتونو) في دولة (بينين) غرب القارة الإفريقية.

### أهداف المركز

- تأصيل الهوية الإسلامية فكرياً وثقافياً بتجليات وجهها النقي المستند إلى القرآن الكريم وتعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام.
- نشر الثقافة الإسلامية ومعارفها وأخلاقها على ضوء مدرسة أهل البيت عليهم السلام.
- تربية الجيل المسلم على الأخلاق الإسلامية الفاضلة، وخلق أجواء للصدقات الصالحة والتعارف المنتج بين المؤمنين المقيمين والمغتربين المهاجرين على أساس الفضيلة والأخلاق.
- التأكيد على قضايا التقدّم الأخلاقي والاجتماعي والثقافي وما يرتبط بذلك، وتوحيد الجهود المبذولة على هذا الصعيد.
- إقامة المعارض وعقد الندوات والمؤتمرات العلمية ذات الصلة المباشرة بتوسيع نطاق المعرفة الإسلامية، المؤدية إلى تقدّم المستوى الثقافي والأخلاقي، وتنمية سائر الجوانب الفكرية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي.
- العمل على تحقيق المشاريع وإقامة المراكز ذات الصلة بالجانب الفكري والتربوي والإيماني.
- تأسيس مدرسة عصرية لبنانية في كوتونو: وهي أكاديمية عصرية تُعنى - إلى جانب المواد العصرية - بالمنهج التربوي الإسلامي، كما تُعنى في مناهجها بدراسة الدين الإسلامي واللغة العربية والعلوم القرآنية.
- تأهيل ورعاية أساتذة التعليم القرآني ومبّلغي الدين الإسلامي لمناطق الأرياف والقرى النائية في غرب إفريقيا.

- العمل على تأسيس فضائية مرئية متخصصة بمنظومة الأخلاق والقيم والتربية الإيمانية.
- إعداد برامج إذاعية مسموعة أو مرئية لإشاعة التربية الإسلامية والقيم الإيمانية.
- إصدار مجلّة (الهادي): وهي مجلّة شهرية متخصصة تُعنى بدراسات منظومة الأخلاق والقيم والتربية الإيمانية.
- تأمين المنح الدراسية للطلاب المتخصّصين في دراسات الشريعة والعلوم الإسلامية.
- تأسيس المدارس الابتدائية والتكميلية والثانوية الدينية الملتزمة بروح القرآن، وذلك في قرى ومدن المناطق الإفريقية النائية، وبناء المساجد، وحفر الآبار لأهل تلك القرى والأرياف.

### مكوّنات المركز

يتكوّن المركز من: مسجد الإمام علي الهادي عليه السلام، وحسينية السيدة الزهراء عليها السلام<sup>(١)</sup>، ومستوصف السيدة زينب عليها السلام، ومكتبة الإمام الصادق عليه السلام، ومسرح عاشوراء، وقاعة الإمام علي عليه السلام للاحتفالات الدينية، وقاعة الندوات الفكرية والثقافية، ومكاتب المركز.

### المبادئ العامّة للمركز

- تتمثّل المبادئ العامّة للمركز، بأنّه:
- يهتمّ اهتماماً بالغاً بالجانب التبليغي الخاصّ بإحياء مناسبات أئمة أهل البيت عليهم السلام، وجميع العاملين في المركز إنّما يقومون بعملهم تطوّعاً دون أيّ

(١) للتفصيل أنظر: صحيفة الوسط الإلكترونية. <http://www.alwasat.com.kw/news/>

أجر مادي، لا يريدون إلا وجه الله تعالى وخدمة الإسلام العظيم، المتمثل بمذهب أهل البيت عليهم السلام.

• ينأى المركز بنفسه عن التدخل في القضايا السياسية والانتخابية، فاهتمامه ينصب على الجانب التبليغي والأخلاقي التربوي، ولكادر المركز - في الوقت نفسه - الحق في العمل السياسي والانتخابي، ولكن بعنوانهم الشخصي لا بعنوان انتماهم للمركز.

• لا يمارس المركز أي نشاط مالي خيري، فالعمل الخيري المالي وإن كان مهماً لمساعدة الفقراء والمحتاجين، إلا أن هدف المركز هدف تبليغي أخلاقي ثقافي تربوي فقط.

• المركز لا يفرّق بين مرجعية وأخرى، وبين تيار سياسي وآخر، فالمؤمنون كلّهم إخوة، وكلّنا نتعاون من أجل خدمة الإسلام.

• على مستوى العمل النسائي، يهتمّ المركز اهتماماً بالغاً بتشجيع روح الحجاب والعفاف والحياء لدى الفتاة المسلمة، ومن إنجازات المركز التواصل مع المرجعيات الدينية، وعقد اللقاءات الدائمة، والمشاركة في المؤتمرات الإسلامية من أجل ذلك.

• افتتاح موقعٍ رسميٍّ خاصٍّ بمركز الهادي وسائر متعلقاته .

• تأسيس وترخيص جمعية الإرشاد العاملة في لبنان، التي تُعنى بإقامة الأنشطة الدينية التبليغية ذات الصلة بإحياء أمر أهل البيت عليهم السلام.

• تأسيس وترخيص جمعية مركز الهادي للثقافة والإرشاد الإسلامي في (كوتونو).

• الانتهاء من بناء عدّة مدارس دينية، ومجموعة من المساجد، وذلك في محافظتي

- (باراكو) و(كاندي) وضواحيهما في شمال دولة (بينين) في غرب إفريقيا.
- إصدار مجلة الهادي: وهي مجلة إسلامية فكرية ثقافية اغترابية متخصصة، تُعنى بدراسات منظومة الأخلاق والقيم والتربية الإيمانية، تصدر عن مركز الهادي للثقافة والإرشاد الإسلامي.
- الإشراف على حسينية الزهراء عليها السلام ونشاطاتها في (كوتونو).
- الإشراف على المدرسة اللبنانية العصرية التي أنجزها المركز في (كوتونو).
- الإشراف على مدرسة أهل البيت عليهم السلام في محافظة (باراكو) في (بينين)، وهي مدرسة دينية خاصة بالشيعة الأفارقة، كما يُشرف المركز على بعض المدارس الدينية في محافظة (كاندي).
- الإشراف على مدرسة الإمام علي الهادي عليه السلام في (كوتونو)، وهي مدرسة صغيرة خاصة بالأطفال الأفارقة، تُعنى بتدريس القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية.
- طباعة الكتب الشيعية المهمّة وترجمتها وتوزيعها.
- إحياء المعارض وعقد الندوات والمؤتمرات العلمية والثقافية، ذات الصلة المباشرة بتوسيع نطاق المعرفة الدينية، وقضايا الأخلاق والتربية الإيمانية<sup>(١)</sup>.

(١) للتفصيل أنظر: مركز آل البيت العالمي للمعلومات، مركز الهادي للثقافة والإرشاد الإسلامي:

<http://www.al-shia.org/html/ara/others/index.php?mod=marakez&id=79>

خُلَاصَةُ الْمَقَالَاتِ

بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَاللُّغَةِ الْإِنْجَلِيزِيَّةِ



## الشعائر المستحدثة وأدلتها

قراءة في كتاب (أسرار الشهادات) للفاضل الدربندي

الشيخ قيصر التميمي

يستعرض مقال التحرير مجموعة من الشعائر الحسينية المستحدثة، مع ذكر أدلتها الواردة في كتاب (أسرار الشهادات) للدربندي. والكتاب من أهم الكتب الاستدلالية الاجتهادية الرائدة في زمانها والمؤسسة في مجال النهضة الحسينية عموماً والشعائر الحسينية على وجه الخصوص.

والهدف الأساس من المقال هو التعرف على البدايات والبيئة التي نشأت فيها ظاهرة البحوث التحليلية والاجتهادية المرتبطة بمستحدثات المراسم الحسينية قبل قرن ونصف من الزمن تقريباً؛ ليتعرف الباحث بعد ذلك على حجم التراكمات الاستنباطية والاستدلالية التي رافقت مسيرة تلك المراسم إلى يومنا الحاضر، وهي تراكمات كبيرة وخطيرة، كانت وما زالت محلّ جدل يُلقى بظلاله على مجتمعاتنا الحسينية.

وقد بدأ المقال ببيان المنهج الاستدلالي العام الذي انتهجه المصنّف في كتابه، مع إحصاء أهم ما جاء في كتابه من تلك الشعائر الآتي ذكرها.

ثم انتقلنا بعدها إلى عرض الأدلة، فذكرنا الأصل العملي الأوّلي في المسألة، وقد اختار المصنّف أنّ الأصل في مثل هذه الأمور بشكل عامّ في حالة الشك هو الجواز. ثم قسّمنا الأدلة إلى عامّة وخاصّة، حيث يترّاح كلام المصنّف فيها بين إثبات أصل المشروعية وبين إثبات الاستحباب، وقد كانت العامّة منها ثلاثة:

أولاً: ضرورة المذهب، والسيرة القطعية للمعصومين والمتشرعة.

ثانياً: مطلوبة الجزع على الإمام الحسين عليه السلام.

ثالثاً: رواية ضرب السيدة زينب عليها السلام رأسها بمقدم المحمل.

وأما الأدلة الخاصة فقد توزعت على الشعائر التالية:

١- التطبير، واستدل له بالخصوص بفعل السيدة زينب عليها السلام، حينما صدمت رأسها الشريف بمقدم المحمل. واستثنى ما قد يؤدي إلى الموت أو تلف عضو من الأعضاء، وجزم بحرمة.

٢- الصياح وخمش الوجوه ولطم الصدور والضرب على الرؤوس بالأكف.

٣- حثو التراب والرماد على الرؤوس، وتطين الوجه والجسد، وشق الثياب ولبس السواد.

واستدل لمجموع هذه الطقوس بروايات كثيرة وممارسات متنوّعة ممضاة وقعت في محضر المعصومين عليهم السلام، يعتقد بتواترها وبلوغ مضمونها حدّ الضرورة الدينيّة والمذهبيّة، وهي بمجموعها تكشف عن استحباب ما يقع في أفقها ويُمثّلها من الممارسات والطقوس. كما استدل لاستحباب لبس السواد بالخصوص بمنام وارد في قصّة محكيّة.

٤- الشبيه (التمثيل)، فإنّه بعد تأكيده على كونه من المسائل الابتلائية المستحدثة، وبعد التأسيس لأصالة الجواز فيه، وردّ بعض الاستدلالات الضعيفة في المقام، استدل برواية نسبها إلى الكليني عليه السلام في الروضة، لكننا لم نجد محلّ الشاهد فيها إلا في كتاب المصنّف نفسه. ثمّ أيد ذلك بمجموعة من النصوص والشواهد الماثلة، مستثنياً ما قد يؤدي إلى الحرام بنظره، كتشبه الرجال بالنساء.

٥- ضرب الطبول والعزف بالآلات الموسيقية، وقد تبنّى حرمة هذه الممارسات، وأنّ الأصول والقواعد الشرعيّة العامّة دالّة بمجملها على التحريم.

## THE EDITORIAL THE INNOVATIVE RITUALS AND THEIR PROOFS:

*A PERUSAL OF AL-FĀḌĪL AL-DARBANDĪ'S BOOK: ASRĀR AL-SHAHĀDĀT*

*Shaykh Qayṣar al-Tamīmī*

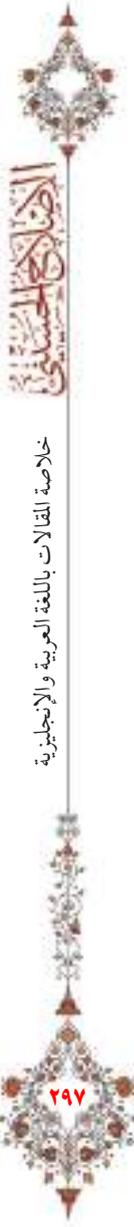
The editorial reviews a set of innovative practices that have been included with the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom, along with the points of evidence on their legality, as quoted from al-Fāḍil al-Darbandī's famous book: *Asrār al-Shahādāt*, since this book is regarded as one of the most leading argumentative and inductive books of its time dealing with issues related to Imam al-Ḥusayn's revolutionary uprising generally and the rituals of commemorating his martyrdom particularly.

The main goal of writing this essay is to find out the outsets as well as the environments in the shade of which the phenomenon of writing analytical and inductive researches and studies dealing with and discussing the innovative practices of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom, which first came out about ۱۵۰ years ago, emerged. Thereby, a researcher may have an idea about the vast volume of the inductive and argumentative accumulations that escorted these rituals, ceremonies, and practices since the first day of their emergence and up to the present day. In fact, these accumulations, which are colossally dangerous, have always been open to disputes and questions that badly affected the communities of the loyalists to Imam al-Ḥusayn (ʿa).

The essay thus starts with shedding light on the general inductive methodology adopted by the author of *Asrār al-Shahādāt*, along with a guide to the most important innovative rituals mentioned in the book.

The writer then moves to posing the points of evidence on the legality of each ritual, thus stating the initial practical origin of the issue as a whole. In this regard, the author of the book confirmed that the original law in such issues when doubted is their being legal.

Classifying these points of evidence into general and particular; the writer proves that the words of the author in this regard range between some of these rituals being originally legal and others being recom-



*mended. However, the general points of evidence are precisely the following three ones:*

*1. Some rituals are proven through what is necessarily required by the Sect and what is proven through the decisively reported narrations of the Holy Imams and the religious people.*

*2. Other rituals are proven through the unquestionable instruction of the necessity of showing deep grief for Imam al-Ḥusayn (ʿa).*

*3. Other rituals are proven through the narration telling that Lady Zaynab hit her head with the column of the howdah when she saw the head of Imam al-Ḥusayn (ʿa) raised on spearheads.*



العقد الثامن عشر - السنة الخامسة ١٤٣٨ هـ - ١٧٠١ م



## المراسم الحسينية

### بين عمومات الشعائر والتأصيل الفقهي المستقل

آية الله الشيخ مسلم الداوري

أجرت مجلة الإصلاح الحسيني حوارية مع سماحة آية الله الشيخ مسلم الداوري، تضمّنت عدّة أسئلة، كان أولها متعلّقاً بمعنى الشعائر في النصوص الدينية، وقد أجاب الشيخ بأن معنى كلمة الشعائر أوسع من الموارد التي وردت في القرآن الكريم، ولا يعني ورودها في سياق مناسك الحج أنها محصورة في ذلك؛ إذ المورد لا يخصّص الوارد. وعليه؛ أنّ كلّ شيء يكون معلماً لدين الله يُتقَرَّب به إلى الله تعالى فهو شعيرة من شعائره تعالى.

وفي سؤال عن الضابطة العامة التي يمكن من خلالها تحديد الشعيرة، ذكر سماحته ضابطين:

١- أن تكون من الأمور الراجعة التي ندب إليها الشرع.

٢- أن تكون من الأمور التي يميّز بها الدين عن سائر المذاهب والأديان.

وفي معرض جوابه عن سؤال حول إيجاد الشعائر الحسينية هل هو مختص بالله تعالى أم أن للمعصوم أو المشرّعة دوراً في ذلك، ذكر أن المراد بالشعائر هو كل ما يكون معلماً ومميّزاً للدين الحنيف، سواء أكان قد جُعِل من الله عزّ وجلّ مباشرة، أم بواسطة نبيه ﷺ، أم الإمام عليّ عليه السلام، أم نائبه من الفقهاء، أم المشرّعة من المؤمنين.

وختم الحوار بذكر أهمّ الموارد التي يمكن اعتبارها من أبرز مصاديق الشعائر الحسينية، فذكر سماحته مجموعة من المصاديق معززاً ذلك بالأدلة النقلية. ومنها: زيارة الإمام عليّ عليه السلام، البكاء على مصابه، إقامة المجالس، لبس السواد، لطم الخدود والصدور.

*THE CEREMONIES OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S  
MARTYRDOM; A COMPARISON BETWEEN THE COMMON RITU-  
ALS AND THE ACTUAL RITUALS AS SPECIFIED BY THE MUSLIM  
JURISPRUDENCE*

*An interview with His Eminence Ayatollah Muslim al-Dāwarī*

*The al-Isḫāḥ al-Ḥusaynī Magazine interviewed His Eminence Ayatollah Shaykh Muslim al-Dāwarī and posed a number of questions, the first of which was about the meaning of the Arabic word sha'ā'ir (rituals) as mentioned in religious texts. In reply, His Eminence stated that the meaning of this word is very much wider than its meaning in the Qur'ānic texts. Thus, when this word is mentioned in the Holy Qur'ān to denote the rites of the ritual Ḥajj pilgrimage exclusively, this does not necessarily mean that it is restricted to this domain only, since, generally, a word being used in a certain context does not necessarily mean that it is restricted to that context. In view of that, whatever thing that acts for a sign referring to the religion of God and is aimed at seeking nearness to Him is considered amongst the rituals of God the All-exalted.*

*In his reply to our question about the general grounds on which an activity is defined as a religious ritual, His Eminence said: An activity, in order to be recognized as a religious rite, must be:*

- (1) reasonably acceptable.*
- (2) distinguishing in the sense that it is used only in Islam rather than the other religions and sects.*

*His Eminence was then asked whether creating a certain ritual of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom is one of the issues that must be decided by God exclusively or that the Holy Imams and the scholars committing to the religious laws are allowed to play a role therein. His answer was as follows: Since a religious rite includes all activities and signs that act as markers distinctively related to the religion, there is no difference whether that activity has been already prescribed by God the Almighty directly, or through His Prophet, or the Imam, or the supreme religious authority in his capacity as the deputy*

of the Imam, or any duty-bound faithful believer who abides by the laws of the religion.

The interview was then sealed with referring to the activities considered to be the most important examples of the rituals of commemorating Imam al-Husayn's martyrdom, such as going on pilgrimage to the holy tomb of Imam al-Husayn (a), weeping for his tragic martyrdom, holding sessions and ceremonies of commemorating his affairs and martyrdom, wearing black clothes as expression of sorrow for him, slapping the faces and chests as a sign of grieving for him. For each of these examples, His Eminence mentioned one or more supporting narrations.

## مفهوم الجزع في الشعائر الحسينية

د. الشيخ فلاح الدوخي

تناول المقال مفهوم الجزع وحكمه في الشريعة الإسلامية بشكل عام، والجزع على الإمام الحسين عليه السلام بشكل خاص.

استعرض الكاتب بعد المقدمة ثلاث نقاط تمهيدية، تناول فيها لمحة عن مفهوم الجزع في الشعائر الحسينية، ونبذة من تاريخها الذي يمتد إلى عهد الرسول صلى الله عليه وآله، والأهداف المتوخاة منها؛ لما تُمثله من قيمة معيارية في اندراج مظاهر العزاء في مفهوم الجزع المستحب على الإمام الحسين عليه السلام.

ثم قدم تعريفاً واضحاً لمفهوم الجزع، مفرقاً بينه وبين الاصطلاحات المشابهة كالحزن مثلاً، مثبتاً أن الجزع من المصطلحات ذات المصاديق التي تتجدد وتتوسع في عمود الزمن، محدداً العرف بصفته معياراً لإدراج المظاهر المستجدة في المفهوم، وقد أثبت عدم اشتراط العفوية في الممارسة، لتندرج في مفهوم الجزع؛ مما يسمح بدخول التظاهر بالجزع في إطار المفهوم العرفي.

وقد استعرض حكم الجزع - بشكل عام - في الفقه الإمامي، وهو الجواز على نحو الكراهة بحسب المشهور، مستثنياً الجزع على الإمام الحسين عليه السلام؛ عملاً بالنصوص المستفيضة، الدالة على استحبابه والدعوة إليه من قبل المعصومين عليهم السلام.

وبين الكاتب حدود الجزع في الشعائر الحسينية، مؤكداً خروج بعض الممارسات عن مفهوم الجزع المستحب؛ لعدم انطباق المعايير العرفية عليها، إضافة إلى عدم اندراجها في إطار الأهداف المرسومة للشعائر الحسينية، ومن أبرزها: التطبير، والمشي على الجمر، والتطين.

## THE DENOTATIONS OF “JAZA’ ” IN THE RITUALS OF COMMEMORATING IMAM AL-HUSAYN’S MARTYRDOM

*Dr. Shaykh Falāḥ al-Dūkhi*

*The essay is an investigation of the important roles played by the activities of raising flags and slogans by those commemorating Imam al-Ḥusayn’s martyrdom, as well as the meanings and notions symbolized by such activities and related to bringing to minds and celebrating Imam al-Ḥusayn’s revolutionary issue.*

*In the beginning, the writer of the essay discusses with details the impacts left by the speeches about Imam al-Ḥusayn’s revolution on the mentalities of the addressees, proving that there are two types of such speeches, although the common point between the two types is that they mention and concentrate on the details of Imam al-Ḥusayn’s movement towards martyrdom and the commentaries of the authors, writers, and orators on the events that escorted that movement.*

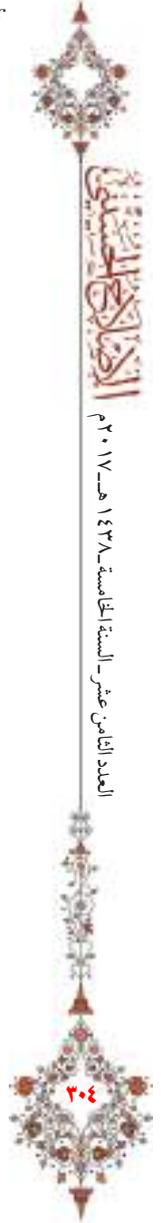
*The writer then touches on the history of raising flags while commemorating Imam al-Ḥusayn’s martyrdom, proving-through quoting some historical texts—that this activity is strongly attached to the event of the Battle of al-Ṭaff, which ended with the martyrdom of Imam al-Ḥusayn (‘a), along with all of its details.*

*Referring to the symbolism of the colors of flags, the writer confirms that these colors are signs of certain groups of warriors and symbols of fight that stimulate the masses to ready themselves for fighting in defense of the principles of Imam al-Ḥusayn (‘a). They are also considered part of the identity of each individual who waits desirously for taking a part in the final battle of purifying the globe from corruption and corrupters. The writer then speaks of the symbolism of the pictures painted on these flags, confirming that these pictures hold some spiritual and combative aspects since they are derived from the events of the Imam’s martyrdom.*

*The writer then refers to the importance of raising slogans in order to highlight the actual attitude of the followers of the Ahl al-Bayt School, since many of these slogans express the masses’ willingness to fight and firm determination to stand in the face of the tyrannical authorities. He then mentions some samples of such slogans that convey a reformative*

course adopted by the masses in the face of all aspects of corruption.

In the end, the writer points out the influence of these slogans, which can be noticed in the similarities and the many common points, bearing out that these slogans represent the culture of the participation of the masses in the rituals and ceremonies of commemorating Imam al-Husayn's martyrdom and contribute to preparing them for acting as influential powers in the making of noble lives.



العدد الثامن عشر - السنة الخامسة ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

## بلاغة الراية والشعار في المواكب الحسينية

### دراسة في ضوء بلاغة الجمهور

أ. م. د. علي مجيد البديري

تناول المقال بلاغة الراية والشعار، وما يرمزان إليه من معانٍ ومفاهيم ترتبط بإحياء القضية الحسينية.

بدايةً تناول الكاتب تأثير الخطاب الحسيني في نفس المخاطب، وبين أن هناك نمطين من الخطاب، يتمثلان بالنصوص الخاصة بتفاصيل رحلة الركب الحسيني، وقرءات المؤلفين والكتّاب والخطباء لوقائع النهضة.

ثم تطرق لتاريخ الراية، وبين أنه يقترن بقضية الطف وما رافقها من أحداث، مستشهداً لذلك ببعض النصوص.

كما أوضح رمزية الألوان في الرايات، واعتبارها إشارات لأفواج مقاتلين، ورمزاً للجهاد يحفز الجمهور على الاستعداد، وأنها جزء من هوية الفرد بوصفه منتظراً وراغباً في الاشتراك في معركة تطهير الأرض من الفساد ورموزه، وكذلك رمزية الرسوم في الرايات، وأن فيها بُعداً روحياً وجهادياً؛ باعتبارها مستمدة من أحداث الواقعة.

ثم أشار إلى أهمية رفع الشعار في إبراز الصورة الواقعية لأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، وبين أن جملة من الشعارات تُعبّر عن قدرة الجمهور، وصلابة إرادته في الوقوف بوجه السلطات الظالمة، وذكر نماذج من الشعارات التي ترسم منهجاً إصلاحياً يتبنّاه الجمهور إزاء مظاهر الفساد.

وفي النهاية، تناول بلاغة الشعارات في تشابه نماذجها، وأنها تُجسّد ثقافة المشاركة وإعداد الجمهور لأن يكون قوّة مؤثرة في صنع الحياة الكريمة.

# THE ROLES AND SYMBOLISMS OF FLAGS AND SLOGANS IN THE RITUALS

OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM;  
A STUDY IN THE LIGHT OF THE ACTIVITIES OF THE COMMEMORATORS

Dr. 'Alī Majīd al-Budayrī

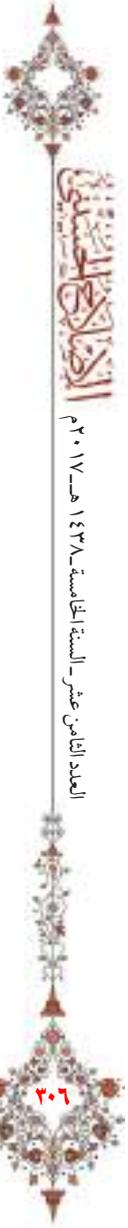
The essay is an investigation of the important roles played by the activities of raising flags and slogans by those commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom, as well as the meanings and notions symbolized by such activities and related to bringing to minds and celebrating Imam al-Ḥusayn's revolutionary issue.

In the beginning, the writer of the essay discusses with details the impacts left by the speeches about Imam al-Ḥusayn's revolution on the mentalities of the addressees, proving that there are two types of such speeches, although the common point between the two types is that they mention and concentrate on the details of Imam al-Ḥusayn's movement towards martyrdom and the commentaries of the authors, writers, and orators on the events that escorted that movement.

The writer then touches on the history of raising flags while commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom, proving-through quoting some historical texts-that this activity is strongly attached to the event of the Battle of al-Ṭaff, which ended with the martyrdom of Imam al-Ḥusayn (ʿa), along with all of its details.

Referring to the symbolism of the colors of flags, the writer confirms that these colors are signs of certain groups of warriors and symbols of fight that stimulate the masses to ready themselves for fighting in defense of the principles of Imam al-Ḥusayn (ʿa). They are also considered part of the identity of each individual who waits desirously for taking a part in the final battle of purifying the globe from corruption and corrupters. The writer then speaks of the symbolism of the pictures painted on these flags, confirming that these pictures hold some spiritual and combative aspects since they are derived from the events of the Imam's martyrdom.

The writer then refers to the importance of raising slogans in order to



highlight the actual attitude of the followers of the Ahl al-Bayt School, since many of these slogans express the masses' willingness to fight and firm determination to stand in the face of the tyrannical authorities. He then mentions some samples of such slogans that convey a reformative course adopted by the masses in the face of all aspects of corruption.

In the end, the writer points out the influence of these slogans, which can be noticed in the similarities and the many common points, bearing out that these slogans represent the culture of the participation of the masses in the rituals and ceremonies of commemorating Imam al-Husayn's martyrdom and contribute to preparing them for acting as influential powers in the making of noble lives.

## شعيرة لبس السواد في المنظار الفقهي

الشيخ عدنان الشامي

يتناول المقال حكم لبس السواد بمصائب أئمة أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً في أيام محرم وصفر، لا سيّما وأنّ ذلك أصبح شعيرة عند أتباع أهل البيت عليهم السلام. بعد أن استعرض الكاتب تعريف اللون الأسود علمياً وخصائصه ودلالاته، وأنّه يرمز إلى القوّة واحترام النفس والاعتزاز بها، وأنه لون الاكتئاب والحزن، ذكر جملة من الآيات والروايات التي تدلّ على هذا المعنى، ثمّ بيّن أنّ اللون الأسود من التقاليد المعروفة عند الأمم والشعوب، وأنه لون الحزن والحداق عند العرب قبل الإسلام وبعده.

كما تطرّق إلى حكم لبس السواد - بشكل عام - في الشريعة المقدّسة واستعرض طائفتين من الروايات في ذلك، الأولى: الروايات الناهية عن لبس السواد. والثانية: الروايات الحاثّة على لبس البياض. ثم ذكر الخلاف بين الفقهاء في كراهة لبس السواد وعدمه. وخلص إلى أنّ روايات النهي تُحمل على الكراهة، وأنها إرشاد إلى آثاره النفسية، أو الاجتماعية، أو العلمية.

بعد ذلك بيّن حكم لبس السواد في عزاء الأئمة عليهم السلام والإمام الحسين عليه السلام على وجه الخصوص، واستعرض جملة من الروايات والشواهد التاريخية الدالّة على استحباب ذلك.

وفي الختام تطرّق لظاهرة الاتّشاح بالسواد في العزاء على الأئمة عليهم السلام وتعريفه وبيان حكمه، وأنه جائز، بل مستحب.

## THE RITUAL OF WEARING IN BLACK IN LIGHT OF THE ISLAMIC LAW

*Shaykh ʿAndān al-Shāmī*

The essay discusses the Islamic laws concerning wearing in black on the sad occasions of the martyrdoms of the Holy Imams (ʿa) in general and during the days of the months of Muḥarram and Ṣafar as expression of deep sorrow for the martyrdom of Imam al-Ḥusayn (ʿa), since this practice has turned to be one of the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom that is widely practiced by the partisans and followers of the Ahl al-Bayt (ʿa).

The essay is started with giving scientific definition of the black color along with its distinctive features and indications. The writer thus confirms that the black color symbolizes strength, self-respect, and self-esteem plus its being a symbol of depression and grief. Proving these facts, the writer provides points of evidence extracted from a number of Qur'ānic verses and narrations authentically reported from the Holy Imams (ʿa).

He then maintains that wearing in black to express grief is one of the widely familiar traditions of nations and peoples, including the Arabs who, before and after Islam, used to wear in black in order to express their sadness and mourning.

The writer then moves to mentioning, yet generally, the rulings appertained to wearing in black in the Islamic Law, thus citing and discussing two groups of narrations on this topic. The first group includes narrations that warned against wearing black clothes, and the second group includes narrations encouraging on wearing in white. Then, the writer refers to the disagreement among scholars of Muslim jurisprudence about wearing in black, since some scholars deemed discommended to do so while others deemed the otherwise. In conclusion, the writer proves that the narrations that warned against wearing black clothes only regarded this act as discommended and unfavorable, but not as illegal and forbidden, because the texts of these narrations were only intended to draw attentions to the psychological, social, and scientific effects and bad consequences of the black color.

The writer then displays the rulings appertained to wearing in black

*on the sad occasions of the martyrdoms of the Holy Imams (‘a) in general and Imam al-Ḥusayn (‘a) in particular, quoting a good number of narrations and historical facts that confirmed that it is highly advisable to wear black clothes on such occasions.*

*In the end, the writer, discussing the ritual of covering the walls with black materials on the occasion of Imam al-Ḥusayn’s martyrdom, mentions the limits of this ritual as well as the view of the Islamic Law about it, thus proving that this act is not only legal but also recommended.*

الكتاب الثاني

العدد الثامن عشر - السنة الخامسة ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

## الشعائر الدينية والمراسم الحسينية

### دراسة لغوية قرآنية في الانطباق المفهومي

السيد شهيد طالب الموسوي

موضوع صدق الشعائر الدينية على المراسم الحسينية قديم وحديث، فقد بُحث قديماً وما زال طرياً؛ لما له من حيوية على الفرد الممارس لهذه المراسم؛ لأنّ مآل البحث إمّا أن يكون له ارتباط ديني وتتبعه آثار من قبيل الأجر في الآخرة، وإمّا لا ارتباط له بالدين ويكون معطى إنسانياً، فمن هنا تكمن أهمية البحث وما له من آثار تنعكس على اعتقاد الشخص المرتبط بالقضية الحسينية.

لذلك؛ بدأ الباحث بتمهيد بيّن فيه أهمية الموضوع وحدّد دائرة بحثه من خلال القرآن الكريم. ثمّ بيّن أولاً ماهية الشعائر من خلال بيان الشعائر بين الوضع والاستعمال، ثمّ تحديد المفهوم. وثانياً: بحث الشعائرية في القرآن الكريم من خلال أدلة القرآن على الشعائر، وقضية توقيفها وعدمه. وثالثاً: بحث قضايا تطبيقية لما مرّ من الأبحاث، فبيّن ارتباط قضية الإمام الحسين عليه السلام بأصول الدين، ثمّ بيّن أنّ المراسم الحسينية هي تفرّيع للأصل وتحقّق للموضوع وأخيراً الشعائرية والمراسم، فهي من باب انطباق المفهوم على المصداق.

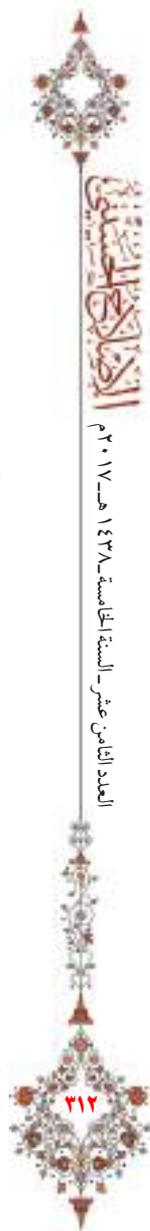
وختم بحثه بخلاصة لمّم فيها مقاله مفادها: أنّ الشعائر وردت في لسان الشارع بنفس المعنى العرفي اللُّغوي، ولم يستعملها في حقيقة شرعية، وبناءً على هذا القول صحّ التمسك بالإطلاق واستيعاب كلّ فرد يتحقّق فيه موضوع الشعائر وماهيتها.

*THE RELIGIOUS RITUALS AND THE CEREMONIES OF  
COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM  
A LEXICAL-QUR'ĀNIC STUDY OF THE NOTIONAL CONGRU-  
ENCE OF THE TWO CONCEPTS*

*Sayyid Shahīd Ṭālib al-Mūsawī*

*The topic of the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom being part of the religious rituals has always been discussed in the past and in the present; nevertheless, it has still been open to discussion and argumentation, because it holds some bearings on the lives of those who practice these rituals. Thus, the purpose behind studying this topic is to prove whether the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom are religious and religion-related practices-and, such being the case, certain issues are resulted therefrom, such as those who practice these rituals will win otherworldly rewards-or they are only worldly practices that have nothing to do with the religion. From this reason, the discussion of this issue seems to be highly important as long as it reflects on the faith of those who believe in and practice the ceremonies of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom.*

*The essay is started with a prelude that sheds light on the importance of the topic, which is studied within the frame of the texts of the Holy Qur'ān exclusively. Thus, the first theme discussed in the essay is introducing and defining the lexical meanings and the usages of the Arabic word sha'ā'ir (rituals) and then defining its meaning as a term and a notion. Then, the writer discusses the word as mentioned in the Holy Qur'ān to prove whether this word is confined to a certain field or is so general that it can be used in all domains and fields. After that, he comes upon some applicable usages of the word. He thus concludes that Imam al-Ḥusayn's issue, represented by his reformative uprising that ended with his martyrdom, is inseparably connected to the principles of the religion of Islam. Hence, practicing the rituals and ceremonies of commemorating his martyrdom must be a branch of the principles of the religion and a form of putting the religious rituals into practice; therefore, it is clearly understood that holding ceremonies and rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom must be an example*



of the notional congruity between these ceremonies and the religious rituals.

The essay is finally sealed with an abstract that sums up the whole matter, which can be put in the following words: When mentioned in the Holy Qur'ān, the word *sha'ā'ir* (rituals) was used in the same traditional and lexical meaning of it, since the Holy Qur'ān has not used it to express an issue related exclusively to the religious law. Accordingly, it is absolutely accurate to use this word in its very unrestricted meaning that includes all items that express and meet the notion of the word without limitation

## أهمية الزيارة في الشعائر الحسينية

الباحث: حسن جميل الربيعي

يؤكد المقال أهمية زيارة الإمام الحسين عليه السلام ويعتبرها المصداق الأبرز للشعائر الحسينية؛ لما تشتمل عليه من تعاليم ومعارف سامية ترتبط بروح الإسلام وجوهره. بدأ الكاتب بتعريف الشعائر واستعمالاتها في القرآن الكريم، وأنها وردت في أربعة مواضع في سياق آيات الحج، ويبيّن أنّ ذكرها في سياق آيات الحج لا يعني اختصاصها به؛ مُستشهداً لذلك بالمعنى اللُّغوي للشعائر، وإضافتها إلى لفظ الجلالة (الله).

ثمّ تطرّق إلى ارتباط لفظ (الشعائر) بلفظ (الحسينية)، وأنها - بهذه الصفة - تكتسب صفة المدح والثناء، ويكون المقصود بها هو الجانب المتعلّق بالإمام الحسين عليه السلام، الذي من خلاله نصل إلى رضا الله تعالى؛ باعتبار أنّ الحسين عليه السلام في كلّ حركةٍ من حركاته وسكنةٍ من سكناته كان يطلب رضوان الله تعالى.

بعد ذلك انتقل إلى بيان الزيارة وأهمّيّتها في إحياء الشعائر الحسينية، وذكر بعض الروايات الواردة في وجودها، كما بيّن ضرورة الزيارة بالمأثور؛ لما تحمله تلك النصوص من معارف ومفاهيم إسلاميّة، تُلقِي بظلالها على الإنسان المسلم؛ لبناء شخصيّته، وتقوية الروح الإيمانية في نفسه. ثمّ استعرض ثلاث نقاط لبيان أثر الزيارة في إحياء الشعائر الحسينية:

- ١- الزيارة تفاعلٌ إيجابي في النفوس.
- ٢- تعمّق الجذوة الإيمانية في النفس.
- ٣- تعمّق المفاهيم الإسلامية في النفوس.

## THE SIGNIFICANCE OF PILGRIMAGE TO THE TOMB OF IMAM AL-ḤUSAYN AS ONE OF THE LEADING RITUALS OF COMMEMORATING HIS MARTYRDOM

Ḥasan Jamīl al-Rubay'ī

The essay highlights the importance of going on pilgrimage to the holy shrine of Imam al-Ḥusayn (ʿa), considering it to be the most outstanding example of commemorating his martyrdom, since it embraces sublime teachings and principles that are directly related to the spirit and essence of Islam.

The writer thus begins his essay with giving definitions to the Arabic word *sha'ā'ir*. Referring to its usages in the Holy *Qur'ān*, the writer argues that although this word has been repeated four times in the *Qur'ānic* verses that speak of the ritual *Ḥajj* pilgrimage exclusively, this does not necessarily mean that the word is restrictedly related to the rites of the *Ḥajj* pilgrimage; rather, it can be used in other practices and fields. The evidence on this fact is the lexical meaning of the word and its being attached and annexed to God the Almighty.

Touching on the familiar connection between the word *sha'ā'ir* and the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn (ʿa), the writer proves that such a connection imparts on the word *sha'ā'ir* a sort of praise and commendation. Hence, the *sha'ā'ir* in the sense of rituals, practices, and ceremonies, when connected to the name of Imam al-Ḥusayn (ʿa), are purely aimed at commemorating his martyrdom and great revolution and through these rituals, the pleasure of God the Almighty is won, since Imam al-Ḥusayn, along with all of his movements and activities, sought nothing but the pleasure of God.

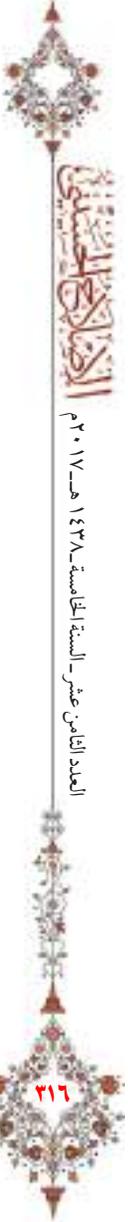
The writer then moves to discussing in details the features, methods, and aspects of pilgrimage to Imam al-Ḥusayn's holy tomb, supporting these details with some narrations that laid very much emphasis on coming to the holy tomb, while other narrations even deemed this act to be obligatory upon faithful believers to do. He then highlights the necessity of visiting the holy tomb in the same method and way taught by the Holy Imams (ʿa), which include reading certain supplicatory prayers, offering prayers near the holy tomb, and following a certain method of pilgrimage. This is so because these methods of pilgrimage



that are reported from the Holy Imams (°a) hold a big number of Islamic notions, teachings, and wisdom that positively affect the souls of Muslims, contributing greatly to building the personality and enhancing the spirits of faith.

Finally, the writer, explaining the positive impacts of visiting the holy tomb of Imam al-Husayn (°a) on the rituals of commemorating the Imam's martyrdom, reviews the following three points:

1. Pilgrimage to the Imam's tomb expresses an explicit reaction and creates positivity in souls.
2. It strengthens faith in the minds of the believers.
3. It also implants the Islamic conceptions and teachings deeply in mentalities.



## الركائز الأساسية لوعي نهضة الإمام الحسين عليه السلام

الشيخ جميل الربيعي

انطلق الباحث من نقطة أساسية وجوهرية ذكرها في تمهيد البحث، وهي أنّ النهضة الحسينية نهضة إسلامية بكلّ أبعادها ومدياتها؛ ولذلك ذكر ركائز أساسية لوعي هذه الحركة الإسلامية، بدأها بالوعي الصحيح للإسلام، حيث تُعدّ هذه الركيزة الأساس القوي الذي لا بدّ من الاعتماد عليه لوعي هذه النهضة بالشكل الصحيح.

وفي الركيزة الثانية انتقل الحديث عن قائد هذه النهضة وإدراك ومعرفة موقعيته في حركة التاريخ الرسالي، وما له من أبعاد على قارئ النهضة الحسينية بالشكل المرجو لها.

ثمّ بيّن ركيزة ثالثة في غاية الأهمية وهي معرفة سرّ خلود هذه النهضة والتأكيد على جانبها الإلهي، فذكر مجموعة تحديات أوصلها إلى ستة على نحو الاختصار.

أمّا الركيزة الرابعة (وعي متطلبات الزمان) فكان الحديث فيها عن أنّ من الركائز الأساسية للتأثر الحسيني فهم العصر والزمان، وما فيه من ملاسبات وصعوبات وعقبات؛ ليستطيع أن يعالج الأمراض النفسية، والانحرافات الفكرية، والتيارات السياسية.

والركيزة الخامسة (الهدفية الواضحة والوسيلة الجاذبة)، فهي تضع الإنسان على جادة الصواب، وتجعله يتحرّك بدقة واتزان دون تحبّط أو تردد.

وأخيراً ختم الباحث مقاله بمسالة مهمة وهي: العمل الجادّ على نشر المعارف الحسينية وما جسّدته من أصول الدين وفروعه.

## THE BASIC PILLARS OF UNDERSTANDING IMAM AL-ḤUSAYN'S REFORMATIVE UPRISING

*Shaykh Jamīl al-Rubay'ī*

*In writing it, the researcher bases this essay on an essential and fundamental point mentioned as prelude to the research. This point is that Imam al-Ḥusayn's reformative uprising is, in all of its aspects and scopes, a purely Islamic uprising. For this reason, the writer mentions a number of basic pillars for understanding consciously the Imam's Divine uprising. The first of these pillars is the accurate and perfect understanding of Islam, since this pillar is seen as the most powerful basis that must be relied upon for a true understanding of the Imam's uprising.*

*Drawing the attentions to the second pillar, the writer moves to speaking of the leader of the uprising in order to recognize and identify his standing in the progress of the history of defending the principles, since this aspect has its own features and dimensions that leave great impacts on the mentality of those who read about Imam al-Ḥusayn's reformative uprising in the most appropriate way.*

*The writer then arrives at the third pillar, which is, being extremely important, to recognize the secrets behind the immortality of Imam al-Ḥusayn's reformative uprising and the Divine aspect of it. He thus mentions, yet briefly, six challenging points that contributed to immortalizing this blessed uprising.*

*About the necessity of recognizing the requirements of time, which is the fourth pillar of understanding Imam al-Ḥusayn's uprising, the writer introduces this point as one of the basic pillars to be had in the mind of the revolutionists who follow the course of Imam al-Ḥusayn (‘a), confirming that such revolutionists should fully recognize what is required by the current era along with all of its confusables, difficulties, and obstacles in order to treat all mental disabilities, ideational perversions, and fallacious political tendencies.*

*Defining the objective unmistakably through employing all attractive means is the fifth pillar of understanding Imam al-Ḥusayn's uprising, since this matter puts man on the right path and makes him move meticulously and steadily without any haphazard action or hesitation.*

Finally, the essay is sealed with shedding light on another crucial issue; namely, the necessity of working painstakingly toward spreading the distinctive features of Imam al-Husayn's reformatory uprising and actions that embodied the true religion of Islam along with all of its primary and secondary issues.

## سيرة ثائر

## سليمان بن صرد الخزاعي

السيد محمد الشوكي

بدأ الكاتب مقاله بما آلت إليه أحوال الناس بعد واقعة كربلاء، وبروز شخصية سليمان بن صرد الخزاعي في ثورة التوابين، فتعرض بدايةً لبطاقته الشخصية وكونه صحابياً أو تابعياً، واستدل على صحبته برواية رواها في غزوة الأحزاب، وأنه من أكابر الشيعة، وصاحب رأي، ومشورة فيهم، ومن المبادرين لبيعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد مقتل عثمان.

تطرق الكاتب أيضاً إلى مسألة عدم اشتراك سليمان بن صرد في حرب الجمل وتأييب أمير المؤمنين عليه السلام له، حيث شكك في رواية التأييب، وجزم أخيراً بالحضور. وكونه من قادة الجيش في معركة صفين، حيث كان على ميمنة رجاله الجيش. كما وتطرق إلى موقفه من صلح الإمام الحسن عليه السلام وما قيل فيه، وطلبه من الإمام نقض الصلح.

كما فصّل في مكاتبته للإمام الحسين عليه السلام، حيث ذكر أنه كان أوّل من كتب، وخفاء اسمه بعد ذلك في أحداث الكوفة من حين دخول مسلم بن عقيل لها إلى نزول الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء، وما هو عذره في عدم الحضور في كربلاء.

ختم الكاتب مقاله بزعامته لثورة التوابين والأسباب التي دفعته للثورة، واستعرض من خلالها ما آل إليه معسكر التوابين من قتال ابن زياد وكيفية الاستبسال في القتال حتى مقتل سليمان بن صرد الخزاعي في عين الورد شهيداً صابراً محتسباً.

## BIOGRAPHY OF A REVOLUTIONIST; SULAYMĀN IBN ṢURAD AL-KHUZĀ'Ī

*Sayyid Muḥammad al-Shawkī*

The essay is started with relating the Muslims' actual state of affairs immediately after the martyrdom of Imam al-Ḥusayn at Karbalā'—the same era that witnessed the coming into light of the personality of Sulaymān ibn Ṣurad al-Khuzā'ī as a revolutionary and a leader of the revolution that was then known as the Revolution of the Repenters (*thawrat al-tawwābīn*). First of all, the writer introduces the identity of this revolutionist, proving that he was one of the companions, or one of the followers of the companions, of the Holy Prophet (ṣ). Yet, the evidence provided by the writer on Sulaymān having been a companion of the Holy Prophet (ṣ) is a narration that Sulaymān himself reported about the events of the Battle of the Ditch that was led by the Holy Prophet (ṣ) personally. Moreover, Sulaymān is proven to have been one of the most celebrated personalities of the followers and partisans of Imam 'Alī ibn Abī-Ṭālib (ʿa) whose advice was frequently sought and followed by the others and was one of those who took the lead in swearing allegiance and paying homage to Imam 'Alī (ʿa) immediately after the assassination of 'Uthmān ibn 'Affān.

History holds that Sulaymān failed to join Imam 'Alī (ʿa) in the Battle of the Camel against the Renegades and, because of this attitude, Imam 'Alī (ʿa) blamed him. Yet, this report is open to question, because many other indications and historical facts prove that Sulaymān did join the Imam (ʿa) in that battle. Moreover, in the Battle of Ṣiffīn that was imposed on Imam 'Alī (ʿa) by a gang of transgressors, Sulaymān was appointed as the commander-in-chief of the right wing of Imam 'Alī's army.

The writer then touches on Sulaymān's attitude to the peace treaty signed by Imam al-Ḥasan ibn 'Alī (ʿa) with Mu'āwiyah, since some narrations entail that Sulaymān's attitude was negative and he frequently asked Imam al-Ḥasan (ʿa) to revoke that treaty.

With regard to Sulaymān's attitude to Imam al-Ḥusayn's revolution, the writer mentions in details that Sulaymān was the first to have written a letter to Imam al-Ḥusayn (ʿa) asking him to come to al-Kūfah and

*promising to support him in his reformative uprising. However, history did not mention any role played by Sulaymān after that. Thus, nothing is known about Sulaymān concerning the events of al-Kūfah since the arrival of Muslim ibn 'Aqīl there and up to Imam al-Ḥusayn's residing in Karbalā'. Likewise, history does not hold anything that may justify Sulaymān's failure to be present in Karbalā' for supporting Imam al-Ḥusayn (°a).*

*The essay is then ended with relating Sulaymān's role as a leader of the Revolution of the Repenters and the reasons that motivated him to revolt against the tyrannical ruling regime. The writer thus recounts the events of the fight of Sulaymān and his soldiers against 'Ubaydullāh ibn Ziyād and the bravery shown by Sulaymān up to his martyrdom at 'Ayn al-Wardah.*

## المعنى اللغوي لـ (سُكَيْنَة) : الجارية الخفيفة الروح

السيد محمود المقدس الغريفي

اهتمّ علماء الرجال والأنساب والتراجم بمسألة ضبط شكل الأسماء ولفظها الصحيح، وتزداد هذه القضية اهتماماً عندما يتناقل الاسم أو اللقب كثيراً على الألسن.

تناول الباحث من هذه الحثيثة شخصية بارزة من شخصيات واقعة الطف، وهي: (آمنة بنت الإمام الحسين عليه السلام) الملقبة بـ(سكينة)، فبدأ بضبط اللقب وأصله، ثم بكلمات النسابة والرجالين، ثم كلمات اللغويين.

ثم عرّج على قضية الخلط عند أبي الفرج الإصفهاني ودلالته على المطلوب، وكيف أثر هذا الخلط في المسألة، وانتقل الباحث إلى إطلاق لقب سُكَيْنَة في التاريخ؛ لما لهذا البحث من آثار على مجمل المسألة.

ثم بيّن أنّ هناك رأياً آخر في ضبط اسم هذه المرأة الجليلة، وذكر أنّ من أشار إلى هذا المعنى من المعاصرين العلامة السيد عبد الرزاق المُرّم رحمته الله (ت ١٣٩١ هـ) في كتابه (السيدة سكينة بنت الحسين عليه السلام)، ثم الذي دعا إلى انتشار هذا الرأي بين الناس وشيوعه في السنوات الأخيرة تبني السيد الشهيد محمد الصدر رحمته الله (ت ١٤٢١ هـ) له في محاضراته الخاصة عن الثورة الحسينية، فجرى ترديده كثيراً على الألسن، وفوق المنابر الحسينية.

وأخيراً، ناقش هذه الآراء وحلّلها ووصل إلى نتيجة ختم بحثه بها.

## THE LEXICAL MEANING OF THE PROPER NAME SUKAYNAH: THE LIGHT-SPIRITED MAID

*Sayyid Maḥmūd al-Muqaddas al-Ghurayfi*

Arab linguists, biographers, and genealogists paid very much attention to the inflection of words generally and the most accurate way of pronouncing the proper names particularly, especially the proper names that are frequently used. Based on this fact, the writer of the essay discusses the most accurate way of pronouncing the Arabic word: *Sukaynah*, which is the nickname of Lady 'Āminah the daughter of Imam al-Ḥusayn (ʿa). Hence, he starts with shedding light on the origin of this name and the way it must be pronounced, citing the words of the famous genealogists, biographers of the Islamic personalities, and Arabic lexicographers and grammarians.

The writer then focuses on the confusion in which Abu'l-Faraj al-Isfahānī, the famous Muslim historian, fell while discussing the name *Sukaynah* along with its morphology and the proper way of pronouncing it. In fact, Abu'l-Faraj's inaccurate opinion affected the issue so badly.

The writer then moves to the history of using the name *Sukaynah*, since this subject has something to do with the main topic of the essay.

He then refers to some scholars who pronounced the name involved in a different way, such as the well-versed author Sayyid 'Abd al-Razzāq al-Muqarram (died in AH. 1391) in his book: *Al-Sayyidah Sakinah bint al-Ḥusayn*. However, recently, the martyr Sayyid Muḥammad al-Ṣadr (died in AH 1421), within one of his lectures on the topic of Imam al-Ḥusayn's reformative uprising, adopted the same opinion of Sayyid al-Muqarram; therefore, the issue was heatedly argued by people and declared from the stages of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom.

The writer thus discusses all these opinions analytically and reaches at a conclusion with which he finishes the essay.

الكتاب الثاني

العدد الثامن - عشر - السنة الخامسة ١٤٢٨ هـ - ١٧٠٢ م

## مصراع عبد الله الرضيع

### رؤية تحليلية

الشيخ عبد الرزاق النداوي

يُشير صاحب المقال بعض التساؤلات حول مصراع الطفل الرضيع، كالسبب الذي جعل الحسين عليه السلام يأخذه إلى معسكر الأعداء، ويطلب له الماء، وهل كان عليه السلام يعلم بأنهم سيقتلونه؟ وما هو السرّ في رمي دم الرضيع نحو السماء؟ وقبل أن يُجيب عن هذه التساؤلات تطرّق لمسألة حمل الحسين عليه السلام عياله إلى كربلاء. وأجاب عن ذلك من خلال عدّة نقاط، منها: أنّ بني أمية لا يتورّعون عن أسر عياله وسجنهم لو تركهم في المدينة. ومنها: أنّ مقتله عليه السلام وسبي عياله سوف يُشكّل زلزالاً يعصف بعرش الطاغية يزيد. ومنها: وجود مَنْ ينوب عنه عليه السلام لاستمرارية نهضته الخالدة. ومنها: بيان حجم المظلومية التي تعرّض لها الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه، وغير ذلك.

بعد ذلك تطرّق الكاتب للإجابة عن تساؤلات المقال، وذكر بأنّ الحسين عليه السلام كان يعلم بأنّ الأعداء سيقتلون ولده الرضيع، وإنّما حمله معه لعدّة أمور، وهي: العمل بتكليفه الشرعي، وإتمام الحجّة على الأعداء وفضحهم، وإيجاد زخم عاطفي لنهضته من أجل خلودها في وجدان الإنسانية.

أمّا لماذا رمى الحسين عليه السلام دم الطفل نحو السماء؟ فقد أجاب بأنّ ذلك من الأسرار التي لا يعلمها إلاّ الله تعالى وأهل البيت عليهم السلام، ثم احتمل أن تكون الحكمة في ذلك هي: أنّ الإمام عليه السلام عندما دعا الله تعالى أن يُنزل نقمته وغضبه على أعدائه أراد أن يُبرز تسليمه المطلق لمشية الله تعالى في تعجيل العقوبة أو تأخيرها.

## THE KILLING OF ‘ABDULLĀH, THE SIX-MONTH OLD BABY OF IMAM AL-HUSAYN; AN ANALYTICAL VIEW

*Shaykh ‘Abd al-Razzāq al-Naddāwī*

The writer of this essay poses some questions about the slaying of ‘Abdullāh, the six-month old suckling baby of Imam al-Ḥusayn (‘a). He thus wonders why Imam al-Ḥusayn (‘a) took the baby to the camp of the enemies asking them to give him water; whether the Imam (‘a) had or had not already known that they would slay his baby, and what the secret behind throwing the baby’s blood towards the sky was.

Before giving answers to these questions, the writer discusses the issue of Imam al-Ḥusayn’s having taken his family members with him while he was heading for Iraq. Answering this prefatory question, the writer cites a number of points that act as answers, such as that the Imam (‘a) had already known that the Umayyad tyrannical ruling authorities would imprison his family members if he would leave them behind him in al-Madīnah, that the slaying of the Imam along with his family members would contribute greatly to the collapse of Yazīd’s rule, that this issue would create someone to play a crucial part in the continuity of the Imam’s everlasting uprising against wrong and tyranny, and that the Imam (‘a) intended to show the world the actual size of oppression to which he as well as his family members and companions would be exposed... etc.

Answering the wonderments mentioned in the beginning of the essay, the writer confirms that despite that Imam al-Ḥusayn (‘a) had already known for sure that the enemies would slay his six-month old baby; he took him to the camp of the enemies for a number of reasons. Firstly, the Imam (‘a) carried out the duty to which he is bound by the Islamic Law. Secondly, he wanted to impose an overwhelming argument on the enemies and to unveil their wicked and vicious realities. Thirdly, he wanted to create an emotional aspect that would characterize his reformative uprising so that his movement would last forever in the conscience of humanity.

Answering the question as to why Imam al-Ḥusayn (‘a) threw the blood of the slain baby towards the sky, the writer confesses that this issue is one of the secrets that are known by nobody except God the

*Almighty and the Ahl al-Bayt (a). However, the writer states, it is not improbable that when Imam al-Husayn (a) invoked God's wrath and punishment on the enemies, he wanted to show his absolute surrender to God's act and will, whether God pours down His wrath and punishment sooner or later.*

## أثر الشعائر الحسينية في نشر فكر أهل البيت عليهم السلام في القارة الإفريقية

### نماذج مختارة

إعداد: د. حيدر عبد الجليل الحربية

المقال عبارة عن دراسة وصفية شبه إحصائية لأثر الشعائر الحسينية - ومنها المجالس الحسينية - في نشر فكر أهل البيت عليهم السلام. فابتدأ الباحث بدولة (زنجبار) بعد أن مهّد بالتعريف بهذه الدولة الإفريقية، وعدد المسلمين فيها، وأهم مساجدها وحسينياتها، ونشاط أتباع أهل البيت عليهم السلام فيها، وأهم شخصياتهم المعروفة.

ثمّ حطّ الكاتب رحال بحثه في (نيجيريا) متعرّضاً لمسيرة الحركة الإسلامية وتاريخها، وسيرة أهم شخصياتها العلمائية، ثمّ دور الشعائر الحسينية في نشر وتثبيت المذهب الحق في هذا البلد.

ثمّ انتقل الكاتب إلى (أوغندا) وتعرّض إلى المؤسسات التبليغية - ومنها الشعائر الحسينية - ودورها في التوعية الدينية والاجتماعية في هذا البلد. وانتقل بعدها إلى (السنغال)، فتطرّق إلى دور الجالية المسلمة في إبراز مظلومية أهل البيت عليهم السلام وخصوصاً في عاشوراء، متعرّضاً لدور الشعائر الحسينية في إبراز تلك المظلومية، ثمّ إلى دور المبلّغ الرسالي في ذلك، إضافة إلى ذكر المؤسسات العاملة هناك.

وبعد ذلك عرّج الكاتب على دولة (جنوب إفريقيا)، وذكر أثر الشعائر الحسينية - خصوصاً في محرم وصفر - في نشر الفكر الديني الحق.

وأخيراً، حطّ رحال البحث في دولة (بنين) ذاكراً أهم المؤسسات التبليغية فيها ودورها الديني والاجتماعي هناك.

## THE IMPACTS OF THE CEREMONIES OF COMMEMORATING IMAM AL-ḤUSAYN'S MARTYRDOM ON THE SPREAD OF THE AHL AL-BAYT SCHOOL IN THE CONTINENT OF AFRICA; SELECTED SAMPLES

Dr. Ḥaydar A. al-Ḥarbiyah

*The essay is a descriptively semi-statistical study of the effective role of the rituals and ceremonies of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom in the spread of the Ahl al-Bayt School in the different countries of Africa.*

*Starting with Zanzibar the semi-autonomous region of Tanzania in East Africa, the writer introduces this African region by mentioning the number of Muslims living there, the most important mosques and Ḥusayniyyahs, the activities of the followers of the Ahl al-Bayt School, and the most celebrated personalities of that region.*

*Moving to Nigeria, the writer goes into the progress of the Islamic movement in this country, as well as its history, the most important Islamic personalities, and, finally, the role played by the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom in spreading and enforcing the Ahl al-Bayt School in the country.*

*The writer then picks another African country; namely Uganda, to give an idea about the foundations of promulgating for Islam that are active in the country, including the foundations holding the practices and ceremonies of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom, since these foundations took a leading role in the activities of social and religious enlightenment in Uganda.*

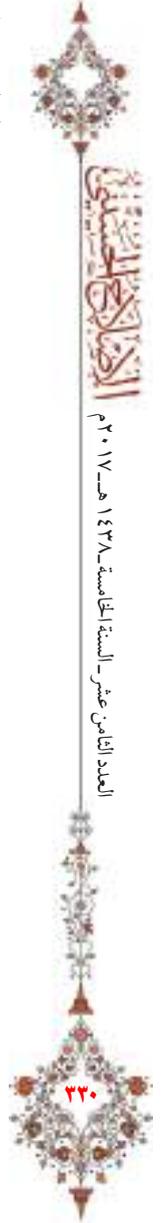
*About Senegal, the writer alludes to the role of the Muslim community in underlining the oppressions to which the Holy Prophet's family members and descendants were exposed through history, especially the tragic event of 'Ashūrā'. He then concentrates on the important role of the rituals of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom in drawing the attentions to these oppressions, without omitting the eminent contributions of the Muslim preachers and promulgators to highlighting these historical facts. The writer then makes reference to the foundations of*



*Islamic promulgation that are active in Senegal.*

*He then stops at South Africa to inspect the big role played by the rituals and practices of commemorating Imam al-Ḥusayn's martyrdom, especially during the months of Muḥarram and Ṣafar, in broadcasting and spreading the Aḥl al-Bayt School.*

*Finally, the writer goes to Benin and refers to the most important foundations of Islamic promulgation as well as the religious and social roles played by these foundations in that country.*



العدد الثامن عشر - السنة الخامسة ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م



إِنَّمَا أُخْرِجَتْ لَطَبُ الْأَصْلَاحِ فِي بَشَرِيَّتِكَ

# الاصلاح الحسني

مَجَلَّةٌ فَصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تُعْنَى بِالنُّهْضَةِ الْحَسَنِيَّةِ وَأَفَاقِهَا الْفِكْرِيَّةِ